الثقافة السيكولوجية

الكابوس

نجيب يوسف بدوى

تصدرها مكتبة مصر
باشراف الدكتور عبد المنعم المليجى

الكابوس

الثقافة السيكولوجية
يشرف على اصدارها الدكتور عبد المنعم المليجى

الكابوس

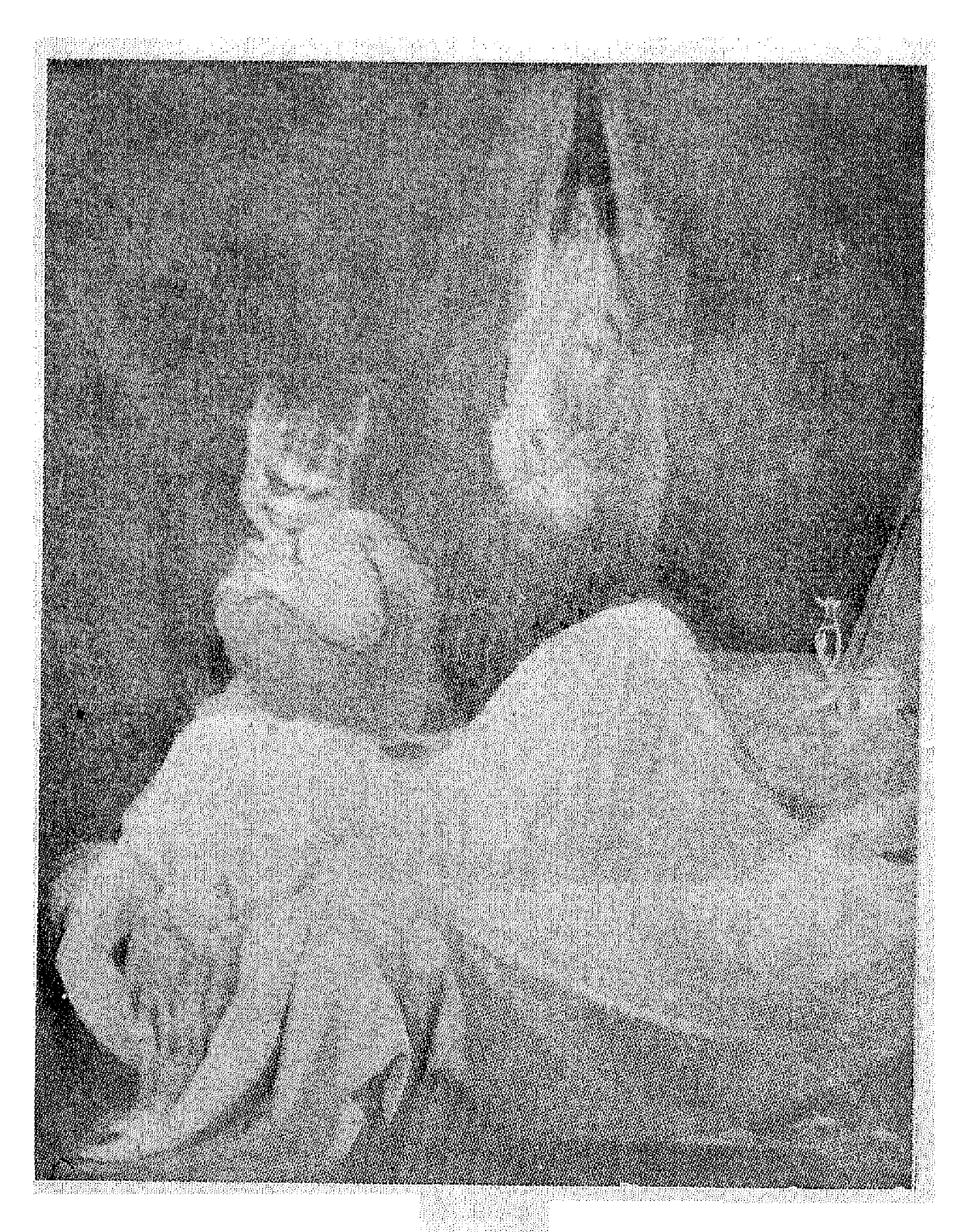
تأليف
نجيب يوسف بدوى
مدرس علم النفس
بمعهد المعلمين الخاص بالزيتون

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى "الفجالة"

دار مصر للطباعة
٣٠ (١) شارع كامل صدقى "الفجالة"

إهداء

إلى من كانت هذه أحلامهم



الكابوس
(من رسم فيوزيلى سنة ١٧٨٢)

مقدمة المؤلف

ان الفرق بين الحلم العادى والكابوس فرق فى الدرجة لا فى النوع ؛ فكلاهما نشاط نفسى صادر من اللاشعور. والكابوس أكثر وضوحا وأشد وطأة من الحلم العادى . ووضوح الكابوس يجعل دراسة تفسيره خير مدخل لدراسة تفسير الأحلام وتؤدى شدة وطأة الكابوس الى أن يفزع منه النائم ويخشاه ، ويذكره دواما ولا ينساه ، ويتطلع الى معرفة مغزاه . ولا يشغل الكابوس نفسه بالتافه من الأمور . فهو دائما مفعم بالمعنى ، وينطوى على دلالة . وليس هناك كابوس عقيم أو عديم المعنى . وطرق تفسير الكابوس هى ذاتها طرق تفسير الأحلام .

وقد اهتم العلماء الذين تناولوا الكابوس بالدراسة ، بالبحث عن دوافعه اللاشعورية . وفى مقدمة هؤلاء العلماء ' ارنست چونز ، ويونج ، ونااندور فودور . وفى آخر كتاب صدر فى الأحلام والكابوس لهادفيلد ، سنة ١٩٥٤ يطالعنا فيه مؤلفه بالنظرية البيولوچية لتفسير الأحلام والكابوس . ويعرف كل من له المام بالمنهج التكاملى أنه يتناول دراسة الظاهرة من النواحى البيولوچية والنفسية والاجتماعية . وقد أغفل هؤلاء

الرواد السابقون فى دراسة الكابوس المجال الاجتماعى ، وهو المجال الذى نعنى به أساسا فى هذا البحث .

وقد اصطنعنا لذلك طريقة التحليل الوظيفى التى تعنى بدلالات الصور والرموز فى التراث الميثولوچى والأساطير والعقائد والتأويلات الشعبية القديمة للأحلام. وكثيرا ما تنطوى هذه الدلالات على فراسة ، بحيث لا يمكن استبعادها بافتراض أنها خرافات . وكثيرا ما تكون هذه الدلالات الاجتماعية هى ذاتها الدلالات اللاشعورية . وطريقة التحليل الوظيفى اذ تلم بدلالة صورالكابوس فى كلا المجالين الاجتماعى واللاشعورى ، تعتبر المنهج الملائم لطبيعة موضوع الكابوس .

وقد جربنا طريقة التحليل الوظيفى فى تفسير الأحلام التنبؤية . واستطعنا بواسطة هذه الطريقة تفسير اثنى عشر حلما تنبؤيا فى سلسلة من المقالات نشرت تباعا فى مجلة علم النفس ابتداء من سنة ١٩٥٠ . ويجد القارىء تخطيطا لأسس طريقة التحليل الوظيفى مع أهم أمثلة الأحلام التنبؤية التى استخلصت منها هذه الطريقة فى مقالين : الأول ، بعنوان « الفرج والضيق فى أحلام المصريين » فى مجلة علم النفس عدد فبراير ١٩٥٣ . والثانى بعنوان « التحليل الوظيفى للأحلام التنبؤية » فى الكتاب السنوى لعلم النفس عدد يناير ١٩٥٤ .

التراث الميثولوچى :

وفى التراث الميثولوچى لأهل الشرق كثير مما يجهله كتاب الغرب ، وبصفة خاصـة التأويلات الشعبية القديمة للأحلام ، التى تعنى بها طريقة التحليل الوظيفى ، وتتخذها نقطة البدء . وعند ما جربنا هذه الطريقة فى تفسـير أحلام الفرج والضيق والأحلام التنبؤية ، بهرتنا الفراسة فى اختيار مدلول الرموز فى بعض هذه التفسيرات القـديمة . وتبينا فى اثنى عشر مثالا أن « الدلالة التنبؤية هى ذاتها الدلالة اللاشعورية » . ولعل هذه هى أهم نتيجة اسـتخلصناها من التحليل الوظيفى للأحـلام التنبؤية . وعندما تبينا صدق فراسـة ابن سيرين فى كثير من تفسيراته القديمة ، وعند ما اتضح لنا من مقارنتها بتفسـيرات المحـدثين من أقطاب التحليل النفسى أن الدلالة التنبؤية التى يقول بها ، غالبا ما تكون هى ذاتها الدلالة اللاشعورية ؛ دعونا على صفحات مجلة علم النفس الى العـودة على هـذا التراث الميثولوچى الحافل لفحصه واخضاعه للتحليل الوظيفى والتحليل النفسى لاستخلاص ما فيه من دلالة ومغزى ، وهى مهمة أولى بها وأقدر عليها كتاب المشرق .

ولأحلامنا كشرقيين طابع خاص يتبينه القارىء بوضوح فى أمثلة الكابوس فى هذا الكتاب . وتمتاز هذه الأحلام بظاهرتين هما : الروح الدينية القوية ؛ وانعكاس الأوضاع الاجتماعية ، وبصفة خاصـة عادات الزواج والطلاق فى هذه الأحلام . هذا الى جانب ما يضفيه العامة على هذه الأحلام من دلالات ميمونة

أو مشئومة . فأحلام يستبشرون بها ، وأخرى يتطيرون منها . وأغلب أمثلة الكابوس يتوجس منها أصحابها الشر . وغنى عن القول أننا توخينا منتهى الدقة فى تسجيل أمثلة الكابوس الواردة فى هذا الكتاب . وقد لجأنا الى استخدام نفس ألفاظ الحالم ، وكثيرا ما سجلناها باللغة العامية . والأمثلة المذكورة ، هى التى أذن أصحابها بنشرها . وجميع الأسماء فيها مستعارة .

وقد اطلعنا على أهم المصادر التى تناولت الكابوس بالدراسة وقمنا بتلخيص أهم النظريات التى قيلت فى تفسير الكابوس . وعندما وضعنا هذه النظريات جنبا الى جنب ، وأمعنا فيها النظر بدت لنا بعض الثغرات . وقد ذيلنا كل نظرية بنقد موجزلها . ثم ساهمنا بتفسير للكابوس نرى أنه يسد هذه الثغرات ، ويتلافى أوجه النقص التى بدت لنا فى تلك النظريات .

وتتلخص مساهمتنا والنتائج التى وصلنا اليها من هذا البحث فيما يلى :

أولا : أننا نهتم بالمجال الاجتماعى وبدلالة الصور والرموز فى التراث الميثولوجى . هذا على حين أن النظريات السابقة عنيت كلها بالمجال اللاشعورى .

ثانيا : أننا نهتم بالأثر الحاسم للضمير أو القوى الكابتة للعقل فى الصورة النهائية للكابوس . على حين أن معظم التفسيرات السابقة اهتمت بالنزعات المكبوتة سواء أكانت رغبات أم مخاوف .

ثالثا : وضعنا تصـــنيفا لنماذج الكابوس على أساس تقســـيم
فرويد للجهاز النفسى وعلاقته بأنواع القلق .
رابعا : قمنا بتحليل أكثر من خمســـين كابوسا ، تجمعت لدينا
من مختلف الأعمار ومختلف الأوساط والبيئات المصرية

وبذلك توفرت لدينا المصـــادر ، والأمثلة ، والمنهج الملائم ؛
وعشنا فى الكابوس دهرا !... فكان هذا الكتاب .

الزيتون فى ١٥ فبراير سنة ١٩٥٧ المؤلف

تمهيد

الأحلام والكابوس

قد ينسى الواحد منا أحلامه ، ولكنه يذكر دواما الكابوس اذا ماانتابه . والكابوس هو الحلم المفزع الذى ينخلع له قلب النائم ويناله منه خوف شديد وهلع لايحس بهوله الا من يكابده ويتخذ الكابوس صورا كثيرة تنزع كل صورة منها عادة الى التكرار . فقد يحلم الشخص أنه دفن حيا فى تابوت مظلم محكم الغلق ، أو أن بناء انهار وطمره تحت أنقاضه ، أو أنه يزحم نفسه فى ممر ضيق يجاهد ليتخلص منه ، أو أنه يسقط من شاهق فى البحر أو فى هوة سحيقة لا قرار لها . وقد يظهر الكابوس فى صورة وحش مفترس حقيقى أو خرافى . فقد يرى النائم مخلوقا وحشيا كئيب المنظر يجثم على صدره ويعوق تنفسه . وقد يرى شبحا أسودا متربعا عند قدميه . وقد يطارده فى الكابوس جنية أو غول ، فيعدو مذعورا ، ويلهث من فرط الفزع وطول العدو . وقد يتربص به وحش ضار يكشر له عن أنيابه ويتحفز لافتراسه . وقد ينقض عليه فعلا ، ويغلبه على أمره ، ويربض بثقله على صدره .

وينتاب النائم أثناء الكابوس شعور بعدم القدرة على الحركة وبأنه فقد القـــدرة على التحكم بارادته فى أعضـــائه . فليست أطرافه طـــوع ارادته كما لو كانت قد أصيبت بالشـــلل . وقد يحاول الهرب ، فيتجمد فى مكانه . وقد يناضل فتضيع ضرباته هباء . وقد يصرخ من أعماقه بأعلى صوته ، دون أن يسمع له صوت . ويظل النائم بين مخالب الموت ، ولا ينجو من براثنه الا بأعجوبة هى أن يستيقظ . فما أن يعود الى رشده حتى يحمـــد الله على نجاته من هذا الخطر الداهم . ويظل بعد ذلك مدة من الزمن وهو مكدود خافق القلب منهوك القـــوى . وقد يستمر الضيق والانقباض والقلق والارهاق خلال اليوم التالى .

ويرى القارىء فى صدر هذا الكتاب صورة رمزية للكابوس أو فرس الليل (Nightmare) رسمها « فيوزيللى » الفنان الايطالى المشهور فى أواخر القرن الثامن عشر . ويرى فيها امرأة شابة قد استلقت على ظهرها وغابت فى نوم عميق ورمت بذراعيها ورأسها فوق حافة سريرها . وربض مخلوق كثيب على صدرها ، بينما وقفت فرس الليل على مقربة منها تحدجها ببصرها .

ويجمع أقطـــاب التحليل النفسى على أن الفرق بين الكابوس والحلم المزعج والحلم العادى فرق فى الدرجة لافى النوع ، فكلها مراتب للحلم متدرجة فى الشدة . ويتميـــز الكابوس عن الحلم المزعج بأعراض ثلاثة رئيسية : أولها الشعور بالخوف الشـــديد والهلع . وثانيها الشعور بضغط شديد على الصـــدر وبصعوبة فى التنفس . وثالثها الشعور بفقدان القدرة على الحركة وكأنما

شلت الأطراف . وقد يصحب الكابوس أعراض أخرى كسرعة خفقان القلب ، وتصبب العرق البارد . ومما يميز الكابوس عن الحلم العادى كذلك نزوعه عادة الى التكرار ، وانتهاؤه دائما بالاستيقاظ . وقد استرشدنا بهذه الخصائص فى اختيار أمثلة الكابوس الواردة بهذا الكتاب .

وهناك الى جانب هذه الأعراض عرض آخر على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وهو ارتفاع ضغط الدم ارتفاعا كبيرا مفاجئا فى أثناء الكابوس . فقد يرتفع ضغط الدم عقب نوبة الكابوس بنحو ثلاثين ملليجراما عما كان عليه قبلها . ولهذه الزيادة الكبيرة الطارئة خطورتها ، وخصوصا اذا كان الشخص متقدما فى السن ومصابا بضغط الدم العالى من المبدأ ، لأنه قد يتعرض والحالة هذه لخطر النزف المخى الناشىء من تمزق شرايين الدماغ .

والكابوس دائما مفعم بالمعنى . فلا يشغل الكابوس نفسه بأمور تافهة . وقد يبدأ المرض النفسى بكابوس . وقد يصحب الكابوس عصاب القلق (Anxiety Neurosis) الذى يعتبر الكابوس من الأعراض الدالة عليه . وقد يظهر الكابوس فى المراحل الأولى لبعض الأمراض النفسية والعقلية ، وبصفة خاصة الجنون الدورى (Manic - depressive Psychosis) ، والفصام Schizophrenia

والكابوس أقل شيوعا وأندر حدوثا من الأحلام العادية ، وأكثر منها وضوحا . ويصحب الكابوس شحنة انفعالية كبيرة ،

ولذلك نهب منه مذعورين . فالحلم يحرس النوم ويساعد على استمراره . أما الكابوس فينتهى دائما بالاستيقاظ . ويؤدى وضوح الكابوس ، وانتهاؤه بالاستيقاظ الى سهولة تذكره . أما الأحلام فتنسى أغلبها . واذا كان الكابوس أشد فى الدرجة من الحلم ، وأكثر منه وضوحا ، فان دراسة الكابوس تعتبر خير مدخل لدراسة تفسير الأحلام . وطرق تفسير الكابوس ، هى ذاتها طرق تفسير الأحلام اذ أن الفرق بين الكابوس والحلم المزعج فرق فى الدرجة لا فى النوع .

أما عن الأوقات والظروف التى يغلب فيها حدوث الكابوس ، فيرى بعض الكتاب أنه يحدث فى أثناء النوم العميق . ويرى فريق آخر منهم أن الكابوس قد ينتاب الشخص وهو مستيقظ ومالك لحواسه ، ويطلقون على هذا النوع من الكابوس اسم « فرس النهار Daymare » . ولكن الوقت الذى يغلب فيه حدوث الكابوس هو اقبال الليل أو ادباره ، أى فى الساعات الأولى من النوم أو فى السحر قبيل الاستيقاظ . وقديما قالوا أصدق ساعات الرؤيا بالأسحار . وقد يكون التأخر فى النوم صباحا عند بعض الناس من دواعى الابتلاء بالكابوس .

ويكاد يجمع الذين ينتابهم الكابوس على أنه يستولى على النائم أثناء نومه على ظهره . لذلك جرت العادة باسداء النصح لمن ينتابه الكابوس بألا ينام على ظهره . ولما كان الكابوس ينزع الى التكرار ، فقد يزهد من يتهدده الكابوس فى النوم على

سريره ، ويلجأ الى النوم على مقعده طول الليل . وقد ينبطح النائم على وجهه فرارا من أن يدركه الكابوس ويملأه رعبا وفزعا. وقيل ان النوم على الجانب الأيسر من دواعى ظهور الكابوس ، ولذلك ساد الاعتقاد فى أن النوم على الجانب الأيمن أفضل الأنواع للنوم الهادىء . وبعض الناس ينتابهم الكابوس ، على أى وضع ناموا ، حتى وهم جلوس ...

الفصل الأول

أسباب الكابوس

ذهب الكتاب فى تفسير منشأ الكابوس ودوافعه مذاهب شتى . فقد اعتقد بعض أطباء البدن أن للكابوس أسبابا جسمية حشوية كالاضطراب فى الجهاز الهضمى ، والاضطراب فى الجهاز الدورى والتنفسى . ولوحظ أن الكابوس يجسم أحيانا المنبهات الخارجية التى يتعرض لها النائم . كما لوحظ أن الكابوس قد يستمد موضوعه من مشاكل النهار ومما كان يشغل الذهن قبيل النوم من خواطر وأفكار . وفيما يلى عرضا موجزا لكل سبب من هذه الأسباب :

الأسباب الجسمية :

قيل ان من أسباب الكابوس الجسمية الاضطرابات المعدية وعسر الهضم . فالتخمة وامتلاء المعدة بالطعام وغازات التخمر تضغط على الحجاب الحاجز وتعوق دورة الدم الى القلب والرئتين . وان وجود طعام غير مهضوم فى المعدة يؤدى الى اضطراب فى الجهاز العصبى وبالتالى الى حدوث الكابوس .

وقيل ان من أسبابه الجسمية اعاقة الدورة الدموية بسبب الوضع غير الملائم الذى يكون عليه النائم . واعتقد كانت (I.Kant) الفيلسوف المعروف أن للكابوس وظيفة ، فهو ينبه النائم ويضطره الى الاستيقاظ ليغير من الوضع غير الملائم الذى

ينام عليه ، ولذلك يغلب أن ينتاب الكابوس النائم على ظهره .

كذلك لوحظ أن الأحلام المزعجة والكوابيس تكثر عند الاصابة بمرض القلب أو الرئتين . ويرى الكثيرون أن الأعضاء المريضة تطبع خواصها على مكونات الحلم ، وأن مرضى القلب تقع لهم أحلاما قصيرة مزعجة ، تنتهي بالذعر الذى تعقبه اليقظة .

وهناك نظرية طريفة تذهب الى أن الكابوس ينتج عن تسمم الدماغ نتيجة زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون . ولعل هذا هو السبب فى أن الكابوس يغلب حدوثه فى منتصف الليل ، عند ما تزداد نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الدم .

والنقد الأساسى الذى يوجه الى الرأى القائل بأن الكابوس ينتج عن عوامل جسمية هو أن هذه العوامل لا تكفى وحدها لتفسير أعراض الكابوس ، ولا طبيعة الصور التى يتخذها . كما أنه لم يثبت اتفاق هذه الأسباب المزعومة مع حدوث الكابوس فعلا . ومثال ذلك أن الانسان قد يصاب بسوء الهضم ، واضطراب فى المعدة دون أن يتعرض للكابوس مرة واحدة فى حياته . وقد يكون معافى سليم الجسم وينتابه الكابوس مع ذلك. بمعنى أنه قد ينتاب الكابوس أفرادا لا يعانون من هذه الاضطرابات الجسمية الحشوية ، وقد يعانى بعض الأفراد هذه الاضطرابات الحشوية فى أسوأ مظاهرها ، دون أن ينتابهم الكابوس . ويرى ارنست چونز [١] أن الكتاب وأطباء البدن قد بالغوا فى الماضى فى

---

(١) Ernest Jones : " On the Nightmare. " Hogarth Press, 1931 P. 52.

أثر العوامل الجسمية فنسبوا اليها ٩٩٪ من حالات الكابوس . على حين أن أثرها فى الواقع محدود جدا ولا يتعدى ١٪ من هذه الحالات .

المنبهات الخارجية :

لوحظ أن الكابوس يجسم أحيانا المنبهات الخارجية التى تقع على حس النائم . والمثال التالى يوضح كيف يحدث الكابوس استجابة لمنبه خارجى :

١ ـــ محمد شاب أعزب فى نحو الثالثة والعشرين من عمره . كان نائما فى الصيف بملابسه الداخلية ، وفى جيب صدريته البلدى محفظة وساعة وسلسلة . وبينما هو مستغرق فى النوم على ظهره ، سرحت الكاتينة على صدره ورقبته ، فحلم بثعبان يزحف ويقترب منه ثم يحط فوق صدره ويلف نفسه . فمد يده وبسرعة خاطفة ألقى به على آخر دراعه ، وانتفض قائما وهو يصيح ثعبان . . . ثعبان . . . فاستيقظ أهـــل المنزل وأخبرهم أنه ألقى بثعبان من فوق صـــدره تحت الدولاب . ففتشوا ، وأخرجـــوا من تحت الدولاب المحفظة والساعة المهشمة والسلسلة وجيب صـــدريته الذى انتزع من موضعه !

والمنبه الخارجى فى هذا الكابوس واضح . غير أن أصحاب التحليل النفسى لهم فى الثعبان رأى آخر سنشير اليه فى حينه .

وليس من شك فى أن الكابوس أساسا ظاهرة نفسية ، ودوافعه لاشعورية كما سنبين بوضوح فى الفصول التالية ، وقد يفسر

المنبـه الخارجى جزءاً من الكابوس أو الحلم . ولكنه لا يفسر مضمونه كله وما يصحبه من صور وأفكار وحوادث . فالمنبـه الخارجى الذى يقع على حس النـائم لا يمكن أن يكون سوى تفسير جزئى . فقد يمهد المنبه الحسى الخارجى للكابوس ، وقد يندمج فى سياقه ويصبح جزءاً لا يتجزأ من مضمون الكابوس الشامل .

والمثال التالى يوضح كيف يستفيد الكابوس من المنبهـات الخارجية ، ويدمجها فى مضمونه النفسى :

٢ ـ أم زهرة فلاحة من صميم الريف ، تقتنى جاموسة وتعيش مع ابنها غريب . وكانت هذه الجاموسة مرفهة ، فلم تكن أم زهرة ترضى أن تشـغلها فى أى عمل . وكان ذلك موضع تنـدر أهل العزبة فكانوا يقولون : « عمر المره ما تربى عجل ويحرث » ، وكانت الجاموسة عشر . وذات مرة خرجت أم زهرة عن مألوف عادتها ، فأعارتها لأحد الفلاحين . ودارت فى السـاقية وأخذت ضربة شمس ، وعادت فى المساء مكدودة ومريضة وعليها أعراض الاجهاض ، الأمر الذى أقلق بال أم زهرة على الجاموسة ، فهى كل رأسمالها .

وفى هذه الليلة بينما كانت أم زهرة نائمة على ظهر الفرن ، على مسمع من مربط الجاموسة ، اسـتولى عليها كابوس مؤداه أن لصوصا دخلوا الزريبة ، وحلوا وثاق الجاموسة . فصرخت من أعماقها : « يا غريب . . . يا غريب . . . الحق الحـرامية سرقوا الجاموسـة » . ولكن صوتها لم يبلغ أحدا فقد كان محتبسـا

وعند ما خرج اللصوص ومعهم الجاموسة ، أغلقوا الباب من خلفهم بشدة ! فاستيقظت على صوت الباب الذى لم يكن فى الواقع سوى صوت السقط عند ما سقط من الجاموسة . اذ انتفضت من مرقدها فرأت الزريبة ممتلئة بالماء ، والسقط ملقى على أرضها .

ولا يشغل الكابوس نفسه بالتافه من الأمور . فالجاموسة عند الفلاح كولد من أولاده . والدافع النفسى لهذا الكابوس هو خوف أم زهرة على الجاموسة من الموت . فزائر الليل أو اللص، هو الموت . وقد دخل المنبه الخارجى ــ وهو حركة الجاموسة فى مربطها أثناء الاجهاض ــ ضمن المضمون النفسى للحلم ، فحلمت بأن لصوصا يسحبونها . وانتهى الكابوس على صوت ارتطام السقط على الأرض ، فتجسم فى صوت غلق البــاب ــ مع أن اللص لا يغلق الباب خلفه بشدة .

ويبين هذا المثال كيف يستفيد الكابوس من المنبهات الخارجية، ويدمجها فى مضمونه النفسى. كما يبين كيف يستمد الكابوس بعض مضمونه من ذكريات اليوم السابق له ، ومن الأفكار التى كانت تشغل الذهن قبيل النوم .

الكابوس يعيد مواقف الحياة :

من المثال السالف الذكر تتبين أن الكابوس قد يكرر خبرات ومواقف من اليوم الذى وقع الحلم فى مسائه . على أن الكابوس

يحور عادة فى هذه الخبرات لتتمشى مع الحالة العقلية للنائم[1] .

وتنتاب الأحلام المزعجة كثير من الأطفال فى سن الخامسة والسادسة بصفة خاصة . وقد يفزع الأطفال من نومهم على رؤيا الصور التى تكرر ما شاهدوه فى السينما من حوادث رهيبة ، أو صور مخيفة ، أو ما سمعوه عن أبطال القصص الخرافية التى ترويها لهم المربيات والخدم . وقد يجسم الكابوس من الخبرات السابقة ويضخمها : فالطفل الذى يفزعه كلب بالنهار ، قد يحلم بوحش ضار يطارده أثناء الليل . ومما له مغزى بعيد أن الطفل حين ينتابه الكابوس ويهب من نومه مذعورا ، يذهب توا الى مخدع والدته ، ليقص عليها حلمه . وقد يرفض العودة الى النوم فى سريره ، ويفضل البقاء .. وما أن يفوز بالنوم فى سرير والدته ، حتى يعود اليه هدوءه ، مما يدل على أن الكابوس يحقق للطفل غرضا .

وقد يكرر الكابوس الخبرات السابقة بأمانة ودون أن يهول فى صورتها ، ولا سيما اذا كانت هذه الخبرات رهيبة مروعة لا تحتاج الى مزيد من الترويع والتهويل . فالكابوس الذى ينتاب الجند العائدين من ميدان القتال ، يكرر بأمانة من الخبرات المؤلمة التى تعرضوا لها ، والمواقف الرهيبة والصدمات التى كابدوها : كانفجار قنبلة قريبة ــ أو السقوط فى طائرة وتحطمها ــ أو اصطياد جنود المظلات ــ أو الدفن تحت وابل

---

(١) يتبين ذلك بصفة خاصة من الأمثلة رقم ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

من الأنقاض . وقد ينزع مثل هذا الكابوس الى التكرار بنفس الصورة ، وبدون تحوير يذكر ليلة بعد أخرى . ويعبر كابوس المعارك الذى يكرر المخاطر والأهوال التى تعرض لها الجند عن دافع الخوف ، وهو دافع نفسى أصيل يوجد فى استعداد الناس جميعا الشجاع منهم والجبان . والجندى الباسل حريص على أن يتصف دائما بالشجاعة . فاذا كان الخوف لا يجد سبيله الى قلبه ، فما ذلك الا لأنه نجح فى كبت الخوف وهذا الخوف المكبوت الذى تحول تقاليد الجندية دون ظهوره لا يخمد بل يظل كامنا يتحين الفرصة للافلات من رقابة العقل — التى تغفل أثناء النوم — والافصاح عن نفسه فى الكوابيس والأحلام المزعجة التى تكرر أهوال الحرب .

وفيما يلى نقص كابوسا يتضمن تكرارا لخبرة سابقة هى خبرة التخدير الكلى :

٣ — سيدة فى سن الخامسة والعشرين سبق أن أجرى لها عملية جراحية وخدرت تخديرا كليا ، أحست أثناءه أنها تغوص تدريجيا فى هوة سحيقة حالكة الظلمة . وكانت عضلاتها مشدودة وفى حالة مقاومة ، وأسنانها تصطك .

وبعد هذه العملية بأشهر قليلة استولى عليها كابوس عاودها بعد ذلك ثلاث مرات فى عام واحد . وكان الكابوس فى كل حالة يصيبها بنفس الأحاسيس والمشاعر التى مرت بها أثناء التخدير : فكانت تعانى الخوف من السقوط فى الهوة ، والظلام الحالك ،

وفقدان القدرة على الحركة ، واصطكاك الأسنان . لقد كان هذا الكابوس يعيد بأمانة خبرة التخدير الكلى نفسها .

وقد يكرر الكابوس الصدمات والخبرات المؤلمة التى تعرض لها الشخص فى طفولته ، واستجاب لها بطريقة شاذة . فهو وان كان قد نسي هذه الصدمات القديمة ، الا أن الانفعالات التى اقترنت بها تكبت وتظل حية تتحين الفرص لتفصح عن نفسها فى الكابوس .

وقد يكرر الكابوس عملية ميلاد الشخص نفسه وهى خبرة يسميها علماء التحليل النفسى صدمة الميلاد[1] (Birth Trauma) كما فى كابوس السقوط فى الماء ، وكابوس الدفن حيا ، وكابوس المرور فى نفق ضيق . ويرى بعض هؤلاء العلماء أن صدمة الميلاد هى أولى الصدمات التى يتعرض لها الطفل فى حياته . وأنها النموذج الأول لكل أنواع الحصر والاستجابات القلقية التى تصاحب صدمات الحياة التالية .

ومجمل القول ، قد يكرر الكابوس خبرات اليوم السابق ، أو الصدمات والخبرات المؤلمة التى صادفها الشخص فى حياته ، أو خبرة التخدير الكلى ، أو خبرات منذ عهد الطفولة الأولى ، أو خبرة الميلاد .

غير أن من الكوابيس والأحلام ما لا يتضمن أى أثر لخبرات

---

(١) انظر الفصل الثامن .

سابقة . مثال ذلك أن يحلم المرء بوفاة أحد أفراد عائلته ، وهو حى يرزق . وكم من آناس تعرضوا لأقسى الصدمات ، ومع ذلك لا ينتابهم الكابوس . وبذلك يلوح أن مثل الخبرات السـابقة كمثل التنبيهات الخارجيـة والداخلية . فليس كل منبه حشوى داخلى ، أو منبه خارجى يؤدى حتمـا الى الكابوس . وكذلك ليس من الضرورى أن تتكرر كل صدمة من صدمات الحياة فى شكل كابوس . وعلى ذلك فليست التنبيهات العضوية الداخلية ، أو التنبيهات الحسية الخارجية ، أو الخبرات السابقة عوامل كافية وحدها لتفسير حدوث الكابوس . هناك اذن عامل عام مشترك يكمن خلف هذه التفسيرات الجزئية الظاهرية ؛ ذلك هو الدوافع النفسية ، التى تستفيد من هذه التنبيهات العضوية الداخلية ، والتنبيهات الخارجية ، والخبرات السابقة ، وتدمجها فى المضمون النفسى للكابوس .

الفصل الثانى

التفسير الشعبى للكابوس

شاع بين عامة الناس فى مصر اعتقـادات كثيرة متعلقة بنشأة الكابوس . من هذه الاعتقادات أنه من صنع الشـيطان ، وأنه يظهر حيث كان يرقد ميت خطا فوق جثته قط !! وسوف نتناول فيما يلى اثنين من هذه الاعتقادات الشعبية السـائدة ، محاولين تفهمهما فى ضوء مكتشفات التحليل النفسى .

الكابوس من الشيطان :

يقول ابن سيرين [1] : « جميع ما يرى فى المنام على قسمين ، فقسم من الله تعالى ، وقسم من الشيطان . فالرؤيا الصالحة بشرى من الله عز وجـل ، أما أباطيل الأحلام فتضاف الى الشيطان . فالمكروه من المنامات هو الذى يضاف الى الشـيطان . وذلك المكروه ما كان ترويعـا ، أو تحـزينا باطلا . ورؤيا التحـزين والتخويف من الشيطان » .

ان الارتباط بين الشيطان والكابوس ارتباط وثيق فى الاعتقادات الشعبية لدى كثير من شعوب العالم .

والشيطان بطبيعة الحال ليس فى نظر العلم الا وهما من الأوهام ، وهو فى رأى أقطاب التحليل النفسى تصور ناتج عن أن الشخص

(1) منتخب الكلام فى تفسير الاحلام . تأليف محمد بن سيرين . دار الطباعة الخديوية ، بولاق ، ١٢٨٤ هجرية .

الذى يؤمن به يسقط [1] على العـالم الخارجى نزعاته العـدائية المكبوتة أو عقدة اللاشعورية . يقول « يونج » فى ذلك :

« الشـياطين أو الأرواح الشريرة ناتجة عن اللاشعور ، فهى فوران تلقائى للعقد النفسية اللاشعورية ، فوران اعترض تيار الشعور . فالعقد نظائر للشياطين ، وكلاهمـا يعترض أفكارنا وأفعالنا ؛ ومن ثمت رأى القـدماء وأهل العصور الوسطى أن الاضطرابات النفسية الحادة انما هى مس من الجن » [2] .

ويقول يونج فى موضع آخر : « ان الشياطين والأرواح الشريرة ان هى الا عقد مكبوتة أسقطت من اللاشعور » .

ويرى فرويد [3] أن الشيطان بمعناه العامى ، أى «عفريت الميت» اعتقاد نتج عن اسقاط أهل الميت لما قد كتبوه فى لا شـعورهم نحوه من مشاعر العداء والبغض والتنافس . ذلك أن شعور أى فرد من أفراد العائلة نحو الآخرين ليس شعورا بسيطا على نحو ما يبدو فى الحياة الواعية ، وانما هو مركب انفعالى من مشـاعر

---

(١) الاسقاط (Projection) مصطلح سيكولوجى مستعار من علم الضوء فالصور نشاهدها على الشاشة ليس مصدرها الشـاشة ولكنها معكوسة عليها من مصـدر ضـوئى ، وبتعبير آخر هى نتيجة اسقاط الضوء على الشاشـة . وكذلك الاسـقاط فى الميدان النفسى هو عملية لاشـعورية يتم بفضلها للشخص اخراج ما بداخل نفسه من مشاعر محظورة أو مؤلمة ، ونسبة هذه المشاعر الى العالم الخارجى وكأنها صادرة عنه وليست نابعة من النفس ذاتها .

(٢) Jung, C. G. Psychological Types. London : Kegan Paul, 1933. P. 138.

(٣) Feud. S., Totem & Taboo ; Pelican, 1940, P. 29.

الحب والود ومشاعر البغض والحقد ، انه مركب ثنائى متناقض العناصر أى (Ambivalent) وكل ما هنالك أن العناصر السلبية ، عناصر البغض والحقد وما أشبه تكون عادة مكبوتة فى اللاشعور ، وان كانت النفس تسعى بكل ما أوتيت من حيل للتعبير عنها تعبيرا خارجيا . وان الاسقاط لاحدى هذه الحيل . فالشيطان تصور خيالى نتيجة اسقاط المشاعر المكبوتة .

ويرى ارنست جونز أن الشيطان ليس سوى اسقاط النزعات المكبوتة الخاصة بعقدة أوديب . وتبدو هذه العقدة فى الكراهية اللاشعورية التى يوجهها الطفل نحو الوالد الذى من نفس جنسه ، وفى الرغبة الجنسية المحرمة نحو الوالد من الجنس الآخر . وهو يقول :

« ان الشيطان اسقاط لرغبات مكبوتة متعلقة بالأب ، أى رغبة الطفل اللاشعورية المكبوتة فى التخلص من الأب ، بغية الاستئثار بكامل عطف الأم ومطلق حبها [1] » .

وقد لاحظ الدكتور عبد المنعم المليجى فى دراسته لتطور الشعور الدينى عند الأطفال أن الأحداث الجانحين أشد تشبثا بالاعتقاد الشعبى فى حقيقة الشيطان من الأطفال الأسوياء مما يؤيد نظرية التحليل النفسى فى منشأ فكرة الشيطان أو عفريت الميت . فهو يقول :

« لقد ألف الطفل أن ينسب دوافعه المحظورة الى كائن خارجى ،

---

(1) Jones, Ernest, Ibid, P. 184.

فالاعتقاد بالشيطان صدى لحاجة الطفل الى التنصل من تلك الدوافع . ولكن معظم الأطفال فى سن العاشرة ــ سن التطور الأخلاقى السالف الذكر ــ يفطنون الى أن الشيطان ليس كائنا خارجيا ، بل هو منبع الشر فى نفوسهم . لم تعد تجوز على الطفل حيلة « الاسقاط » ، فاذا به وجها لوجه أمام نزواته الذاتية التى ينكرها أشد الانكار ، ويحار فى أمرها ، ويعتبرها جزءاً معاديا فى داخلية نفسه . ولذلك فانه يحتفظ باسم الشيطان للدلالة على ذلك الجزء من نفسه . أى أن الشيطان يفقد صفته الهذائية فى هذه السن لدى الأطفال الأسوياء .

ولكن الطفل المشكل قد يرى الشيطان حقيقة خارجية ، أى أنه لا يتخلص من الهذاء الطفلى . ذلك أنه لا يزال يعيش فى عالم العفاريت والغيلان التى اكتنفت طفولته الأولى ، ولا يزال خوفه من الواقع حائلا دون الاندماج فيه ، والبعد عن الواقع مذكيا لمخاوفه الهذائية . وكذلك حال الأطفال ضعاف العقول . أما الطفل السوى المتوسط الذكاء فينمو ادراكه لواقع الحياة بالتدريج ، ويعزز نموه ذاك ما يلقاه من عطف وتوجيه رقيق من بيئته . وكلما نما ادراكه للواقع ، قربت الشقة بين عالمه الداخلى (عالم المشاعر والأخيلة) وبين عالم الواقع الخارجى (الذى يعمره الناس ، لا الشياطين والملائكة والمردة) ، ذلك العالم القائم على الحقائق الاجتماعية ، حيث يستطيع الطفل أن يجد له مكانا . هنالك تتزحزح الشياطين من العالم الخارجى ، وتصبح مجرد رموز

لنزعات داخلية ينكرها الطفل ويناهضها ويستعين بالله (السند الأخلاقى) على مغالبتها .

ويتعارض مع فكرة الشيطان فكرة الملاك ، الذى يتصوره معظم الأطفال نتيجة عملية تأليفية : يجردون الجوانب الميثولوجية من الأم ، ويفصلونها عن الجوانب الانسانية ، ويؤلفون منها صورة قدسية هى الملاك [1] » .

يستخلص من ذلك أن الشيطان اسقاط فى الخارج لنزعات العداء والكراهية المكبوتة أو للعقد اللاشعورية . وسنرى فى الفصول التالية أن هذه النزعات وتلك العقد هى من أهم الدوافع النفسية للكابوس . فالدوافع اللاشعورية المكبوتة التى يتسبب عنها الكابوس ، أسقطت فى الخارج ، فى الشيطان . ومن هنا كان اعتقاد العامة بأن الكابوس من الشيطان ينطوى على فراسة . اذ أن الدلالة الخارجية وهى الاعتقاد بأن الكابوس من الشيطان ، هى ذاتها الدلالة اللاشعورية . والاعتقاد الشعبى ان هو الا « سيكولوچيا أسقطت فى العالم الخارجى » .

الكابوس يجيىء فى الحجرة التى رقد فيها ميت خطا فوقه قط :

يعتقد العامة فى مصر أن وفاة الميت ليلا تتطلب من أهله السهر والاحتراس خوفا من أن يدخل قط فيخطو فوق الميت ، فيكون

---

(١) تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق . تأليف الدكتور عبد المنعم المليجى . دار المعارف . ١٩٥٥ ص ١٨١ .

فى الحجرة التى رقد فيها هذا الميت كابوس . أى ينتاب من ينام فى هذه الحجرة بعد ذلك الكابوس .

ويسهل تفسير هذا الاعتقاد اذا اعتبرنا أن هذا الاحتياط من قبيل التابو (Taboo أى الأمور المحرمة ـ المتعلق منهـا بالموتى ، التى نجـد لها نظائر عند الجماعات البدائية المعاصرة . ومن بين التابو والتحوطات التى تتخـذها هذه الجماعات عند الوفاة [١] ، عدم لمس الميت . فكل من لمسه يصبح نجسا ويعزل ، ويحرم عليه دخول مسـاكن الآخرين أو الاقتراب منهم . ولا يستطيع لمس طعامه بيديه ، لذلك يطعمه غيره . ويقوم بطقوس معقدة لتطهير نفسه . ومن الأمور المحرمة كذلك عدم النطق باسم الميت ، لذلك يعطى له ، ولكل من كان سميه أسـماء أخرى . ومنشأ هذا التابو الخوف من عودة روح الميت أو تحولها الى شيطان [٢] . وقد بين فرويد أن الشيطان (أى عفريت الميت) ان هو الا اسـقاط فى العالم الخارجى لنزعات العداء والكراهيـة المكبوتة نحو الميت فى لاشعور كل فرد من أهله . فالعلاقة بين أفراد العائلة تنطوى على التناقض الوجدانى الذى أشرنا اليه وهذا التابو الذى يتقيد به أهل الميت ، كالخوف من لمسه ، وعدم النطق باسمه ؛ ينم عن عدائهم وكراهيتهم اللاشعورية المكبوتة

---

(١) J. G. Frazer : " The golden Bough " Macmillan, 1950. P. , 205 , P. 251

(٢) S. Freud : "Totem and Taboo", P.87 — 92

نحوه . وتسقط هذه النزعات المكبوتة فى العالم الخارجى ، فى الشيطان الذى يخشاه أهل الميت ، ويتخذون التابو لحماية أنفسهم من ايذائه وشروره .

وكذلك الخوف من مرور القط فوق جسد الميت ، هو خوف من أن تتحول روحه الى شيطان . فالعامة فى مصر تعتقد أن القط يتقمص عفريت الميت أو تتناسخ فيه روحه . ولهذا الاعتقاد نظير فى المعتقدات الخرافية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى فى أوربا [1] . ومنها أن الشيطان يتجسد فى شكل قط . وأن القط اذا خطا فوق جسد الميت أو فوق قبره أو مر تحت تابوته ، تحول الميت الى ذئب يتقمص روحه ويمتص الدماء (Vampire) . كما أن العلاقة وثيقة فى تلك المعتقدات بين القطط والساحرات فقد تتحول الساحرة الى قط ، أو يصحب الساحرة شيطان تابع فى شكل قط . وهذه الكائنات الخرافية التى تتجسد فيها القطط سواء أكانت شيطانا أم ذئبا أم ساحرة تظهر ، كما يظهر القط نفسه ، فى صور الكابوس .

فالاحتياط من مرور القط فوق جثة الميت خوفا من الكابوس ، منشأه الخوف من أن تتحول روح الميت الى شيطان . والخوف من أن تتحول روح الميت الى شيطان ، منشأه نزعات العداء والكراهية المكبوتة نحوه من أهله ، التى أسقطت الى الخارج ،

---

(١) Ernest Jones : Ibid, P. 160, 234, 204.

فى الشيطان . وروح الميت تتحول الى شيطان اذا خطـا فوق الميت قط ، لأن القط يتجسد فيه الشيطان . وحيث أن الكابوس من الشيطان ، فالحجـرة التى رقد فيها ميت تحولت روحه الى شيطان ، نتيجة لتخطية قط فوقه ، يظهر فيها الكابوس .

الفصل الثالث

طريقة فرويد في تفسير الأحلام

« الحلم تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة . »

انه من العسير حقا أن نوجز طريقة فرويد فى تفسير الأحلام فى مثل هذا الحيز الضيق . الا أننا نعتقد أن عرضا مجملا للمبادىء الأساسية لطريقة فرويد فى تفسير الأحـلام ، لا غنى عنه لفهم نظريات تفسير الكابوس الواردة فى هذا الكتاب ، والتى يدين أصحابها على اختلاف مذاهبهم بطريقة فرويد . فقد أفادوا جميعهم من أصولها وقواعدها على الرغم من اختلافهم بعد ذلك معه فى نواح كثيرة .

ويعتبر فرويد أول من وضع أصول طريقة تفسير الأحلام على أســاس علمى . ومن أهم أصول طريقتـه التميز بين المضمون الصريح للحلم (Manifest dream) والمضمون الكامن له (Latent dream-thoughts فالحلم كما يرويه صاحبه هو المضمون الصريح . وما يحاول المفسر أن يصل اليه هو المضمون الكامن . والمضمون الصريح له علاقة وثيقة بذكريات يوم الحلم ، وبالخبرات السابقة ، وبالمؤثرات الحسية . ونستطيع أن نصل الى الأفكار اللاشعورية الكامنة بواسطة التداعى الحر ، وبتـأويل مدلول رموز الحلم .

والتداعى الحر هو ما يرد من خواطر وأفكار فى ذهن الحالم على صور وأجزاء الحلم . فيطلق صاحب الحلم كلامه وما يتداعى فى ذهنه على كل فقرة من فقرات الحلم اطلاقا تلقائيا لا خفاء فيه ولا

استحياء . وليس التداعى الحر هو الأفكار الكامنة . وانما يختار منه المفسر ما له قيمة بحسب خبرته . واذا استعصى التداعى ، يلجأ المفسر الى تأويل مدلول الرموز . فالتداعى الحر يقوم به صاحب الحلم، أما تأويل مدلول الرموز فيقوم به المفسر . وأحيانا تكون رموز الحلم من الوضوح بحيث يمكن ادراك مغزاه بمجرد سماعه . واذا كانت معرفة دلالات الرموز من أهم الأسس التى يقوم عليها تفسير الأحلام ، الا أنه لاغنى فى أغلب الحالات عن التداعى الحر .

ويعتبر فرويد الأحلام الطريق الرئيسى المؤدى الى اللاشعور [1] ويحتوى اللاشعور على العقد والنزعات والرغبات المكبوتة . ويرى فرويد أن أغلب هذه الرغبات المكبوتة رغبات جنسية ، وبصفة خاصة ما يرجع منها الى مرحلة الطفولة . فالأحلام فى نظر فرويد ما هى الا تحقيق لرغبات ، غالبا ما تكون رغبات جنسية طفلية مكبوتة . وهذه الرغبات المكبوتة تكدح فى سبيل الاشباع . فهى وان كانت مكبوتة ، الا أنها لم تخمد ولم تفقد القدرة على التأثير والظهور ، وانما ظلت حية تتحين الفرصة للافلات من الرقيب (Censor) والافصاح عن نفسها فى الأحلام .

---

(١) يميز فرويد ثلاث مراتب للحياة العقلية : ١ – الشعور ، ويشمل ذلك الجانب من الحياة العقلية الذى يكون فى ادراك الفرد فى لحظة ما . ٢ – وما قبل الشعور ، ويشمل ذلك الجانب من الحياة العقلية الذى لا يكون فى ادراك الفرد اى فى شعوره ، ولكن يسهل استدعاءه الى الشعور . ٣ – واللاشعور ، وهو أبعد مراتب الحياة العقلية غورا ، وأخطرها شأنا فى توجيه التفكير والسلوك . ولايمكن أن تصبح محتوياته شعورية الا بالتحليل النفسى . (شكل ٣) .

والرقيب وظيفة فى العقل فىطبقة ما قبل الشعور . وتغفل الرقابة أثناء النوم . والى هذه الوظيفة يسبب تخفى الحلم وتقنعه مما يجعل الحلم يبدو غريبا غامضا . والحلم اذ يعبر عن تحقيق وهمى لهذه الرغبات المكبوتة التى تظهر مقنعة أو فى صورة رمزية ، فانه يساعد على استمرار النوم . فوظيفة الحلم حراسة النوم .

ويتضمن تفسير الحلم مشكلتين [1] : الأولى ، عملية هى معرفة الدوافع اللاشعورية والأفكار الكامنة وراء المضمون الظاهر للحلم ــ وقد تكلمنا عنها فيما سبق . والمشكلة الثانية ، نظرية تتعلق بعمل الحلم (Dream - Work) أى بالميكانيزمات أو الحيل اللاشعورية التى تحولت بها الأفكار الكامنة فى الحياة العقلية للنائم الى المضمون الظاهر للحلم . ومن أهم هذه الميكانيزمات :

التكثيف :

بفضل عملية التكثيف (Condensation) [2] تندمج فكرتان كامنتان أو أكثر فى صورة مركبة هى ما يظهر فى المضمون الصريح للحلم أو الكابوس . وبذلك تكون مهمة المفسر تحليل هذه الصورة المركبة وارجاعها الى العناصر الكامنة التى اشتقت منها . وتتعرف على التكثيف حين نجد صورة شخص فى الحلم

---

(١) S. Freud : "New Introductory Lectures on Psycho-Analysis," The Hoganth press, 1949 , P. 19.

(٢) أنظر الامثلة رقم ١٣ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٥

مركبة من عدة أشخاص ، أو اسم مركب من عدة أسماء ، أو مكان تجمعت معالمه من عدة أماكن . والى هذا الميكانيزم يعزى كون الأفكار الكامنة للحلم عادة أضعاف المضمون الصريح له . وقد تتحد فكرتان كامنتان مختلفتان فى مضمون صريح واحد وبذلك قد نصل الى تفسير يبدو مقبولا للحلم ، ومع هذا نغفل معنى آخر محتمل له .

الابدال :

عملية الابدال (Displacement)[1] هى من فعل الرقيب . وهى اما ابدال عنصر بآخر ، أو ابدال المشاعر والانفعالات المتصلة به . فقد يبدل الرقيب عنصرا حرجا مكبوتا فى المضمون الكامن ، برمز برىء فى المضمون الصريح . ومثال ذلك « الابدال من أسفل الى أعلى » وهو الحيلة التى يفيد منها الكبت الجنسى ، والتى تتحقق بواسطتها الاحساسات والنوايا التى موضوعها النصف الأسفل من الجسم ، فى أعضاء أخرى منه ليس منها حرج . فالاخصاء فى المضمون الكامن يبدله الرقيب الى فقأ العين ، أو خلع السن ، أو قص الشعر فى المضمون الصريح . وقد ينقل الرقيب المشاعر والانفعالات المتصلة بدافع معين فى المضمون الكامن ، الى صورة أخرى فى المضمون الصريح ، فتكون نتيجة ذلك أحد أمرين : اما أن

(١) أنظر الأمثلة رقم ١٢ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٢

رمزا تافها جدا مثل قص الشعر فى الحلم ، ويكون مصحوبا بذعر وهلع . وغنى عن القول ان هذا الانفعال ينتمى الى المضمون الكامن وهو الاخصاء . والأمر الثانى على عكس ذلك فتكون الصورة فى المضمون الصريح فى حد ذاتها رهيبة مثل جنازة الأب أو أحد أفراد العائلة ، ولا يتأثر الحالم بها وتمر بفتور . وقد يكون ذلك راجعا الى أن الجنازة فى المضمون الصريح تخفى رغبة أخرى فى المضمون الكامن لا تدعو الى الحزن أو الانفعال .

التصوير المسرحى :

عملية التصوير المسرحى (Dramatization)[1] تمثل الأفكار المجردة الكامنة فى صور وحوادث فى المضمون الصريح . فالحاجة والفاقة ، أو الشعور بالنقص ؛ تمثل فى حلم الحفاء[2] . وفكرة وفاة شخص تتمثل فى ارتحاله أى سفره . ومن الأمثلة الطريفة لهذا الميكانيزم الحلم التالى ، وهو لأحد زملائنا المدرسين من بورسعيد .

٤ ــ حلم المدرس

« حلمت أنى أرعى الغنم ، وجلست فى مروى جافة ، فوجدت

---

(١) أنظر مثال رقم ٢٥ ، ٥٤

(٢) أنظر « حلم الحفاء » بقلم نجيب يوسف بدوى فى مجلة علم النفس ، عدد فبراير ١٩٥٢ مجلد ٧

تحت قدمى نقودا من فضة . وكلما تناولت منها قطعة عثرت على كثير غيرها .))

رعى الغنم تمثيل رمزى لرسالة المعلم . فالمعلم راع مسئول عن رعيته . وقد مارس كثير من الرسل والأنبياء رعى الأغنام . وكاد المعلم أن يكون رسولا . غير أن هذا الزميل يشعر بقلة الأجر الذى لا يتناسب مع سمو رسالته . ومن هنا جاء التعويض ، فوجد الفضة عند موطىء قدميه .

النكوص :

النكوص [1] (Regression) يبدو فى الارتداد الى مرحلة الطفولة ، أو الى مرحلة بدائية فى تاريخ الجنس . كما يبدو كذلك فى التعبير بالصور والرموز بدلا من الأفكار . وعملية النوم ذاتها ضرب من النكوص . ومن أهم مظاهر النكوص ظهور الرغبات الطفلية المكبوتة فى الأحلام .

القلب :

القلب [2] (Inversion) أى تكون الفكرة فى المضمون الكامن على عكسها فى المضمون الصريح . ومثال ذلك الضحك فى الحلم يدل على عكسه أى على البكاء والحزن فى المضمون الكامن . وميكانيزم القلب قد يبرر أحيانا الأخذ بطريقة تفسير

---

(١) أنظر مثال رقم ٥
(٢) أنظر مثال رقم ٣٢

الأحلام بالضد ، وهى من الطرق الشعبية الواردة فى الكتب القديمة لتفسير الأحلام .

الرمزية :

يقول فرويد عن الرمزية (Symbolism) انها أعجب فصل فى نظرية الأحلام . وهى عامل هام الى جانب الرقيب فى تخفى الحلم . وكثيرا ما تظهر لرموز الأساطير والعقائد نظائر فى رموز الأحلام . لذلك يمكن أن نسترشد فى تأويل الرموز فى الأحلام بمدلولات الرموز فى الأساطير والعقائد . والرموز عددها كبير جدا يقدر بالمئات . ولكن الأشياء التى ترمز اليها محدودة . فهى عبارة عن : الأعضاء التناسلية ، وأفراد العائلة ، والميلاد ، والوفاة . والرمزية فى نظر فرويد قائمة على النواحى الجنسية بصفة خاصة . وفيما يلى أمثلة ـ لا تقتصر على ما ذكره فرويد منها ـ لبعض الرموز ومدلولاتها :

فمن الرموز الدالة علىالقضيب : الثعبان . العصا . السكين. المسدس . المفتاح . القلم . المظلة . (والأشياء الطويلة والمستقيمة بوجه عام) والعين . والديك . ورقم ٣ .

ومن الرموز الدالة على فرج المرأة : الكهف . الفرن . القفل . الصندوق . (والأوعية المجوفة بوجه عام) والدبلة . وحدوة الحصان .

ومن الرموز الدالة على المرأة : المنزل . الحجرة . الطاحونة . العباءة .

ومن الرموز الدالة على العملية الجنسية : صعود السلالم أو نزولها ــ الطحن (والدلالة مأخوذة من قصة شمشون ودليلة) ــ الحرث ــ الطيران .

ومن الرموز الدالة على المنى : البـــذور . الملح . الخمر . الدموع .

والميلاد يرمز له بالخروج من الماء . والموت يرمز له بالارتحال أو السفر . والأطفال يرمز لها بصغار الحيوان والطير .

نكتفى بهذا القـــدر من مبادىء وأصـــول طريقة فرويد فى تفسير الأحلام التى تعتبر الأساس العـــلمى الذى لا غنى عنه لفهم الأحلام ، والذى أنار السبيل أمام كل مشتغل بتفسيرها .

***

ويلاحظ أن فرويد فى تفسيره الأحلام يغـــالى بعض الشىء فى اعتبار الرغبات الجنســـية المكبوتة أهم دوافع الأحـــلام . حقيقة ان الرغبات الجنســـية من أقوى الدوافع التى تتعرض للكبت نتيجة للتربية والأوضـــاع الاجتماعية . الا أن النزعات الأخرى كذلك كالخوف والعداء والكراهية والغضب والسيطرة .... عرضة للكبت والصراع ، وبالتـــالى قد تكون الى جانب الرغبات الجنسية ، دوافع كامنة للأحلام . ومثـــال ذلك أحلام الخوف التى تنتـــاب الجند والتى تكرر خبرات المعارك . مثل هذه الأحلام المخيفة لا يمكن تفسيرها على أســـاس الرغبات ،

ولا على أساس الجنس ، ولا على أساس أنها تحرس النوم . وكذلك أحلام الجزع وأحلام العقاب يتعذر أن تتبين فيها أية رغبات محرمة . وغالبا ما يظهر فى صورتها النهائية الأثر الحاسم للقوى الكابتة للعقل أو « الذات العليا » وقد اعترف فرويد فى كتاباته الأخيرة بأن أحلام الجزع وأحلام العقاب تعبر عن أثر « الذات العليا » أو الضمير ، وتعتبر تحقيقا للرغبة فى الشعور بالذنب . فهى تحل العقاب المناسب محل الشهوات المحرمة . غير أن صورتها النهائية المؤلمة أو المفزعة تتعارض مع اعتبارها تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة .

وهذا النقد ذاته يوجه الى تشبثه بالدلالة الجنسية للرموز . ويوجه الاعتراض أولا الى تعسيمه لدلالة الرموز ، واعتبارها ثابتة . ثم يوجه الاعتراض مرة ثانية الى اعتباره هذه الدلالة جنسية . أما كون دلالة الرموز عامة وثابتة ، فقد أصبح الاعتقاد السائد الآن بين المشتغلين بتفسير الأحلام ، أنه الى جانب بعض الرموز العامة التى لها دلالة ثابتة ، وبصفة خاصة تلك الرموز القديمة الذائعة الانتشار التى لها نظائر فى مدلولات العقائد والأساطير ، هناك رموز أخرى فردية خاصة ، أى تختلف دلالتها من فرد الى آخر . ويذهب شتيكل [1] الى حد القول بأنه ليس للرموز دلالة ثابتة . وأن لكل فرد رمزية

---

(1) W. Stekel : The Interpretation of Dreams, Liveright, 1934, Vol. I p. 308.

خاصة به تظهر فى أحلامه . أما عن اهتمام فرويد بالتأويل المادى للرموز ، واعتبارها رموزا جنسية ، فقد ثبت أن كثيرا من الرموز تقبل تفسيرين أحدهما مادى والآخر وظيفى . ومن أمثلة التفسير الوظيفى لبعض الرموز السالفة الذكر ، اعتبار الثعبان رمزا للمعرفة أو الحكمة أو العدو . والدبلة رمزا للزواج . والصعود رمزا للطموح أو الرفعة . والديك رمزا للخيانة (لقول السيد المسيح عليه السلام لبطرس الرسول : ستنكرنى ثلاث مرات عند صياح الديك .) والنار رمزا لجهنم وعذاب الآخرة ...

ويعنى التفسير الوظيفى أساسا بالمضمون الصريح للحلم .

ونتناول فى الفصلين التاليين بالتحليل أمثلة لبعض أحلام الجزء مما تقبل تفسيرين أحدهما تفسيرا ماديا على طريقة فرويد . والآخر تفسيرا وظيفيا .

الفصل الرابع

الأحلام المزعجة

التفسير المادى والتفسير الوظيفى

أثارت الأحلام حيرة النـاس ودهشتهم منذ فجر التاريخ . والأحـلام قديمة قدم الانسـان نفسه . وليس لها بداية يمكن للتاريخ أن يسجلها . وقد يكون ما سجل عنها فى التوراة وفى التاريخ المصرى القديم ، أقدم ما نعرفه عنها .

فقد كان لقدماء المصريين اله للأحلام هو « بس ـ Bess » وقد نقشت صورته على كثير من الوسائد التى كان المصريون القدماء يضـعون عليها رؤوسـهم . كذلك كشف حديثا عن « الكتاب المصرى الحقيقى للأحلام[1] » الذى يرجع تاريخه الى الدولة الحديثة . وهو مؤلف على غرار كتب الأحلام القديمة ، وتشبه بعض تفسـيراته ما يزال شائعا بيننا من تفسـيرات : « فمن يرى نفسـه ميتا فهو يعيش حيـاة طويلة ؛ ومن يحلم بسقوط أسنانه فان قريبا له يموت ؛ ورؤية المرء نفسه فى المرآة فأل سيىء ، ومعناه زوجة ثانية . ومن يحلم بقطة كبيرة ، فانه ينال محصولا وفيرا ؛ ومن يتسلق سارية سـفينة رفع الاله من

---

(1) « ديانة مصر القديمة » تأليف « أدولف أرمان » وترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر . ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩

شأنه . أما من يحلم بأنه يأكل تينا وعنبا ، كان ذلك دلالة على المرض ... »

هذه التفسيرات جزء من التراث الميثولوچى الذى تناقلته الأجيال . ويمكن أن تتبع بعض دلالات هذه الرموز من قدماء المصريين الى قدماء اليونان الى المسلمين فى العصور الوسطى . كما نجد نظائر لها عند سكان افريقية الوسطى ، وفى التفسيرات الشعبية السائدة بيننا حتى الآن .

فنجد من هذه الدلالات ذاتها فى تفسير أرطميدورس [١] اليونانى الذى عاش فى القرن الثانى للميلاد : « فسقوط الأسنان تدل على فقدان أحد أفراد الأسرة . ويدل هبوط السلالم على الهبوط الى مستوى طغام الناس . أما رؤية المرء نفسه فى المرآة فنذير بموته ... »

ولهذه الدلالات نظائر فى تفسير ابن سيرين [٢] : « فمن مات من غير مرض ولا هيئة من يموت فان عمره يطول [٣] . (ص ٤٤) أما سقوط السن فى الحلم فينبىء عن وفاة قريب . (ص ٦٣) ومن كان عزبا ورأى نفسه فى المرآة فانه يتزوج . (ص ٢٦٥)

---

(١) « الاحلام » تأليف الدكتور توفيق الطويل ، مكتبة الآداب ، سنة ١٩٤٥ ، ص ١٩٥ — ٢٠٠

(٢) محمد بن سيرين هو امام التعبير عند المسلمين (مات سنة ٧٢٨م — ١٠٨هـ) وهذه الدلالات مأخوذة من كتابه « منتخب الكلام فى تفسير الاحلام » دار الطباعة الخديوية ببولاق — سنة ١٢٨٤ هـ ، وأمام كل منها رقم الصفحة .

(٣) أنظر كابوس الدفن حيا فى تابوت مغلق رقم ٤٤

أما صعــود شجرة أو ارتقاء تل أو سلم فمن أســباب العلو والرفعة . (ص ١٩٣) أما أكل التين فى الحلم فندامة وهم وغم (ص ٢٩٣) ... »

فهل من علاقة بين تفسيرات القدماء ، وتفسيرات المحدثين ؟

ان هذه التفسيرات القديمة تشترك فى أمرين : الأمر الأول أنها اما دلالات ميمونة ، أو دلالات مشئومة . فأحلام يتفاءلون بها ، وأخرى يتطيرون منها .

والأمر الثانى ، أنها تنبؤية ــ أى يعتقد العامة فى أن لها دلالة على المستقبل .

لنستبعد القيمة التنبؤية التى يضفيها العامة على هذه الأحلام، على اعتبــار أنها ترجع الى الارتبــاط الشرطى بين رموز هذه الأحلام ودلالتها من ناحية ، وحوادث المصادفة الخارجيــة من ناحية أخرى . ولنقصر اهتمامنا على دلالات هذه الرموز وحسب. وهذا هو ما تعنى به أساسا « طريقــة التحليل الوظيفى » التى تتخــذ نقطة البدء فى تفسير الحلم فحص التفســيرات الشعبية القديمة له ، عسى أن يكون لها بعض المغزى . والتى ترى أن فى خلود بعض التفسيرات على مر الزمان وذيوعها ، وفى العلاقات بينها وبين دلالات الرموز فى العقائد والأســاطير ... ما يحول بيننــا وبين استــبعادها بافتراض أنهــا خــرافات . ولقــد جربنا هــذه الطريقــة فى كثير من أحــلام الفــرج وأحــلام

الضيق [1] ، والأحلام التنبؤية [2] فبهرتنا الفراسة فى اختيار دلالات الرموز فى بعض هذه التفسيرات القديمة . وتبينا فى اثنى عشر حلما تنبؤيا أن الدلالة القديمة قد تكون هى ذاتها الدلالة اللاشعورية. بمعنى أنه : لا يموت لك قريب لأنك حلمت بسقوط السن ، وانما حلمت بسقوط السن [3] لتمنياتك اللاشعورية السابقة لقريب بالموت . ولا ترتقى أو ترتفع لأنك صعدت فى الحلم ، وانما صعودك فى الحلم تعبير عن طموحك وتطلعك الى العلا . ولا تأتى الندامة لأنك أكلت التين فى الحلم ، وانما أكلت التين فى الحلم من وطأة الندم ... وهكذا . وقد تتفق هذه الدلالات « الوظيفية » القديمة مع تفسيرات المحدثين من علماء التحليل النفسى ، وقد لا تتفق .

والدلالات « الوظيفية » هى التى استرشدت بمدلولات الرموز فى العقائد والأساطير والطقوس ... والتى لها علاقات وثيقة بهذه المجالات مثل تأويل البكاء فى الحلم بأنه بشير بالفرج ؛ وأكل التين فى الحلم بأنه ندامة وهم وغم ؛ والنار المشتعلة بأنها مصيبة .

---

(١) « الفرج والضيق فى أحلام المصريين » فى مجلة علم النفس — عدد فبراير ١٩٥٣ . ص ٣٣٩ — ٣٦٠

(٢) « التحليل الوظيفى للأحلام التنبؤية » فى الكتاب السنوى لعلم النفس — عدد يناير ١٩٥٤ . ص ١٨٥ — ٢٠٥

(٣) أنظر مقالنا « فقدان الأسنان فى الأحلام » فى مجلة علم النفس — عدد اكتوبر ١٩٥٢ . ص ١٩٧ — ٢١١

٥ ـ البكاء فى الحلم :

التفسير المادى للدموع فى الحلم هو أنها رمز بديل للمنى ـ اذا ما أخذنا فى الاعتبار « الابدال من أسفل الى أعلى » . ومن أمثلة هذا الحلم ما رواه لى صديق ، رأى أنه : « يقبل خطيبته وهو يبكى . »

التفسير الوظيفى يمثله تفسير ابن سيرين ص ٢٩٣ القائل بأن البكاء فى الحلم بشير بالفرج وليس من محض المصادفة اتفاق هذه الدلالة مع الأسطورة المصرية القديمة التى تنسب فيضان النيل الى الدموع التى تسكبها ايزيس حزنا على زوجها أوزيريس . وعند ما يأتى الفيضان يعم الفرج والرخاء . وسبب هذا الفرج بكاء ايزيس . وظلت الأسطورة القديمة حية فى تراثنا الميثولوجى، وبدت فى تأويل العامة للبكاء فى الحلم بأنه بشير بالفرج . وقد تكون الدلالة التنبؤية ، هى ذاتها الدلالة اللاشعورية بمعنى أنك لا تنل مرادك ويأتى الفرج لأنك بكيت فى الحلم ، وانما بكيت فى الحلم لتطلعك الى الفرج ـ والميكانيزم هنا هو النكوص ، أى الارتداد فى الحلم الى مرحلة الطفولة الأولى عند ما كان نيل المطالب بالبكاء .

٦ ـ النظر فى المرآة :

ورؤية المرء نفسه فى المرآة فى الحلم فأل سيىء ، ودلالتها المرض أو الموت . والعلاقة وثيقة بين التطير من هذا الحلم ،

واعتقاد بعض الجماعات البدائية أن خيال الانسان فى الماء أو ظله على الأرض هو روحه . وأن مايحدث للظل أو الصورة ، يحدث كذلك لذات صاحبها . فان أصابت الصورة المنعكسة أو الخيال ضربة أو طعنة ، ألمت بصاحبها نفسه وعاناها . ونسجت حول هذا الاعتقاد طائفة كبيرة من الأمور المحرمة (التابو) أفرد لها چيمس فريزر فصلا كاملا فى كتابه المشهور « الغصن الذهبى » ومن أمثلتها اعتقاد الزنوج فى أعالى النيل أن التمساح قد يخطف الروح أو الظل المنعكس على الماء ، فيموت صاحبه . وخوف البدائى من سكان استراليا الأصليين من أن يقع على جسمه خيال حماته ! ولهذه الاعتقادات نظائر فى المجتمعات الحديثة . فعند حدوث وفاة فى المنزل . تقلب السجاجيد ، وتغطى المرايا أو تدار أوجهها الى الحائط ..كما يتطير العامة من المرآة المكسورة.

والتطير من رؤية المرء نفسه فى المرآة أو على صفحة الماء واعتبارها نذير سوء يذكرنا بنرجس الفتى الجميل فى الأسطورة اليونانية ، الذى هام حبا بصورته التى انعكست على صفحة الماء ، وطال نظره اليها حتى أضناه عشقه لذاته فسقم ومات . وحولته الآلهة الى الزهرة المعروفة باسمه .

و « النرجسية » أو عشق الذات مرحلة هامة فى نمو الغريزة الجنسية ، وفيها تلتمس اللذة الجنسية من « الأنا » أو الذات . ويؤدى انحسار طاقة « الليبدو » (الشهوة الجنسية) الى الذات ، وتراكم هذه الطاقة وعدم تعلقها بموضوعات خارجية الى أنواع من الذهان (المرض العقلى) .

فالعلاقة اذن وثيقة بين المرض العقلى ، والأسطورة ، والأمور المحرمة عند البدائيين، ودلالة الحلم القديمة فيأرطميدورس وعند قدماء المصريين . وهذه العلاقة تبين أن الدلالة القديمة اذا كانت قد خلدت فى التراث الميثولوجى ، وتناقلتها الأجيـال من أيام قدماء المصريين وقدماء اليونان حتى الآن ، فما ذلك الا لأن لها وظيفة كما تنطـوى على فراسة . فرؤية المرء نفسه فى المرآة فى الحلم ، يصح اعتبارها عرضا (Symptom) يدل على تثبيت عند المرحلةالنرجسية أو ارتداد اليها ، كما يصحاعتبارها نذيرا . فالدلالة التنبؤية القديمة هى ذاتها الدلالة اللاشعورية التى يقول بها رجال التحليل النفسى .

٧ ـ أكل التين فى الحلم :

ليس من شك فى أن هناك نوعا من الحتمية فى تفسير العامة لأكل التين فى الحلم بأنه ندامة وهم وغم . ويفسر الأستاذ الامام الشيخمحمدعبده الآيةالكريمة : «والتينوالزيتونوطورسنينوهذا البلد الأمين» بأنها قسَم : فالتين رمزلآدم، والزيتون رمزلنوح، وطور سنين رمز لموسى ، وهذا البلد الأمين رمز لمكة المكرمة أو لدعوة النبى عليه السـلام . والتين رمز لآدم لأنه حين ارتكب المعصية الأولى وأكل من الشجرة المحرمة ، عرف هو وحـواء أنهما عاريان . وسترتحواء عورتها بأوراقالتين . وشعر الاثنان بالنـدامة ، وحلت عليهما النقمـة . فهل يستطيع اللاشعور أن يجسم الأفكار المرتبطة بسقطة آدم وهى (الندامة والهم والغم)

فى رمز ؟ وهل هناك أنسب من التين كرمز مجسم لفكرة الندامة ؟ وبذلك يكون المضمون الكامن للحلم فكرة الندامة ، والمضمون الصريح له أكل التين . والتأويل القديم لا يخلو من فراسة . الا أن دلالة الرمز التنبؤية فى الخارج ، هى ذاتها الدلالة اللاشعورية فى الداخل (شكل ١) وعلى ذلك : لا تأتى الندامة لأنك أكلت التين فى الحلم ، وانما أكلت التين فى الحلم من وطأة الندم .

٨ ــ النار المشتعلة :

ليس لحلم من الأحلام وقع أسوأ مما لهذا الحلم فى نفوس العامة. فهم يبالغون فى التطير منه ، ويصيبهم منه الذعر والهلع . ويرى العامة أن هذا الحلم ينذر بحدوث مصيبة . وهذا التأويل قديم وذائع الانتشار . وفى أرطميدورس تدل النار فى السماء على الحرب أو المجاعة أو القحط .

التفسير المادى : أشار فرويد الى هذا الحلم اشارة عابرة فى سطرين يقول : « تأويل الأحلام بالنار يبرر التحذير منذ عهد الطفولة الذى يحرم على الأطفال اللعب بالنار حتى لا يبللوا الفراش ليلا » ويقرر ارنست جونز صراحة أن النار رمز للبول. وللقارىء أن يتساءل هل هذه الملاحظة هى كل ما يقدمه العلم لمن أصابه الذعر من هذا الحلم ؟

التفسير الوظيفى : قد يكون التحذير من نار جهنم وعذاب الآخرة أفعل فى النفوس ، وبالتالى أدعى الى اثارة مثل هذا الحلم . وفى تفسير ابن سيرين ص ٢٢٩ هذا المعنى : « ربما دلت

النار على جهنم نفسها وعلى عذاب الله . وربما دلت على الذنوب والآثام والحرام وكل ما يؤدى اليها أو يقرب منها من قول أو عمل . » ويحتمل أن تكون الدلالة التنبؤية ، هى ذاتها الدلالة اللاشعورية (شكل ١) . فالنار فى الاعتقاد الشعبى وفى الديانة يستدعى دلالة هى المصيبة وعذاب الآخرة . فاذا ما توفرت هذه الدلالة كمضمون كامن ، برز منها رمز مؤات ، هو النـــار فى المضمون الصريح للحلم . وعلى ذلك : لاتحدث مصيبة لمن حلم بنار مشتعلة ، وانما حلم بنار مشتعلة لتوجسه الشر ، أو لخوفه من العقاب على اثم أو ذنب .

(شكل ١)

(شكل ١) الرمز أو الصورة تقترن فى التراث الميثولوجى بدلالة معينة . فاذا ما توفرت هـذه الدلالة كمضمون كامن ظهرت الصـــورة فى المضمون الصريح للحـلم .

الثعبان :

الثعبان من أهم الرموز التى تظهر فى أحلام كثير من الناس . كما تتردد فى الأساطير والأديان والقصص الخرافية . لذلك يسترشد رجال التحليل النفسى فى تفسير هذا الرمز بمدلوله فى هذه المجالات . ويقبل هذا الرمز تأويلين : تأويلا « ماديا » ، وتأويلا « وظيفيا » .

والتأويل المادى تأويل جنسى ، فالثعبان يرمز الى عضو التذكير . ويوضح هذا المغزى الحلمان التاليان :

٩ — فتاة فى دور المراهقة ، حلمت بثعبان ذى رأس كبير . فارتاعت منه .

١٠ — شيخ أمى محطم حلم برأس جمل يتحرك يمينا ويسارا ، ثم تحول الى ثعبان يتراقص أمامه .

أما التأويل الوظيفى للثعبان ، فيتضمن دلالات كثيرة :

(١) فقد يدل على الحكمة والمعرفة . ويتفق هذا التأويل الوظيفى مع التأويل المادى . فالعملية الجنسية يشار اليها بأنها عملية معرفة ، كما فى اشارة التوراة الى من عرف امرأته . كما أن النضج الجنسى علامة على المعرفة والحكمة كما فى قصة آدم وحواء . فقد أكلا من شجرة المعرفة ، وهى معرفة جنسية . واعتذر آدم بأن حواء هى التى أغرته بالفاكهة ، وهى رمز للثديين . أما حواء فقد أغواها الثعبان ، وهو رمز لعضو التذكير .

(٢) وقد يدل الثعبان على الشفاء . فالثعبان الذى رفعه سيدنا

موسى فى البرية بحيث يبرأ كل من ينظر اليه ، هو رمز للشفاء . ولذا اتخذ شعارا يرسم على واجهات الصيدليات .

(٣) وقد يدل الثعبان على العدو ، كما فى تفسير ابن‌سيرين : « وأما الحيات فانها أعـداء ، وذلك أن ابليس اللعين توسل بها الى آدم عليه السلام . » ص ١٦٠

(٤) وفى أرطميدورس : « اذا تعقب الثعبان رجلا فى أحلامه ، فعليه أن يحترس من كيد النساء . »

للثعبان اذن دلالات كثيرة . فقد يرمز الى القضيب ، أو المعرفة والحكمة ، أو الشـفاء ، أو العدو ، أو كيد النســاء ... فهل تساعدنا أية دلالة من هذه الدلالات فى تفسير الحلمين التاليين ؟

١١ ــ سيدة ريفية فى نحو الثلاثين من عمرها ، جلست ترضع طفلها . ثم نامت والطفل فى حجرها . فحلمت بثعبان كبير اقترب منها ثم زحف ببطء حتى استقر فى حجرها ، فخافت ومن أعماقها صرخت ، دون أن يسمع لها صوت : « ياسى داوود يا عزب ، ياسى داوود ياعزب .. انجدنى .. » ثم استجمعت قوتها وانتفضت قائمة ملقية بالثعبان من حجـرها الى آخر القاعة . وأفاقت على صراخ الطفل .

١٢ ــ سيدة فى نحو الخامسة والعشرين من عمرها ، رقدت على سريرها ترضع طفلها . ثم نامت والطفل على ذراعهـا التى تخـدلت (نملت) فحلمت بثعبان يزحف فوق يدها حتى استقر فوق الرسغ والعضد . فاستجمعت قواها وصرخت وألقت بالثعبان

الى الحائط وقامت فزعة وهى ترتجف . وتنبهت الى صراخ الطفل بجوار الحائط .

اذا استعصى على القارىء اختيــار دلالة من دلالات الثعبان الكثيرة السالفة الذكر ، فسرجع ذلك الى ضرورة التداعى الحر من صاحب الحلم . مهد المنبه الحسى لكلا الحلمين : فالمنبه الحسى فى الحلم الأول هو احساس الأم بثقل الطفل فى حجــرها . وفى الحلم الثانى هو احســاس الأم (بتنميل) ذراعها . ولكن من المعروف أن الأم تنام عن جميع المؤثرات ، وتظل منتبهة بالنسبة لطفلها . فلم أبدل الطفل بالثعبان ؟ يلوح أن الثعبــان هنا رمز للطفل غير المرغوب فيه . ومعرفتى بظروف صاحبة الحلم الثانى تؤيد ذلك . فقد كان الطفل بالنسبة لها عبئا ثقيلا حد من حريتها وقيدها الى زوجها الذى لم تكن تحبه والذى انفصلت عنه فيما بعد بالطلاق . فالثعبان فى هذا الحلم أتاح لنزعات العداء والكراهية المكبوتة فى لاشعور الأم نحو الطفل فرصة التنفيس عن نفسها . وقام الرقيب بحيلة لاشعورية هى عملية ابدال الطفل بالثعبان ، حتى تجد هذه الانفعالات لها منصرفا . ولذلك عاملت الأم فى هذا الحلم الطفل ، وكأنه ثعبان فألقت به بعيدا .

أما الحلم الأول فقد سمعته من غير صاحبته . فسجلته بجوار الحلم الثانى لوجه الشبه الكبير بينهما .

١٣ ـ الأعمى والعصا :

الحاجة سميحة سيدة أمية جاوزت السبعين من عمرها . حلمت

فى أول الليـل : ((أن عليا أصغر أبنائها أعمى ويتحسس طريقه ، فذعرت وصرخت . ثم التفتت فوجدت الشيخ حسن ـ ابنها الأكبر منه ـ ممسكا بعصاته الغليظة .)) ثم استيقظت .

لقد خيـل اليها أن هذا الحلم انما يكرر الواقع فى شىء من المبالغة : فعلى نظره ضـعيف ويضع نظارة سميكة . وتعـود الشيخ حسن على أن يمسك عصا كبيرة فى يده . غير أن تحليل هذا الحلم كشف عن دلالات أخرى هامة تفوق هـذه الدلالة السطحية . ويقبل هذا الحلم تفسيرين : أحدهما « مادى » ، والآخر « وظيفى » .

التفسير المـادى :

قد يكون العمى رمزا للارتخـاء أو للاخصـاء أو للبعد عن المسـائل الجنسية ـ اذا أخـذنا فى الاعتبـار « الابدال من أسفل الى أعلى » وقد تكون العصا رمزا جنسـيا مذكرا . وقد أيد التـداعى الحر هذا المعنى فقالت : ان عليـا خجول ومغمض ، ولم ير الدنيـا ، أى لم يتزوج كباقى اخوته . أما الشيخ حسن فمتزوج وعنده ستة أولاد . وعلى ذلك فالتفسير المادى تفسـير جنسى يعتبر دافع الحلم تفكير الأم فى الحـالة الجنسـية لولديها والموازنة بينهما . فعمى على رمز لبعده عن المسائل الجنسية ، أو كما قالت لأنه مغمض . أما عصا الشيخ حسن فرمز لفحولته .

التفسير الوظيفى :

علمت بالتداعى الحر كذلك أن عليا والشيخ حسن معتقلين (وقت حدوث الحلم ، وقد أفرج عنهما فيما بعد) على متهم بالشيوعية . والشيخ حسن كان من الاخوان . وقد يكون التفسير الوظيفى لعمى على ، أنه ضل وانحرف عن جادة الايمان اذ اعتنق الشيوعية . وفى هذا المعنى يقول ابن سيرين : « وأما العين فدين الرجل وبصيرته التى يبصر بها الهدى والضلالة » ص ٦٢ ، وقد يبدو هذا التفسير غير موضوعى أو متحيز ! غير أن التفسير الوظيفى للعصا يؤيده وهو أنها رمز لصحة الايمان والتدين . وهذا المعنى موجود فى التوراة فى سفر الأمثال (الأصحاح الثانى والعشرين والخامس والعشرين .) ومما يرجح كفة التفسير الوظيفى أن الأعمى أحوج ما يكون الى العصا . أى أن قلة ايمان على (أى عماه) يجعله أحوج ما يكون الى العصا أى الى الايمان وصحة الدين .

ولا بد أن القارىء قد لاحظ « ميكانيزم التكثيف » فعمى على قد يكون رمزا لضعف بصره ، أو لكونه يغض الطرف عن الأمور الجنسية ، أو لقلة ايمانه واعتناقه الشيوعية . وعصا الشيخ حسن قد تكون هى عصاته التى اعتاد أن يحملها ، وقد تكون رمزا لفحولته ، وقد تكون رمزا لايمانه وصحة دينه . وكل رمز منهما يلم بدلالات من طبقات ثلاث : من الشعور ، ومما قبل الشعور ، ومن اللاشعور . فالعصا ذاتها والنظارة السميكة من الواقع أو من الشعور . والتفسير الوظيفى من

طبقة ما قبل الشعور. أما الدلالة الجنسية فمن أعماق اللاشعور. والتفسير الوظيفي هنا لا يتعارض مع التفسير المادي . فمن الممكن وجـود كلا الدلالتين المادية والوظيفية جنبا الى جنب بفضـل « التكثيف » .

ويرى ارنست چونز [1] أن التفسير الوظيفي من طبقة ما قبل الشعور ، وأنه عبارة عن تعبير مجازي . أما التفسير المادي في نظره فهو أصدق وأبعد غورا ، اذ أنه يعبر عن مادة لاشعورية . فالرمز الحقيقي هو الرمز المـادي الذي يعبر عن فكرة كامنة تكون محرجة أو مخجلة ولذلك تكبت في اللاشعور ، ويشار اليها برمز حقيقي تعبيره مادي . وقد لاحظ ارنست چونز كذلك أن العصابي يرحب عادة بالتأويل الوظيفي « البريء » لأحلامه . ويعتبر ذلك التفضيل منه نوعا من المقاومة (Resistance) لتفادي الحرج الذي يؤدي اليه التعرف على المعزى المادي ــ على أن من الأحلام ما لا تفسير مادي لها . ومن أمثلتها .

من أحلام الحماة :

عجوز أشرفت على الثمانين من عمرها ، تستعد للقاء ربها في الحلمين التاليين :

١٤ ــ حلمت أن المرحومة خالتي قالت لي : تعالى أما أوريكي

---

(١) Ernest Jones : Papers on Psycho-Analysis, Ch. III

بيوت الآخرة . فسرت معهـا الى مكان خلوى بعيد وفيه مقابر كثيرة . ثم قابلتنـا المرحومة زوجـة أبى ، التى كانت تحبنى ، وسـألتنا : رايحين فين ؟ فقلت : رايحه تورينى بيوت الآخرة . فقالت : بدرى عليها بدرى . وأخذتنى معها ورجعنا .

١٥ ــ حلمت أنى أسـير مع المرحومة والدتى ، سرت معهـا مسـافة طويلة . وفى الطريق لاحظت أن طرف ثوبى ممزق عند ذيله . فاعتذرت لهـا وقلت : لا يمكننى أن أذهب معك وفستانى ممزق هكذا وطلبت منهـا أن تأذن لى بالرجـوع لابدال ملابسى وارتداء ثوب ملائم . فعدت ووجدت دولابى ممتلئا بالفسـاتين الجديدة ذات الألوان الزاهية ، وأخذت انتقى منها ثم استيقظت دون أن أعود الى والدتى .

فى هذين الحلمين تشعر الحالمة بدنو أجلهـا . ولكن نفسها ما تزال متعلقة بالدنيا . ويظهر شـعورها بأن آخرتها قد قربت فى الحلم الأول ، فى ذهابها لمعاينـة بيوت الآخرة . وفى الحلم الثانى فى السير مع المرحومة والدتها . ويظهر تعلقها بالدنيا فى الحلم الأول ، فى قول زوجة أبيها : بدرى عليهـا بدرى . وفى الحلم الثانى ، فى التعلل بأن طرف الفسـتان ممزق ، ورجوعها لابدال ثوبها . ثم اسـتيقاظها حتى لا تفى بوعدها ! وهذا هو التفسير الوظيفى للحلمين . وليس لهما تفسير مادى . والظاهر أن الحالمة أدركت دلالة كل حلم ، أثنـاء الحلم ! فوجهت دفة الشطر الثانى من كل من الحلمين ، لتفادى سـوء المصير الذى بدا فى الشطر الأول . وفى تفسير ابن سيرين : « من رأى كأنه

اتبع ميتا ولم يدخل معـه دارا أو دخل ثم انصرف فانه يشرف على الموت ثم ينجو » ص ٤٩ .

* * *

نستخلص من هذه الأمثلة أن التفسـير المادى للحلم يعنى بالمضمون الكامن ، وبالنزعات المكبوتة ، وبصفة خاصة النزعات الجنسية .

أما التفسير الوظيفى فيعنى بالمضمون الصريح للحلم واقتران صوره ورموزه بدلالات معينة فى المجال الاجتماعى . ويتخذ نقطة البدء الدلالات الشـعبية القديمة . فمن هـذه الدلالات ما لا يمكن اسـتبعادها ، لأنها دلالات وظيفيـة تنطوى على فراسة . وبصفة خاصة تلك الدلالات التى استرشدت بمدلولات الرموز فى الأديان والأساطير والطقوس القديمة . ومن أمثلتها : العلاقة بين البكاء فى الحلم واعتباره بشيرا بالفرج ، والأسطورة المصرية القديمة التى تنسب فيضان النيـل الى دموع ايزيس . والعلاقة بين التين باعتباره رمزا لمعصية آدم ، وتأويل العـامة لأكل التين فى الحلم بأنه ندامة . والعلاقة بين نار جهنم وعذاب الآخرة ، والحلم بالنـار المشتعلة ، واعتقاد العـامة أنه ينذر بمعصية . واقتران الديك بالخيانة فى الديانة المسيحية ، واعتبار الديك فى الحلم رمزا للخيانة .. وهكذا مثل هذه الدلالات القديمة الذائعة الانتشـار لم تبق فى تراثنا الا لأن لها وظيفة ، وتمثل

جزءا لا غنى عنه فى نظام من العلاقات . والقيمة التنبؤية لهذه الرموز لا تعنينا ، وانما تعنينا دلالاتها فحسب . وغالبا ما تكون الدلالات التنبؤية فى التفسيرات القديمة هى ذاتها الدلالات اللاشعورية .

ولا تصلح كل التأويلات القديمة لاخضاعها للتحليل الوظيفى. فكثير منها ينطوى على متناقضات . ولا يستوقف نظرنا منها الا تلك التأويلات التى استرشدت بمدلولات الرموز فى العقائد والأساطير والحكم والأمثال .. وعلى ذلك يمكن القول بأن تكرار الرمز فى مجالين أو أكثر ــ الحلم أحدهما ــ هو الذى يحدد صلاحيته للتحليل تحليلا وظيفيا . وهذا هو أساس الاختيار من بين التفسيرات القديمة .

الفصل الخامس

وفاة الأهل في الأحلام

« وأعداء الانسان أهل بيته . »

انجيل متى ــ الاصحاح العاشر فقرة ٣٦

الحلم بوفاة أحد أفراد العـائلة : الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو الابن أو أحد الأقارب من الأحـلام التى تدعو الى الدهشة والتطير ويحلم بها كثير من الناس .

ويميز فرويد [1] بين طائفتين من هذه الأحلام : فى الطائفـة الأولى لا ينفعل الحالم بالحلم انفعالا يذكر . وفى الطائفة الثانية يشعر الحالم بحزن عميق على وفاة الشخص المحبوب فى الحلم ، حتى انه يبكى وينتحب فى نومه . وهذه الطائفة من « الأحلام النموذجية » وهى تنم عن رغبة لاشعورية مكبوتة فى وفاة هذا القريب . ولايشترط أن تكون هذه الرغبة وقت حدوث الحلم . فقد تكون رغبة قديمة مكبوتة ترجع الى مرحلة الطفولة . وهذه الطائفة من الأحلام تمتاز بخاصية فريدة وهى أنها تظهر سافرة دون قناع . فالرغبة اللاشعورية المكبوتة فى وفاة القريب تفلت من الرقيب وتفصح عن نفسها كما هى بدون تغيير [2] . أما الطائفة الأولى غير المصحوبة بانفعال ، فلم يذكر فرويد لها الا مثالا واحدا. ثم أغفل هذه الطائفة لأنها غير نموذجية . أو لعـله أغفلها لأنها لا تتفق مع نظريته . وقد استوقف نظرنا هذا المثال ، واستطعنا

S. Freud: "The Interpretation of Dreams"; Allen (١) and Unwin, 1950 Pp. 240—260.

Ibid : P. 259. (٢)

تفسير مجموعة كبيرة من الأحلام التى تدور حول وفاة الأقارب مهتدين بتفسير فرويد لهذا المثال .

١٦ ـ الحلم بوفاة ابن الأخت :

وفيما يلى هذا المثال [١] ، وهو حلم عرضته فتاة على فرويد متحدية به قوله ان الحلم يعبر عن رغبة مكبوتة . وكانت هذه الفتاة تعيش مع أختها المتزوجة الأكبر منها . وأشرفت على تربية ابنى أختها : أوتو وشارل . وقد توفى أوتو من مدة . حلمت هذه الخالة « **أن ابن أختها الوحيد شارل ميت وفى تابوت وحوله شمع ، كما حدث تماما عند وفاة أوتو .** » روت الفتاة هذا الحلم لفرويد وقالت له : هل تظن أنه بلغ بى السوء أن أتمنى وفاة ابن أختى العزيز ؟

وبالتداعى الحر اتضح أن الحلم لا يعنى أنها ترغب فى موت ابن أختها شارل ، وانما يخفى رغبة أخرى هى رؤية الرجل الذى تحبه مرة ثانية ، بعد أن حرمت مدة من مقابلته . وكان هذا الرجل قد حضر عند وفاة الطفل الأول (أوتو) وكانت جنازته هى المناسبة التى رأته فيها . فالحلم بوفاة (شارل) يكرر هذه المناسبة ، فيحضر هذا الرجل مرة أخرى . فالحلم يفصح عن رغبتها فى رؤية من تحب . وهذه الرغبة فى المضمون الكامن لا تدعو الى الحزن ، ولذا كان الحلم غير مصحوب بانفعال .

---

(١) Ibid : P. 156—158.

ولنأخذ فى الاعتبار اقتران الوفاة بملابسات هى بمثابة المغنم الثانوى الذى يعود على الحالم من الوفاة . وباصطناع الطريقة المستخلصة من هذا المثال ، أمكننا تفسير بعض ما تجمع لدينا من أمثلة للأحلام بوفاة الأقارب ، سواء أكانت مصحوبة أو غير مصحوبة بانفعال .

الحلم بوفاة ابنة الأخ

سيدة مطلقة فى مقتبل العمر حلمت بوفاة ابنة أخيها . وقد حلمت فى نفس الليلة حلما آخر سابقا له . ومن أصول التأويل أن الأحلام التى ترد فى ليلة واحدة تكرر نفس الدافع ، ويكمل أحدها الآخر . لذلك ينبغى تفسيرها معا . وفيما يلى نروى الحلمين بترتيب ورودهما :

١٧ ــ الحلم الأول : حلمت أنى فى منزل أخى . والمنزل ينقصه الترتيب وقذر . وجدت ذكر بط كبير أسود ميت ، فحملته . ثم وجدت فى أرضية المطبخ قشر بطيخ ، فجمعته . ورميت ذكر البط الميت وقشر البطيخ فى صفيحة الزبالة . ودخلت حجرة أخرى فوجدت أخى ممسكا بعصا صغيرة ضربنى بها .

١٨ ــ الحلم الثانى : فى نفس الليلة أتتنى والدتى ــ المتوفاة حديثا ــ فى الحلم ، وفاجأتنى بقولها (بثينة) ماتت . فصرخت وفجعت وبكيت طويلا . واستيقظت فوجدت المخدة مبللة بالدموع . ولم استطع أن أعاود النوم .

حضرت هذه السيدة لتروى لى هذا الحلم فى الصباح الباكر. وكان أثر البكاء واضحا فى عينيها ، والقلق باديا عليها . فقد

تطيرت من الحلم ، وخشيت أن تكون بثينة قد أصابها مكروه . ولم تستطع الذهاب لرؤيتها ، لأن أمها كانت غضبى ، وأخذتها معها الى منزل أهلها . ولما كنت على علم بالظروف العائلية للحالمة ، فقد استطعت بمعاونة التداعى الحر منها ، أن أفسر لها هذين الحلمين . وسأبدأ بالحلم الثانى :

بثينة هى الابنة الوحيدة لأخيها . وهى طفلة جميلة عمرها ثلاث سنوات . وكانت الحالمة تحبها حبا جما . والحلم لا يعبر عن رغبة لاشعورية فى موت هذه الطفلة . وانما يخفى موت الطفلة فى الحلم رغبة أخرى ، هى الرغبة فى اتمام انفصال الأخ عن زوجته بالطلاق . ذلك أن النزاع كان مستحكما ، والشقاق متصلا بين والدى الطفلة . وفشلت كل مساعى الصلح بينهما . وكان الرأى السائد فى العائلة هو ألا مفر من الطلاق ، لولا هذه الطفلة (بثينة) التى كانت وقتئذ العقبة فى اتمام الطلاق . ووفاة (بثينة) فى الحلم يزيل هذه العقبة ، ويحقق رغبة أخت الزوج ! فى اتمام الطلاق .

ويؤيد هذا التفسير الحلم الأول . فاذا ما طلق الأخ زوجته ، فمن التى تقوم بخدمته ؟ ستقوم أخته الحالمة (وهى مطلقة) بخدمته وتنظف له مسكنه ومطبخه ، وهو ما كانت تقوم به عادة حين تغضب الزوجة . فاذا ما قامت بخدمته ، فماذا يكون جزاؤها ؟ لن يكون جزاؤها سوى النكران والجحود ــ أى ضربه لها بالعصا ــ غير أن العصا رمزا جنسيا مذكرا . يشير الى أنه بعد طلاقه من زوجته ، سيواجه الأخ مشكلة جنسية .

وصغار الحيوان والطير رمز للأطفال[1] . وذكر البط الميت رمز لوفاة (بثينة) ويرجح ذلك اقترانه بقشر البطيخ . « فقد حكى أن رجلا رأى كأنه رمى فى داره بالبطيخ فقص رؤياه على معبر فقال له يموت بكل بطيخة واحد من أهلك ، فكان كذلك »[2] . وليس من محض المصادفة أن تحسل الحالمة ذكر البط الميت وقشر البطيخ بالذات معا ، فكلاهما رمز لوفاة الطفلة ، التى جاء للمرة الثالثة خبر وفاتها فى الحلم الثانى فى نفس الليلة . وهذا التكرار للتأكيد . واجتماع رمزين يدلان على شيء واحد فى نتاج عقلى واحد يومى بالثقة فى فراسة ابن سيرين فى اختيار دلالة البطيخ ـ وتقول الدلالة وليست القيمة التنبؤية ، فبثينة لاتزال حية ترزق .

الحلم بوفاة الأخ

ليس هناك مايدعو الى افتراض أن علاقة الاخوة والأخوات لا تنطوى الا على الحب . فأمثلة العداء والكراهية بين الاخوة والأخوات مألوفة للجميع . وقد بين التحليل النفسى أن شعور الطفل نحو اخوته متناقض من الناحية الوجدانية فهو ينطوى على الحب والكراهية فى آن معا . ويكون الحب فى الشعور الظاهر ، وتكبت فى اللاشعور الكراهية . وتفضح هذه الكراهية المكبوتة عن نفسها فى

(1) Freud : Ibid, P. 339.

(2) ابن سيرين : ص ٢٤٦

الأحلام والعقائد والأساطير. ومنشأ هذه الكراهية هو ما يحس به الأطفال من الغيرة من بعضهم البعض لاشتراكهم جميعا فى حب الأم ، فكل طفل منهم يود أن يستأثر بحب أمه دون سائر اخوته والطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة أنانى ويتمركز شعوره حول ذاته . والطفل الأكبر ينظر الى أخيه الأصغر على أنه دخيل على العائلة ، وأنه يقاسمه حب والديه ، وأن عناية الوالدين ومحبتهما قد انصرفت اليه . أما الطفل الثـانى فيثيره ما يتمتع به أخوه الأكبر من مميزات سبق أن نالها قبل أن يولد هو .

وعلى ضوء هذا الموقف يمكن تفسير العداء بين الاخوة الذى ذكرته الكتب المقدسة . فقصة مقتل هابيل الابن الأصـغر بيد أخيه قابيل تؤول على أنها ترمز الى ما يتمتع به الأخ الأصغر فى العادة بعد ولادته من حب والديه وانصراف الأم الى الاهتمام به وبالتالى حرمان الأخ الأكبر من ذلك الحب والاهتمام مما يولد فى نفسه شعور الغيرة والكراهية نحـو أخيه الأصغر ، وهو ما يعرف فى التحليل النفسى « بعقدة قابيل » . ونفس هذا الدافع وهو اعتقاد الابن الأكبر فى ايثار والديه لأخيه الأصغر يظهر فى التوراة فى قصة يعقوب وعيسو . فعندما انتهى التنافس بينهما الى سبق يعقوب وفوزه بعطف أبيه ، ضاق أخوه الأكبر عيسو ذرعا بذلك ، وتنازل عن حقوقه كلها تخففا من الضيق الذى أزهق أنفاسه .

وقياسا على ذلك يمكن تفسـير حلم الأخ الأكبر بوفاة الأخ الأصغر ، ولا سيما اذا كان الحلم مصحوبا بانفعال عنيف ، بأنه

ينم عن رغبة لاشعورية فى موته ، ظهرت سافرة دون قناع. ويعبر عن « عقدة قابيل » وهى العقـدة التى تتكون فى نفس الطفل الأكبر نحو أخيه الأصغر .

وبنفس الطريقة يمكن تفسير حلم الأخ الأصغر بوفاة الأكبر ، بأنه تعبير عن « عقـدة ست »[1] . وتروى الأسـطورة المصرية القديمة أن ست قتل أخاه الأكبر أوزيريس بدافع الغيرة والحسد لما وصل اليه من مجـد وسؤدد . وهذا تمثيـل لما يحس به الأخ الأصغر فى العادة من رغبات انفعالية عدائية نحو أخيه الأكبر ، لما اختص به من امتيازات دونه . وقياسا على تفسير هذه الأسطورة يمكن تفسير حلم الأخ الأصغر بموت الأخ الأكبر بأنه ينم عن رغبة لاشعورية فى موته ، ويفصح عن « عقـدة ست » وهى العقدة التى تتكون فى نفس الطفل الأصغر نحو أخيه الأكبر .

وفيما يلى حلمـان لشخصين مختلفين ، كلاهما الأخ الأصغر ، وكل منهما حلم بوفاة أخيه الأكبر .

الحلم الأول : ثلاثة اخوة رجلين وامرأة توفى والدهما عن ثروة كبيرة . وكانوا فى نزاع دائم بخصوص الميراث وكلهم متزوجين .

١٩ ــ حلم الأخ الأصـغر أن أخيه الأكبر فى أثنـاء يوم العيد مات . ويجاور منزلهم منزل حما المتوفى الذى حضر وأبدى أسفه لأن خططه (المتعلقة بالميراث) قد انهـارت . أما الأخت فلم يبد

---

(١) أنظر مقال « التحليل النفسى للأسـاطير » للاستاذ احمد ابو زيد . فى مجلة علم النفس ــ بجلد ٢ عدد ٢ ص ٢٤٨

عليها أى أثر للحزن واستمرت فى أعمالها العادية وفى ترتيب فساتين العيد الجديدة لبناتها. ولم يذرف عليه أحد دمعة واحدة. وكذلك الأخ صاحب الحلم لم يتأثر مطلقا ، حتى ان الجنازة سارت ولم يكن هو فيها ، وانما وقف على ناصية الشارع يرقبها وهى تسير .

التفسير المادى ، يهتم بالمضمون الكامن للحلم ، فيعبره على أساس « عقدة ست » أى يعتبره افصاحا عن الرغبة فى موت الأخ الأكبر المكبوتة فى لاشعور الأخ الأصغر .

التفسير الوظيفى ، يعنى بالمضمون الصريح ، ويرى أن الملابسات المصاحبة للوفاة فى الحلم غريبة وتحتاج الى تأويل : فجنازة الأخ يوم عيد ، وهى جنازة فاترة . ولم يذرف عليه أحد دمعة واحدة . وانصرفت الأخت الى تجهيز فساتين بناتها للعيد . والأخ لم يشترك فى جنازة أخيه . فليست الوفاة هى العنصر الهام فى الحلم ، وقد تخفى وفاة الأخ فى الحلم رغبة أخرى هى الرغبة فى التقليل من شأن الأخ ، واثبات أنه ليس محبوبا من أحد ، وأن أحدا لا يبكى عليه اذا مات . ويخفى كذلك الطمع فى الميراث.

٢٠ ــ الحلم الثانى : غريب فلاح أمى ساذج من صميم الريف فى نحو الخامسة والعشرين من عمره . يمتاز بميله الى المرح والدعابة. وهو الأخ الأصغر . حلم « أن عليا أخيه الأكبر مات ، ولابس الجلابية الحرير البيضاء ــ واستغرب فى الحلم هل من يموت يظل بملابسه بدون كفن ــ ثم حملوه فى نعش وسارت الجنازة حتى الطرب . ثم أنزلوا النعش ، وبينما هم يفتحون المقبرة ، جلس الميت !

وقال : انتم حاتدفنونى ، دا أنا بأضحك عليكم ! ناولنى يا واد يا غريب سيجارة . »

التفسير المادى لهذا الحلم هو أنه تعبير عن « عقدة ست » أى عن رغبة غريب الأخ الأصغر اللاشعورية فى موت أخيه الأكبر على .

أما التفسير الوظيفى فينصب على المضمون الظاهر للحلم . ويعتبر الملابسات المصاحبة للوفاة ، أهم من الوفاة ذاتها . ويتضح ذلك من التداعى الحر : فقد اعتاد غريب أن يلبس ما يضيق من هدوم على . ويصور هذا الحلم دافع الطمع فى جلابية على الحرير — التى كانا يتناوبان لبسها — والرغبة فى الاستئثار بها . كما أن غريب كان يضيق دائما من تكرار أخذ على السجائر منه . فوفاة الأخ قد لا تكون مقصودة لذاتها ، وانما للمغنم الثانوى الذى يعود على الحالم من وراء ذلك . وفى الشطر الأخير من الحلم ، لا الجلابية الحرير طالها ، ولا عتقه على عن طلب السجاير حتى وهو على الموت .

وليس بمستغرب أن يفضل الحالم التفسير الوظيفى . فهو يطمع حقا فى الجلابية الحرير ، ولكنه يرفض أن يعترف بأنه يتمنى لأخيه الموت . وقد يكون هذا التفضيل منه — كما يقول ارنست جونز — نوعا من المقاومة .

ويمكن القول ان الملابسات المصاحبة لكل من الحلمين السابقين ، والتى عنى بها التفسير الوظيفى ، وهى الطمع فى الميراث والرغبة فى التصغير من شأن الأخ الأكبر فى الحلم الأول ؛ والطمع فى

الجلابية الحرير ... فى الحلم الثانى ــ من الممكن أن تحيى هذه الملابسات العقدة اللاشعورية . فتكون هذه الملابسات بمثـابة بواعث ايجابية تساعد على اثارة هذه العقدة من مكمنها . وبذلك تكون الوفاة والمضمون الظاهر للحلم نتيجـة اندماج فكرتان بفضل ميكانيزم التكثيف : احدى الفكرتين من أعماق اللاشعور هى النزعات المكبوتة فى « عقـدة ست » وهى الدلالة المادية . والفكرة الأخرى من طبقة ما قبل الشعور ، تتضمن الملابسات الغريبة والمغنم الثانوى الذى يعود على الحالم من وفاة أخيه ، وهى الدلالة الوظيفيـة (شكل ٢) . ومن المرجح أن هـذه الملابسـات من فعل الرقيب فهى نوع من التقنع أو الابدال ، اصطنعه الرقيب ليفسد مفعول الحلم ، وليسلبه شحنته الانفعالية. ولذلك فان وفاة الأخ فى كل من الحلمين غير مصحوبة بانفعال . والتفسير الوظيفى اذ يعنى بهذه الملابسات ، انما يعبر فى الواقع عن وظيفة الرقيب ، ولكنه لا يصل الى العقدة الكامنة فى أعماق اللاشعور ، التى يصل اليها التفسير المادى .

الحلم بوفاة أحد الوالدين

غالبية الأحلام بوفاة أحد الوالدين تشير الى الوالد الذى من نفس جنس الحالم . فغالبا مايكون حلم الولد بوفاة الأب ، وتحلم البنت بوفاة الأم [1] . ويمكن تفسـير حلم الولد بوفاة الأب على

(١) Freud : Ibid, P. 249.

أساس « عقدة أوديب » ، وحلم البنت بوفاة الأم على أساس « عقدة الكترا » ، نسبة الى الأساطير اليونانية .

وتتلخص أسطورة أوديب بن لايوس ملك طيبة وجوكستاف أن العرافة تنبأت له بأنه سيقتل أباه ويتزوج أمه . وقد حقق هذا المصير دون أن يعلم . فقابل الملك لايوس واشتبك معه فى عراك وقتله . ثم ذهب الى طيبة حيث حل لغز «أبى الهول» ، فانتخبه أهل طيبة ملكا عليهم . وتزوج جوكستا وأنجب منها . وحكم مدة طويلة ... الى أن انتشر وباء فى طيبة ، فاستشار أهلها العرافة فأجابت بأن الوباء ينقطع اذا عوقب قاتل الملك لايوس ... وما أن عرف أوديب أنه قتل والده وتزوج والدته حتى أعمى نفسه .

وهذه الأسطورة تقابل عقدة لاشعورية يمر بها الطفل . فيوجه نزعاته الجنسية الأولى نحو والدته ، ونزعاته العدائية نحو والده. وتظهر هذه العقدة بصفة خاصة لدى بعض العصابيين . ويمكن القول بأنه كما فى الأسطورة وفى العصاب كذلك فى الأحلام . فحلم الولد بوفاة الأب قد يكون تعبيرا عن « عقدة أوديب » أى عن الرغبة اللاشعورية المكبوتة فى موت الأب للاستئثار بكامل عطف الأم وحبها .

أما حلم البنت بوفاة الأم فيمكن تفسيره على أساس « عقدة الكترا » . نسبة الى الكترا التى ساعدت أخاها أورستس على قتل أمهما انتقاما لقتلها أبيهما أجا ممنون . والعلاقة بين البنت والأم تنطوى على تناقض من الناحية الوجدانية أى تنطوى على الحب والكراهية فى آن معا . ففى الشعور الظاهر تحب البنت

أمها . أما الكراهية فتكبت فى اللاشعور . وتنشأ الكراهية نتيجة لتعلق عاطفة الحب الأولى للبنت بأبيها ، واعتبارها أمها غريما ومنافسا لها فى موضوع حبها ، بحيث ترغب لاشعوريا فى التخلص منها لتحل محلها فى قلب الأب .

٢١ ـ حلم البنت بوفاة أمها :

سيدة متعلمة فى مقتبل العمر لها طفلين ولد وبنت . طلقت من زوجها ، فعادت الى عملها وأقامت مع أخيها . وتركت أولادها فى رعاية والدتها فى الريف . حلمت « **بأنها ذهبت لزيارة والدتها ، ففوجئت بأنها ماتت ، ورأتها قبل أن تدفن ، فبكت بكاء مرا .** »

التفسير المادى لهذا الحلم يعبره على أساس « عقدة الكترا » أى يعتبره افصاحا عن الرغبة فى وفاة الأم المكبوتة فى لاشعور البنت . ولما كان هذا الحلم مصحوبا بالانفعال والبكاء ، فان الرغبة اللاشعورية المكبوتة فى وفاة الأم هى المضمون الكامن الذى أفصح عن نفسه فى الحلم دون تقنع .

أما التفسير الوظيفى فيعتبر أن وفاة الأم فى هذا الحلم تخفى رغبة أخرى ـ اتضحت من التداعى الحر ـ هى الرغبة فى احضار ولديها للاقامة معها ، الأمر الذى لامفر منه اذا ما أصاب والدتها مكروه . فوفاة والدتها فى الحلم تقترن بمغنم ثانوى هو احضار ولديها للاقامة معها .

وقد يساهم هذا المغنم الثانوى فى احياء العقدة اللاشعورية ، واثارتها من مكمنها . وبذلك تكون وفاة الأم فى المضمون الظاهر

نتيجة تكثيف دلالتين (شكل ٢) . احداهما لاشعورية ، هى النزعات المكبوتة فى « عقدة الكترا » وهى الدلالة المادية ؛ والدلالة الأخرى هى المغنم الثانوى أى الرغبة فى احضار ولديها للاقامة معها ، وهى الدلالة الوظيفية ، وهى من طبقة ما قبل الشعور اتضحت من التداعى الحر .

٢٢ ــ حلم الابن بوفاة أبيه :

رجل طبيب مثقف فى سن الخامسة والخمسين روى هذا الحلم مدللا به على أن الحلم قد ينبى عن الواقع بالتخاطر . ويذكر هذا الحلم جيدا منذ أن كان فى سن الخامسة عشرة . رأى « **أن رأس والده مقطوعة فى طبق كبير** » فانزعج وتطير وسافر الى البلد ؛ فوجد أن والده قد أجريت له جراحة فى رقبته .

استمعت الى هذا الحلم مع نفر من الحاضرين، وحدست مغزاه بوجه عام ولكنى لم أشأ أن أعبره فى حضورهم . وهذا الحلم يعبر عن عقدة أوديب التى تتمثل فى عداء الطفل لأبيه ورغبته اللاشعورية فى موته . كما يعبر كذلك عن عقدة الاخصاء . ويذكرنا هذا الحلم بأسطورة كرونوس الذى خصى أباه أورانوس[1] . كما يذكرنا بقطع بريسيوس لرأس الميدوزا ، وهو رمز لعملية

---

(١) تروى الاسطورة اليونانية القديمة أن أورانوس (اله السماء) تزوج من جيا Gaea (الهة الارض) وأنجب منها أبناء كثيرين أصغرهم كرونوس . وبينما كان أورانوس يجامع امرأته ذات ليلة جاء كرونوس على غفلة منهما وقطع اعضاء أبيه التناسلية من خلف .

الاخصاء . فهـذا الحلم تكشيف لرغبتين لاشعوريتين احـداهما الرغبة فى رؤية أبيه مخصيا ، والأخرى هى الرغبة فى موته . فهو يجمع بين « عقدة الاخصـاء » و « عقـدة أوديب » فى صورة رمزية واحدة مفعمة بالمعنى .

أما تطـيره وانزعاجه من الحلم ، واهتمامه المبالغ فيه بصحة والده ، وسفره ليطمئن عليـه ، فقد يكون رد فعـل للرغبـة اللاشعورية فى موته . أما كون والده عملت له عملية جراحية فى رقبته ، فهذه مسألة أخرى .

الحلم بوفاة أحد الأبناء

« ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم »

(سورة التغابن)

الأقرب الى الاحتمال أن يحلم الأب بوفاة الابن ، وتحلم الأم بوفاة البنت . لأنه يلوح أن هناك نوعا من التفضيل من جانب الوالدين يتمشى مع النزعات المكبوتة فى لاشعور الأبناء بمقتضى « عقدةأوديب » و « عقدة الكترا » ويزيدها تأكيدا . فالأم عادة أكثر عطفا على الولد منها على البنت . والرجل أكثر ميـلا الى تدليل البنت منه الى تدليـل الولد . وقد ذكر فرويد مثالين ؛ أحدهما لحلم الأم بوفاة البنت ، والآخر لحلم الأب بوفاة الابن مدللا بهما على الرغبة المكبوتة فى موت الابن قد تكون قديمة . واليك المثالين [1] :

S. Freud : Introdnctory Lectures , PP. 170—171. (1)

٢٣ ــ امرأة حلمت ان ابنتها الوحيدة ــ وكان عمرها وقتئذ سبعة عشر عاما ــ ماتت . وقد تذكرت فى أثناء التحليل أنها فعلا تمنت موتها قبــل أن تولد . فقد حملت هذه الطفلة نتيجة زواج غير موفق انتهى بالطلاق . وتذكرت أنها تشاجرت ذات مرة مع زوجها ، وقت أن كانت حاملا فى هذه الطفلة ، وفى سورة الغضب ضربت بطنها بقبضتى يديها لتقتل الجنين الذى حملته منه .

٢٤ ــ والحلم الآخر لوالد حلم أن ابنه الأكبر مات . وعند ما فسر له الحلم بأنه ينم عن رغبته اللاشعورية فى موت ابنه ، تذكر أنه مضى عليه فعلا حين من الزمن كانت هذه الرغبة فى خاطره . فلم يكن زواجه موفقــا ، وتمنى لو أن هــذا الطفل الذى لم يكن ــ وقتئذ ــ يعنى شيئا بالنسـبة له ، مات فى مهده ، حتى ينعم هو بحريته .

ويفسر فرويد هذين الحلمين تفسيرا ماديا على أساس الرغبة فى وفاة البنت المكبوتة فى لاشعور الأم فى الحلم الأول ، والرغبة فى وفاة الابن المكبوتة فى لاشعور الأب فى الحلم الثانى . ومن الممكن تفسير هذين الحلمين تفسيرا وظيفيا على أساس أن موت البنت وموت الابن فى كلا المثالين غير مقصود لذاته ، وانما يخفى أغراضا ورغبــات أخرى أو مغانم ثانوية كالرغبة فى الطــلاق والرغبة فى التحرر . وفى تفسير ابن سيرين ص ٤٥ : « من رأى كأن ابنه مات تخلص من عدوه . » ولا يعنينا من هذا التأويل القيمة التنبؤية له ، وهى التخلص من عدو . وانما تعنينا الدلالة فحسب ، وهى ذاتها الدلالة اللاشعورية . فالابن عدو لأنه أحيانا يكون عقبة فى سبيل تحقيق أغراض ورغبات .

٢٥ ـ حلم الأم بوفاة ابنتها :

« حلمت أن ابنتى (تحيـة) تاهت منى وسـط الزحام . فأخذت أبحث عنها وأنادى عليها دون جدوى . ثم سمعت انها غرقت ففزعت وصرخت . ثم ذهبت الى البحـر لأبحث عنهـا ودخلت فى الماء حتى وصل الى رقبتى . ورأيت ابنتى تجاهد فى المـاء . وكلما مددت يدى لأمسك بها ، أبعـدها الموج عنى . ثم استيقظت فى حالة يرثى لها من الكد والارهاق . وحمدت الله على أنه لم يكن سوى حلم . »

هذا الحلم للسيدة صاحبة الحلمين رقم ١٢ ، ٢١ . وضلال البنت فىالزحام فىأول الحلم. تصوير مسرحى (Dramatization) للفكرة المجردة وهى « أن البنت ضاعت »·فهو تعبير عن تفكير الأم فى أن مستقبل البنت قد ضاع ، أو أنها ستجد مشقة فىزحمة الحياة . ولا سيما بعد أن انفصلت الأم عن زوجها بالطلاق .

أما غرق البنت فقد يخفى رغبة لاشعورية فىموت الطفلة قبل أن تولد . لذلك تعيدها فى الحلم من حيث أتت ، الى البحر أى الى الرحم . فلم تكن هذه الطفلة مرغوبا فيها ، لأنها نتيجة ثمرة زواج غير موفق .

ووجود الأم فى البحر رمز لمولدها هى ذاتها . فقـد ولدت لتشقى. ووجودها فىبحر متلاطم الأمواج ـــ وغرقانة لشوشتها، كما قالت فى التداعى الحر ـــ تعبير عن نضالها وكفاحها فى خضم الحياة من أجل ابنتها . وفى غرق البنت فى الحلم مناسبة للتعبير عما يساور الحالمة من قلق وجـزع وحيرة . وكان الحلم بضلال

البنت ينزع الى التكرار . وعند ما فسرت لها هذه الأحلام، وبعد أن أحضرت ولديها للاقامة معها ، امتنعت هذه الأحلام .

٢٦ ـ ذبحت حفيدتها :

فى أول الليل غفلت عينى ، فرأيت « **أنى أذبح فرخة . وقلت لمن تمسكها أمامى : امسكى كويس حتى أورد عليهـا . وبعد أن ذبحتهـا لاحظت أن دمها أزرق . وبينما كنت أقلب فى الفرخة المذبوحة وجدت أنها سنية . فارتعت وصرخت وقمت من نومى مذعورة .** »

صاحبة هذا الحلم سيدة كبيرة فى السن تقيم معها ابنة بنتها سنية ، وهى طفلة عمرها سبع سنوات . وابنة هذه السيدة ــ أى والدة هذه الطفلة ــ طلقت من زوجها بعد أن رزقت بهذه الطفـلة . وكان هناك مشروعا لزواجها . وتقـدم عريس مليح لخطبتها . وتم الاتفاق تقريبا . غير أن هذا العريس انقطع بعد ذلك عن زيارة خطيبته . ولعل هذه الطفلة كانت أهم عقبة ... والجدة فى هـذا الحلم تزيل العقبة فى زواج ابنتها ، أو تحقق رغبتهـا اللاشعورية المكبوتة فى موت حفيدتها . وقد علمنا أن الطيور رمز للأطفال . وقد قام الرقيب بحيلة لاشعورية هى عملية ابدال الطفلة بالفرخة . وفى بدء الحلم سمح الرقيب بالذبح ، طالما أن المذبوح فرخة . فما الذى أعاد ابدال الفرخة الى الطفلة ؟ سألت صاحبة الحلم وهى من حفظة التراث الميثولوچى ، ما دلالة ذبح الفرخة فى الحلم ؟ قالت : « أحد الأقارب يموت ، ولكن اذا سال

الدم ، فالحلم يفسد أى لا يتحقق . » ومن المرجح أن ادراك الحالمة لدلالة الرمز فى الحلم أفسد التنكر وفضح حقيقة الفرخة . وبذلك لم تنطل حيلة الرقيب على هذه العجوز ، فأدركت أن الفرخة هى الطفلة . فكأنها فسرت الحلم أثناء الحلم . وما أن تكشفت حقيقته حتى ارتاعت وذعرت واستيقظت .

* * *

نستخلص من الأمثلة السالفة النتيجة التالية وهى : أن الحلم بوفاة أحد أفراد العائلة يقبل تفسيرين ؛ أحدهما مادى ، والآخر وظيفى .

التفسير المادى يقوم على أساس العقد : فحلم الابن بوفاة أبيه تعبير عن « عقدة أوديب » وحلم البنت بوفاة أمها تعبير عن « عقدة الكترا » وحلم الأخ الأكبر بوفاة الأخ الأصغر تعبير عن « عقدة قابيل » وحلم الأخ الأصغر بوفاة الأخ الأكبر تعبير عن « عقدة ست » . فالحلم بوفاة أحد أفراد العائلة أو أحد الأقارب ينم عن رغبة لاشعورية مكبوتة فى موته ، وبصفة خاصة اذا كانت الوفاة فى الحلم مصحوبة بانفعال وبكاء . وهذه الرغبة اللاشعورية فى الموت هى المضمون الكامن . وتظهر هذه الرغبة كما هى فى المضمون الصريح بدون تقنع . والتفسير المادى على أساس العقد ، والتمنيات اللاشعورية الشريرة ، يبدو كفكرة موجهة ، مسلم بها مقدما ، ومستعارة من الأساطير لا من التداعى الحر .

أما التفسير الوظيفى فيعنى بالمضمون الصريح للحلم ، وبالتداعى

الحر من صاحب الحلم ويتعرف منهما على رغبات أخرى — غير الرغبة فى الوفاة — وعلى ملابسات هى بمثابة المغنم الثانوى الذى يعود على صاحب الحلم من وفاة قريبه . فالوفاة تقترن عادةبمغنم ثانوى. وقديكون المغنم الثانوى الذى يعود على الحالم من الوفاة، أهم من الوفاةذاتها . فالحالم يهدف من حلمه بوفاةقريبه الى غاية :

ففى المثال الذى ذكره فرويد لحلم سيدة بوفاة ابن أختها : حضر الرجل الذى تحبه فى وفاة أوتو . ولما كانت الحالمة ترغب فى رؤية هذا الرجل مرة ثانية ، فقد حلمت بوفاة شارل .

وفى حلم الخالة بوفاة ابن أختها : يتم الطلاق لولا عقبة واحدة هى الطفلة بثينة . ولما كانت أخت الزوج ترغب فى أن يتم هذا الطلاق ، فقد حلمت بأن العقبة قد زالت ، وأن بثينة قد ماتت .

وفى حلم غريب بوفاة أخيه الأكبر : يفوز غريب بالجلابية الحرير اذا مات على ، كما يتخلص من الحاحه فى طلب السجاير . ولما كان غريب بخيلا وفقيرا ويطمع فى الجلابية الحرير ، فقد حلم بوفاة أخيه على .

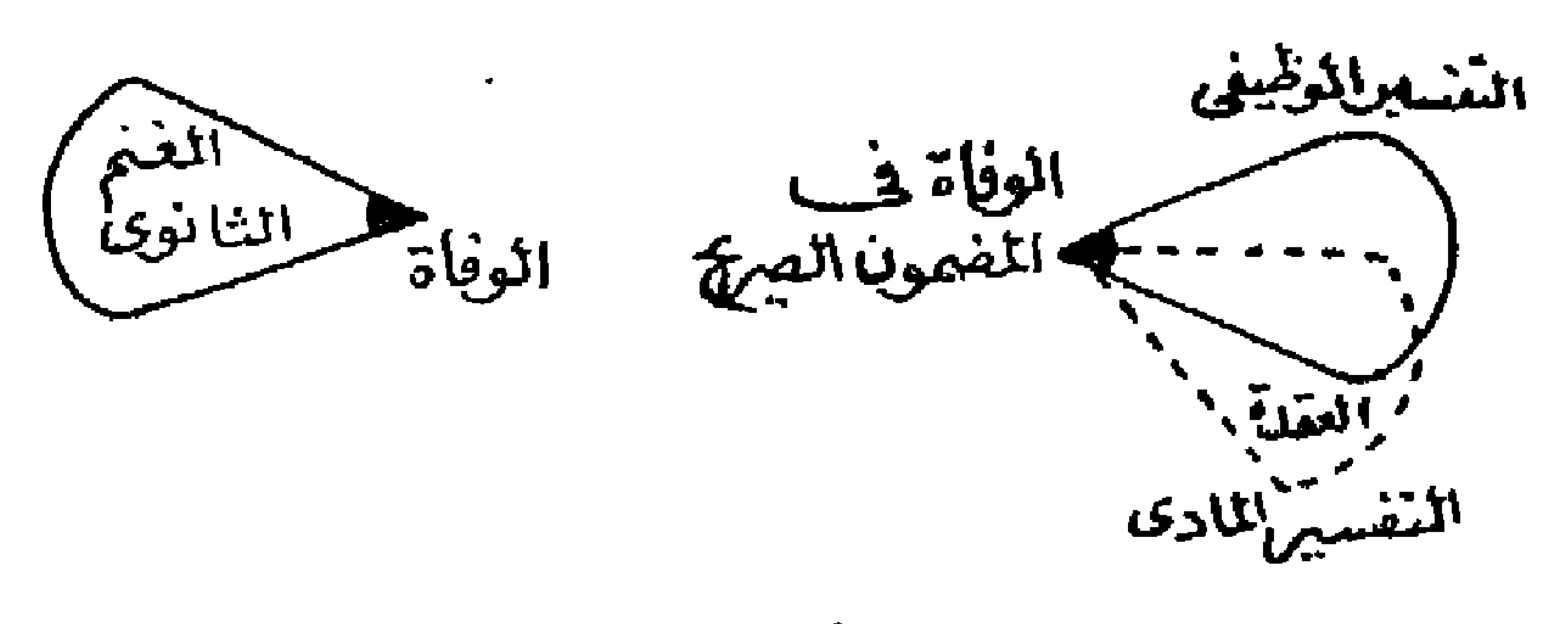
وفى المثالين اللذين ذكرهما فرويد لحلم الأب بوفاة الابن ، وحلم الأم بوفاة البنت ؛ لم تكن الوفاة مقصودة لذاتها ، وانما كانت الوفاة فى الحلم تخفى رغبة أخرى هى الرغبة فى الطلاق والتحرر .

وفى حلم السيدة بوفاة والدتها : يحضر ولداها للاقامة معها ، اذا ماتت والدتها . وهى ترغب فى احضار ولديها وتتمنى أن يقيما معها ، فحلمت بوفاة والدتها .

وفى حلم الجدة التى ذبحت حفيدتها : يتم زواج ابنتها لولا

عقبة هى الطفلة سنية . ولما كانت الحالمة ترغب فى أن يتم زواج ابنتها ، فقد عملت على أن تزيل العقبة ، فذبحت الفرخة .

في المجال اللاشعوري　　　　في المجال الخارجي



(شكل ٢)

المضمون الكامن للحلم بوفاة أحد أفراد العائله قد يكون احدى العقد ، أى الرغبة اللاشعورية المكبوتة فى وفاته — وهو التفسير المادى ؛ وقد يكون الرغبة فى المغنم الثانوى ، كالطمع فى الميراث مثلا — وهو التفسير الوظيفى . وقد يكون المضمون الكامن نتيجة تكثيف الدلالتين المادية والوظيفية .

وفى جميع هذه الأمثلة لا يكفى التفسير المادى وحده ، الذى يعتبر المضمون الكامن هو العقد أو الرغبات اللاشعورية فى وفاة القريب . ولا غنى عن التفسير الوظيفى الذى يأخذ فى الاعتبار الملابسات التى تقترن بالوفاة فى المضمون الصريح ، والغاية التى يهدف اليها الحالم من حلمه ، والمغنم الثانوى الذى يعود عليه من وفاة قريبه . والواقع أن كلا الاتجاهين المادى والوظيفى فى تفسير الأحلام مكمل للآخر ، وليس بينهما تعارض . ومن الممكن أن يكون الحلم بوفاة القريب تكثيفا للدلالتين المادية والوظيفية .

الفصل السادس

الكابوس والجنس

« يعبر الكابوس عن صراع نفسي حاد يدور حول رغبة جنسية مكبوتة في المحارم .. وأعراضه عبارة عن دور المرأة في العملية الجنسية ... ولذلك فان العذارى ، والأرامل ، والراهبات ، أكثر تعرضا للكابوس من المتزوجات . »

ارنست جونز

الأحلام بين اللذة والقلق :

يعتبر كتاب ارنست چونز [1] الذى يتضمن النظرية الجنسية فى تفسير الكابوس أول محاولة لتفسير الكابوس على ضوء مبادىء مدرسة التحليل النفسى . وتعتبر هذه النظرية تطبيقا لمبادىء فرويد المستخلصة من دراسته للأحلام ولعصاب القلق . فهذه النظرية تقوم على دعامتين :

الأولى ، هى تطبيق طريقة فرويد فى تفسير الأحلام على الكابوس ، باعتبار أن الفرق بين الحلم المزعج والكابوس فرق فى الدرجة لا فى النوع . وقد رأينا أن الحلم ـ فى نظر فرويد ـ ان هو الا تحقيق لرغبة مكبوتة ، غالبا ما تكون رغبة جنسية .

والدعامة الثانية ، هى الموازنة بين الكابوس والقلق ، اذ لوحظ أن بينهما أعراضا مشتركة ، وبالتالى فقدتكون دوافعهما واحدة . وقد اعتمد ارنست چونز فى نظريته على مقال لفرويد فى القلق منشور سنة ١٨٩٥ ، جاء فيه أن دوافع القلق رغبات جنسية مكبوتة .

وبذلك استعار ارنست چونز فكرة الرغبات الجنسية المكبوتة من دراسة فرويد للأحلام وللقلق ، وطبقها على الكابوس .

---

(١) Ernest Jones: "On The Nightmare"; The Hogarth Press, 1931.

يقول ان الفرق بين الأحلام اللذيذة ، وأحلام الجزع (أى الحصرية) ، والكابوس فرق فى الدرجة لا فى النــوع . وكثيرا ما يتنــاوب على الشخص الواحد أحــلام لذيذة ، وأخرى مزعجة . وأحيانا يصاحب الجزع فى نوبة الكابوس الشعور بلذة جنسية : فقد تشعر المرأة بأن زائر الليل جامعها . وقد ينتهى الكابوس الذى ينتاب الرجال بالاســتمناء . فالأحلام المفزعة دوافعها رغبات جنسية يشوبها الخوف . وتنطوى على صراع نتيجة للكبت الذى تتعرض له هذه الرغبــات . وكلما زادت حدة الصراع ، تنكرت الرغبات ، وزاد التخفى . فاذا كان هذا الصراع أشــد فى الدرجة ، ويدور فى طبقــة أعمق غورا من النفس ، ويتناول أمورا أشــد نكرا وتحريما ، أدى ذلك الى معاناة الجزع الشــديد والخوف فى الكابوس . ومثــل هذا الصراع الحاد لا يدور الا حول أمور جنسية ، لأنها من ناحية من أشد الأمور الحاحا ، ومن ناحية أخرى من أشدها تعرضا للكبت . وينتهى الكابوس بأن يهب الحالم من نومه مذعورا لأن الأفكار الكامنة تلح فى الظهور ، ولا يقــوى الرقيب على منعهــا أو على تمويهها وتخفيتها . فاذا ما اشــتد الصراع بين الرغبات المكبوتة والرقيب ، وتعذر الوصول الى حل توفيقى وسط بينهما ، استيقظ الحالم .

والمثالان التاليان يؤيد بهما ارنست جونز نظريته الجنسية فى تفسير الكابوس :

٢٧ ـ فتاة فى سن الخامسة عشرة انتابها الكابوس ـ قبل ظهور العادة الشهرية ـ وأخذت تتـأوه فى نومها حتى أيقظت والدها الذى كان ينام فى حجرة مجاورة . وعند ما دخل والدها حجرتها ، وجدها مستلقاة على ظهرها ، والدم ينبثق من فمها ومن أنفها . وعنـد ما هزها أفاقت ، وروت أنهـا حلمت برجل ضخم يرقد فوقها ... وظل هذا الكابوس يتكرر حتى ظهرت أعراض الحيض فانقطع . وهذا الكابوس تعبير عن الصراع بين الرغبة الجنسـية والخوف الشديد . ومن المعروف أن الرغبة الجنسية تكون مشبوبة فى الأيام القليلة السابقة للحيض .

واليك مثالا آخر يوضح هذه الظاهرة :

٢٨ ـ خادم فى سن الثامنة عشرة ، اعتـاد الكابوس أن يزورها قبل ميعاد العادة الشهرية بليلتين أو ثلاث ليال . وفى أثناء ذلك تتأوه حتى تستيقظ زميلتها التى تنام معها ، فتهزها لتوقظها . اسـتمرت على هذه الحـال الى أن تزوجت ، ورزقت بأطفال ، فانقطع الكابوس .

ويؤيد هذان المثالان التفسير الجنسى للكابوس . كما يؤيدان ما لوحظ من أن النسـاء غير المتزوجات ، العذارى والأرامل والراهبات ، أكثر تعرضا للكابوس من المتزوجات .

وتتلخص نظرية ارنسـت جونز فى أن الكابوس نوبة من نوبات القلق . وأنه تعبـير عن صراع نفسى حاد يدور حول رغبة جنسية مكبوتة . ولكنه لاحظ أن هذا الدافع يصـدق كذلك على الأحلام المفزعة بوجه عام . لذلك عاد فخصص نوبة الكابوس بأنهـا تعبير عن صراع نفسى حاد يدور حول رغبة جنسية فى المحارم .

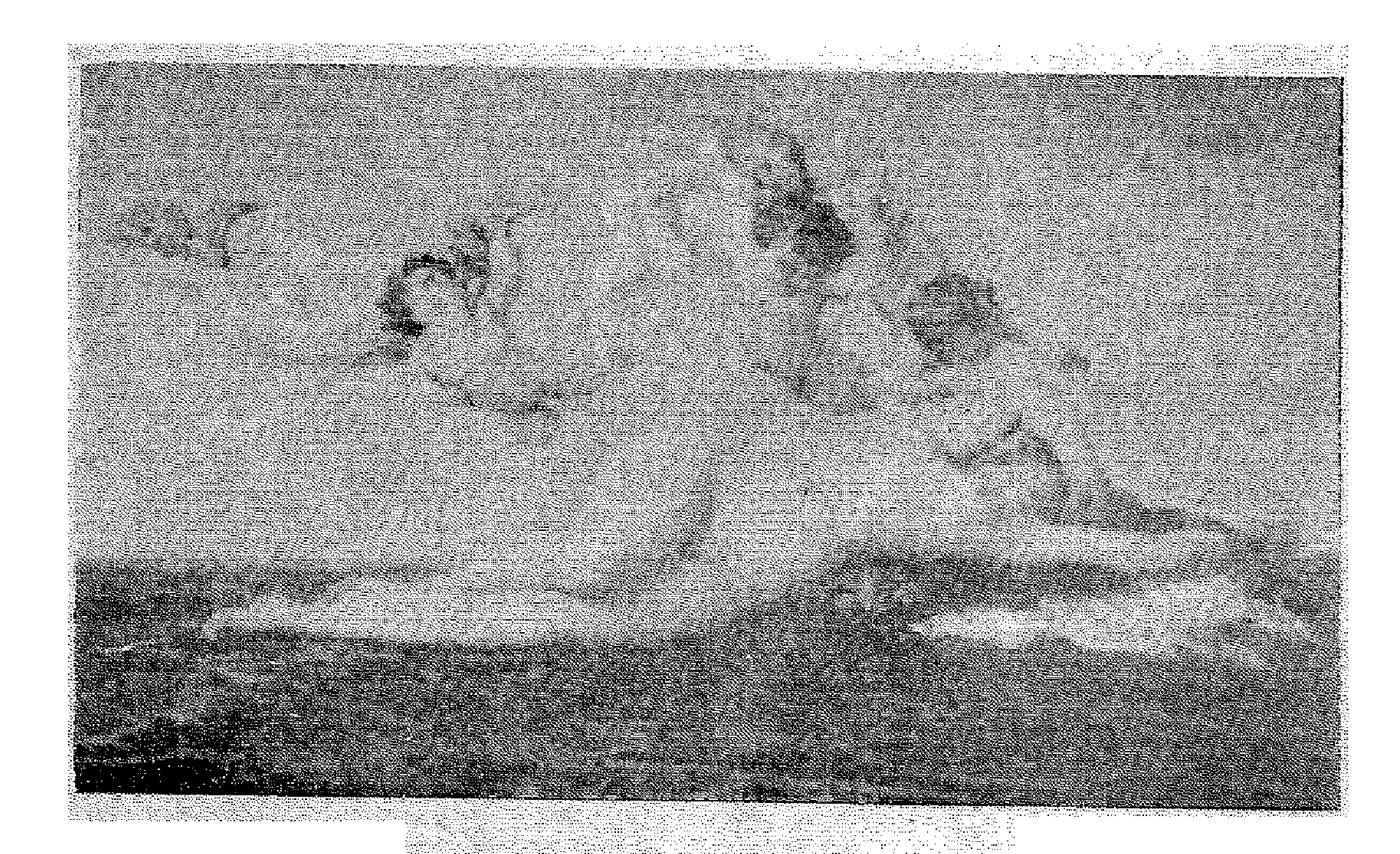
ويرى ارنست چونز أن نظريته الجنسية تفسر معظم أعراض الكابوس . فالمضمون الكامن للكابوس عبارة عن العملية الجنسية ، وبصفة خاصة دور المرأة فيها : فحدوث الكابوس أثناء النوم على الظهر ، والشعور بالضغط على الصدر ، والاستسلام كما يبدو فى الشعور بعدم القدرة على الحركة ، وسرعة خفقان القلب ، وتصبب العرق ، والشعور بضيق فى التنفس ... كلها من أعراض الكابوس ، وتبدو وكأنها وصف مبالغ فيه لدور المرأة فى العملية الجنسية مع وجود الخوف [1] .

هذا الوصف وتلك الأمثلة تبين أن التفسير الجنسى قد يصدق على الكابوس الذى ينتاب النساء . وقد ذكر كثير من الكتاب أن الرجال أكثر تعرضا لنوبات الكابوس من النساء . وأن الكابوس الذى يبتلى به الرجال أشد وطأة ، وأعظم هولا من الكابوس الذى ينتاب النساء . فهل يصدق هذا التفسير الجنسى كذلك على الكابوس الذى يتهدد الرجال ؟ ويرد ارنست چونز على ذلك بقوله ان كبت النواحى المؤنثة أو المازوشية [2] (Masochism) من مكونات الغريزة الجنسية أدعى الى ظهور الكابوس للرجال . وحيث ان هذه المكونات المازوشية أكثر تعرضا للكبت عند الرجال ، فهم أكثر تعرضا للكابوس من

---

(١) Ibib, P. 76.

(٢) يعرف فرويد المازوشية بأنها التطلع الى معاناة الألم اثناء العملية الجنسية من الطرف الآخر .



مولد ڤينوس ـ للفنان كابازيل
متحف اللوكسومبورج ـ پاريس

النساء . والكابوس الذى يبتلى به الرجال ، أشد وطأة وأعظم هولا من الكابوس الذى يجثم على صدر النساء .

يتبقى بعد ذلك مظهر من أهم مظاهر الكابوس ، وهو أن يكون على شكل شيطان أو مارد أو ذئب أو غول أو ساحرة أو غير ذلك من الوحوش الحقيقية أو الأسطورية التى تجثم على الصدر وتكتم النفس وتشل حركة النائم . ويرى ارنست چونز أن الكابوس هو مصدر الاعتقاد فى هذه الكائنات الخرافية والوحوش الأسطورية . فالكابوس مصدر الاعتقاد فى الأرواح . كما لعب الكابوس دورا هاما فى انتشار كثير من الأساطير والمعتقدات الخرافية فى الشياطين والساحرات والذئاب المسحورة ــ التى كانت أصلا رجالا تحولت الى ذئاب (Werewolves) والذئاب التى تتقمص أرواح الموتى وتمتص دماء الأحياء (Vampires) وقد انتشرت هذه المعتقدات فى أوربا ، وسادت بصفة خاصة مدة ثلاثة قرون (بين ١٤٥٠ ــ ١٧٥٠ م) والشطر الأكبر من كتاب ارنست چونز فى الكابوس يتناول دراسة هذه الكائنات الخرافية على ضوء التحليل النفسى . وقد أرجع معظمها فى النهاية الى الموقف الأوديبى ، أى الى الكراهية اللاشعورية نحو الأب ، والرغبة الداعرة نحو الأم . وقد أدى وضوح الكابوس الى اختلاطه بالحقيقة . وظاهرة اختلاط الأحلام بالحقيقة من الأمور المألوفة لدى البدائيين ، والأطفال، والعصابيين. كما ساعد اختلاط الكابوس بالحقيقة على انتشار الاعتقاد فى هذه الكائنات الخرافية .

والكابوس فى الاعتقاد الشعبى مصدره غيبى . فيعتقد أنه عبارة عن اغتصاب يقوم به أحد الكائنات الخرافية . ويرى ارنست جونز أن الدلالة الجنسية لهذا الاعتقاد الصحيحة . غير أن التأويل الشعبى أسقط الدوافع اللاشعورية فى العالم الخارجى . فهذه الكائنات الخرافية اسقاطات من اللاشعور فى الخارج ، ومنشؤها والكابوس واحد هو الصراع بين الرغبة اللاشعورية الأوديبية فى الاتصال الجنسى بالمحارم ، والخوف الشديد من هذا الاثم . فالشيطان صورة رمزية متنكرة للأب . والساحرة صورة رمزية متنكرة للأم . فالموقف الأوديبى كما يظهر فى الكابوس ، يفسر كذلك الاعتقاد فى الكائنات الخرافية كالشياطين والساحرات والذئاب المسحورة... فالنظرية الجنسية لارنست جونز لا تقتصر على تفسير الكابوس وحسب بل تساهم فى تحليل هذه المعتقدات الخرافية وتبين أن مصدر الاعتقاد فيها هو الكابوس . وأن المكونات الأولى لها وللكابوس، ودوافعهما اللاشعورية واحدة هوالموقف الأوديبى أى الى الكراهية اللاشعورية للوالد الذى من نفس الجنس ، والرغبة اللاشعورية الداعرة فى الوالد الذى من الجنس الآخر .

* * *

ان النظرية الجنسية لارنست جونز فى تفسيرالكابوس نظرية قديمة . فقد نشر كتاب الكابوس سنة ١٩٣١ الا أن معظم

موضوعاته كتبت فى سنة ١٩١٠ [1] ، فهو يمثل التحليل النفسى فى أولى مراحله وفى الوقت الذى لم تكن سيكولوچية « الأنا » قد درست بعد الدراسة الكافية . وتقوم النظرية الجنسية على دعامتين من آراء فرويد الأولى فى الأحلام ، وفى القلق . وارنست چونز محق فى اختيار الأحلام والقلق كدعامتين ليقيم عليهما تفسير الكابوس . الا أن فرويد غير رأيه فيما بعد بالنسبة لهذين الموضوعين : فقد كانت فكرة فرويد الأولى أن دوافع الأحلام رغبات جنسية طفلية مكبوتة . ولكنه عاد فاعترف فى كتاباته الأخيرة بأحلام الجزع وبأحلام العقاب ، وبأنهما يعبران عن تحقيق الرغبة فى الشعور بالذنب ، وعن وطأة القوى الكابتة فى العقل . كذلك وصل فرويد الى الصيغة الأخيرة لأقسام الجهاز النفسى وهى : الهو (The Id) ، والأنا (The Ego) ، والذات العليا ٢ (Super-Ego) وهذا التقسيم أدى الى تعديلات جوهرية فى فهمنا لطبيعة الأحلام وللقلق — وهو الدعامة الثانية التى قامت عليها النظرية الجنسية. وقد اعتمد ارنست چونز على دراسة قديمة لفرويد للقلق ، نشرت سنة ١٨٩٥ ؛ جاء فيها أن دوافع القلق رغبات جنسية مكبوتة . ولعل موضوع القلق من أكثر الموضوعات التى نمت

---

(١) Ernest Jones: Ibid, The Preface.

(٢) لكى لا يشعر القارىء بغموض هذه الالفاظ ، نهمس اليه بصفة مبدئية : ان الهو يشتمل على نزعاتك اللاشعورية المكبوتة ، والأنا هى ذاتك التى تشعر بها ، والذات العليا هى ضميرك — أنظر (الفصل العاشر — وشكل ٣)

وتناولها التغيير والاضافة على يد فرويد . واذا كان ارنست چونز يعتبر الكابوس نوبة من نوبات القلق ، فان فرويد فى كتاباته الأخيرة يعتبر القلق أساسا من أمراض « الأنا » . هذا على حين أن الرغبات الجنسية المحرمة ، وعقدة أوديب ، التى اعتبرها ارنست چونز دافعا للكابوس ، تنتمى الى « الهو » . كذلك ميز فرويد للقلق ثلاثة نماذج هى : القلق الموضوعى ، والقلق العصابى ، والقلق الخلقى ـ بحسب الأخطار التى تواجه « الأنا » من العالم الخارجى ، ومن « الهو » ومن الذات العليا على الترتيب .

واذا ماتغيرت الدعامتان اللتان تقوم عليهما النظرية الجنسية لتفسير الكابوس ، فماذا يبق لهذه النظرية بعد ذلك من أساس ؟ ان التفسير الجنسى للكابوس فكرة موجهة استعارها ارنست چونز من كتابات فرويد الأولى للأحلام وللقلق ، وطبقها على أعراض الكابوس . وحيث ان فرويد غير رأيه بالنسبة لهذين الموضوعين ، فان الكابوس مايزال فى حاجة الى اعادة الدراسة على ضوء تعديلات فرويد الأخيرة فى تفسيره للأحلام ، وفى تصويره للجهاز النفسى ، وفى تقسيمه للقلق . وهو ما نساهم به فى هذا الكتاب .

وهناك عيب جوهرى آخر فى كتاب ارنست چونز ، وهو خلوه من الأمثلة الواقعية للكابوس . فأهم ما يستلفت النظر أن كتابا فى ٣٧٠ صفحة بعنوان الكابوس يخلو من أمثلة مفصلة أو محللة له ، وهو أمر لم نعهده فى كتب تفسير الأحلام

ونذكر فى هذا الصدد أن فرويد نشر كتابه فى تفسير الأحلام بعد أن قام بتحليل نحو ألف حلم . أما كتاب ارنست چونز فقد استوعبت دراسة الكائنات الخرافية كالشياطين والساحرات والذئاب المسحورة .. وغيرها الشطر الأكبر منه .

ولا يمكن القول ـ حينئذ ـ بأن التفسير الجنسى نتيجة استخلصت من الأمثلة . وانما هو فكرة موجهة مسلم بها مقدما . وهذه الفكرة الموجهة لم تطبق على أمثلة واقعية للكابوس ، وانما طبقت على أعراضه المستخلصة من وصف الأدباء والكتاب له ، بما فى ذلك المثالان رقم ٢٧ ، ٢٨ للكابوس الذى ينتاب غير المتزوجات (فهما من وصف أحد كتاب القرن الثامن عشر) وقد يؤيد هذان المثالان اعتبار التفسير الجنسى تفسيرا جزئيا . على أنه لا يفوتنا أن نلاحظ فى هذين المثالين أثر المنبه الحسى الداخلى، وهو الاحساس بالألم فى بدء الحيض .

وعندما طبق ارنست چونز التفسير الجنسى على أعراض الكابوس وهى: الضغط على الصدر ، وفقدان القدرة على الحركة وسرعة خفقان القلب ... وصل الى أن المضمون الكامن للكابوس هو دور المرأة فى العملية الجنسية . ويرى هادفيلد أن هذه الأعراض ذاتها هى الأعراض المصاحبة للخوف الشديد . كما أن هذا التفسير الجنسى لا يصدق على الكابوس الذى ينتاب الرجال كالمحاربين العائدين من ميدان القتال أو الذين تعرضوا لصدمات. فالقول بأن مثل هذا الكابوس نتيجة صراع يدور حول رغبات جنسية محرمة ، أو نزعة مازوشية مكبوتة ، هو تبرير أو تحايل

لارغام هـــذه الظاهرة على أن تدخـــل عنوة فى اطار النظـــرية الجنسية .

وهذا النقد لكتاب الكابوس ينصب على قدمه ، وخلوه من الأمثلة ، وخروجه عن الموضوع واستغراقه فى تحليل الكائنات الخرافية ، وتشبثه بالرغبات الجنســـية المحرمة المكبوتة . وهذا النقد لأحد كتب ارنست چونز القديمة ــ ولعله أقل كتبه شأنا ــ لا يقلل بأية حال من الأحوال من فضل هذا الرجل على التحليل النفسى . وقد قرأنا له بمزيد من الاعجاب كثيرا من كتبه الثمينة ومقالاته الممتعة القيســة . وارنست چونز هو رئيس الجمعيـــة الدولية للتحليل النفسى . ويعد الآن بحق أعظم الأحياء من أقطاب التحليل النفسى .

الفصل السابع

طريقة يونج في تفسير الأحلام

« قد يكون الحلم تعويضا ، يتمثل فيه الجانب الذى أغفله الحالم من شخصيته . » يونج

الصور الأولية البدائية :

تعرف مدرسة يونج « بعلم النفس التحليلى » تمييزا لها عن مدرسة « التحليل النفسى » لفرويد . ويتعذر علينا فى هذا المقام ـ ونحن بصدد دراسة الكابوس ـ أن نعرض لفلسفة يونج التى تمثل نظاما شاملا ، مهما توخينا فى ذلك الايجاز . ولم يفرد يونج بحثا أو كتابا خاصا للأحلام أو للكابوس . وانما تتضح طريقته فى تفسير الأحلام من مواضع متفرقة فى كتاباته العديدة . على أن وجه الصعوبة فى استخلاص رأى يونج فى تفسير الكابوس لا يرجع لضخامة انتاجه ، ولا لتوزع ملاحظاته عن الأحلام فى مواضع متفرقة من كتاباته . وانما الصعوبة هى فى فصل ما ينتمى الى الكابوس عن ما ينتمى الى الأحلام .

وتختلف طريقة يونج فى تفسير الأحلام والكابوس ، عن طريقة فرويد وارنست جونز . فطريقة فرويد فى تفسير الأحلام وفى العلاج النفسى طريقة تحليلية علية ، تهتم بالدوافع والأسباب. أما طريقة يونج فطريقة تأليفية أو تشييدية ، تهتم بالأهداف والغايات . فطريقة يونج لا تعنى بالتحليل والتعليل والبحث عن الأسباب والدوافع الماضية ، وانما تعنى بالتشييد وبتفهم الأهداف والغايات ، وبتحقيق الوئام بين الدوافع والغايات ، وبايجاد علاقات بين خلجات النفس والفلسفات الكونية

كما تبدو فى الأساطير والديانات . فيونج لا يهتم بأسباب ودوافع الحلم ، وانما يهتم بالهدف والغاية التى يرمى اليها ، والوظيفة التى يحققها . فقد ينطوى الحلم على عظة أو على تحذير . وقد يلقى ضوءا على الجوانب التى أغفلها الحالم من شخصيته . فالحلم قيمة تعويضية ، وليس مجرد تحقيق رغبة كما يقول فرويد .

ويختلف رأى يونج فى اللاشعور عن رأى فرويد . ذلك أن يونج يرى أنه الى جانب اللاشعور الشخصى أو الفردى ، يوجد لاشعور جمعى وهو طبقة أبعد غورا فى أعماق النفس . وهو فطرى موروث يشترك فيه الناس جميعا . ويحتوى على انطباعات من خبرات الجنس توارثناها على مر الأجيال . كما يحتوى على « الصور الأولية البدائية ــ Archetypes » وهى نماذج قديمة للتعبير درج عليها النوع البشرى فى ارتقائه ، وطرائق للتفكير والسلوك انحدرت الينا من أسلافنا الأولين . وتظهر هذه الصور من وقت الى آخر بين شعوب مختلفة وفى عصور مختلفة . ويبدو تشابهها فى دوافع الأساطير ورموزها ، وفى الكوابيس والأحلام ، وفى القصص الخرافية ، وفى أوهام المعتوهين . تظهر هذه الصور والرموز المتشابهة تلقائيا فى خطوط متوازية ، فى أنحاء العالم المختلفة ، دون أن يكون الفرد قد عاناها أو مرت فى خبرته ، ودون أن يكون هناك احتمال فى أن يكون هذا التشابه نتيجة الانتقال والتوزيع . وهذا التشابه فى الرموز الأسطورية وفى الكوابيس والأحلام ، كما يبدو فى عصور مختلفة ، وبين الشعوب المتباعدة ، هو أكبر دليل عند يونج على وجود اللاشعور الجمعى .

ويرى يونج أن الكائنات الخرافيـــة التى تظهر فى الكابوس كالجن والشياطين ، والوحوش الأسطورية كالتنين والعنـــاكب الضـــخمة والأفاعى والأخطبوط والذئاب التى تتقمص أرواح الموتى وتمتص الدماء ، وغير ذلك من المخلوقات الوحشية التى تظهـــر فى الكابوس ، كلهـــا من « الصور الأولية البـــدائية » ومصدرها اللاشعور الجمعى . أما وجود نظائر لصور الكابوس فى الأساطير فيعتبرها اسقاطات فى الخارج من اللاشعور الجمعى.

وتظهر « الصور الأولية البدائية » فى الكابوس والأحلام فى أشكال أخرى مختلفة أهمها [1] بايجاز هى :

الخيال أو الظل :

وهو الجانب الذى أغفلناه من شخصيتنا كما يظهر فى الأحلام أو فى سورة الغضب . وهو عادة الجانب الغير ناضج أو البدائى أو الطفلى . هو مستر هايد الذى يقابله فى الشخصية الشعورية الدكتور جيكل . ويبدو الخيال من اللاشعور الجمعى فى صورة الشيطان أو الساحرة . (هذا على حين يرى ارنست چونز أن الشيطان صورة متنكرة للأب ، والساحرة صورة متنكرة للأم).

القنـــاع :

القناع (Persona) هو المظهر الخارجى الذى نضـــطر الى الظهـــور به ، بحسب الدور الذى نقـــوم به فى المجتمع . وهذا

---

(١) Frieda Fordham : " An Introduction to Jung's Psychology "; Pelican, 1953, Ch. III.

القناع يخفى الجوانب التى نحرص على اخفائها لأنها لا تتفقمع طبيعة مهنتنا أو مع رأى الناس فينا . ومن أمثلتها مظهر الدقة والصرامة التى يظهر بها رئيس العمل ، ومظهر الطيبة والوداعة التى تظهر بهما عادة زوجة رجل الدين . وقناع الذوق والأدب الذى نصطنعه أحيانا لنخفى الكراهية أو الاحتقار .

القرينة والقرين :

يرى يونج أن للاشعور قيمة تعويضية بالنسبة للشعور ، وأن فى لاشعور الرجل عناصر نسوية يسميها « القرينة » (Anima) وفى لاشعور المرأة عناصر مسترجلة يسميها « القرين » .

والقرينة هى حواء الخالدة التى تظهر صورتها للرجل فى أحلامه، كما تظهر فى الأساطير والعقائد وفى القصص الخرافية ـ وهى ما تعرف فى الميثولوجيا المصرية بالأخت الأرضية . وقد تتحكم هذه الصورة الأولية لاشعوريا فى اختيار الرجل لزوجته ، فيختارها على صورة المثل النموذجى للمرأة كما تخيله فى القرينة .

أما العناصر المسترجلة اللاشعورية للمرأة فهى القرين [1] (Animus) وهى قوة دافعة لاشعورية تتفاوت فى شدة وطأتها ، وتفصح عن نفسها فيما تقوم به المرأة من أعمال التمريض والتعليم والخدمة الاجتماعية . وتبدو هذه الصورة كذلك فى تشبث بعض

(١) فى الامثلة التى جمعناها للكابوس مثالان أمكن التعرف فيهما على القرين غما رقم ٤١ ، ٤٢ .

النساء بالرأى العام ، وبالقواعد والأحكام المستمدة من السلطة. كما يبدو فى ميل بعضهن الى القسوة والتسلط وكثرة الانتقاد .

العجوز الحكيم :

ويظهر فى الأساطير بصفة خاصة فى صورة المنقذ أو البطل المنجى أو المعلم والرجل الصالح أو المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض عدلا . وهذه الصورة الأولية من اللاشعور الجمعى من الصور الخطرة التى تهدد الشخصية . فقد تسيطر على أوهام بعض المعتوهين ، فيتخيلون لأنفسهم قدرات خارقة . . . وقد يلتف حولهم الأتباع الى حين ...

الأم العظمى :

وهى صورة أولية قديمة تظهر فى كثير من العقائد . وقد تسيطر على المرأة فتعتقد أن لها قدرة على عطف الآخرين وحبهم وحمايتهم ومساعدتهم ، فتكرس نفسها لخدمة الغير ، وتستغرق فى ذلك الى حد ارهاق نفسها وتحميلها فوق ما تحتمل . وقد تظهر أحيانا فى صورة مدمرة قاسية ، فتطغى المرأة وتفرض سيطرتها على الآخرين وتستبد بهم .

نكتفى بهذا القدر من الصور الأولية ، وهنالك كثير غيرها . وعلينا الآن أن نبين كيف تستغل هذه الصور فى تفسير الأحلام . والمثال التالى ـ الذى ذكره هادفيلد ـ يوضح ذلك بجلاء ، كما يوضح الفرق بين طريقة فرويد وطريقة يونج :

٢٩ ـ حلم النقاب

آنسة ... كان والدها يعاملها معاملة قاسية ، الأمر الذى أدى بها الى كبت انفعالاتها ، والى انصرافها الى الدراسة ، والى الظهور بمظهر الابنة العاقلة المهذبة .

حلمت « انها عميت ، وعلى وجهها نقاب سميك مطرز بالأزهار . ثم ظهر عبد أسود انحنى وقبلها على جبهتها . وعندئذ اختفى النقاب ، وعاد اليها بصرها . »

اذا اصطنعنا طريقة فرويد ، بدا العبد الأسود كرمز بديل للأب . والقبلة وزوال النقاب تعبير عن الاتصال الجنسى . وارتداد البصر رمز الى تفتح أعينها واطلاعها على الأمور الجنسية بعد أن تذوقت من شجرة المعرفة .

وقد يوافق يونج على المغزى الجنسى لهذا الحلم . ولكنه لا يعنى بدوافعه قدر عنايته بالغاية التى يهدف اليها . ويكمل بطريقته التأليفية ، الطريقة التحليلية لفرويد : فالنقاب ذو الأزهار الجميلة هو « القناع » أو مظهر الوداعة والتعقل الذى تظهر به هذه الآنسة . غير أن هذا القناع حال بينها وبين رؤية ومواجهة الحياة. أما العبد الأسود فهو « القرين » وتتمثل فيه نزعاتها البدائية وعواطفها الجائشة التى كبتتها وأغفلتها ، الأمر الذى أدى الى عدم تبصرها بأسرار الحياة ، أى الى عماها . وعند ما قبلها العبد الأسود ، أى عند ما تعرفت على الجانب العاطفى من حياتها الذى أغفلته ، اختفى المظهر الخداع أى القناع أو النقاب ، وأصبحت

أكثر تبصرا وأكثر قدرة على رؤية الحياة على حقيقتها ، أى عاد اليها بصرها . وهذا التفسير لا يعنى بالدوافع أو العقد ، قدر عنايته بتحقيق الوئام بين جوانب الشخصية .

وقد وصل يونج بدراسته « للصور الأولية البـدائية » من اللاشعور الجمعى الى نتائج تدعو الى الاهتمام . ومن أهم هذه النتائج أن الانسان مزود بما يسميه « وظيفة دينيـة » وأن أثر هذه الوظيفة لا يقل عن أثر الغريزتين الجنسية والعدوانية . وأن الصحة النفسية للفرد تتوقف على الافصـاح المناسب عن هذه الوظيفة ، بنفس درجة توقفها على الافصاح عن الغرائز .

وتفصح هذه الوظيفة الدينية عن نفسها بصفة خاصة فيمـا ينتاب بعض الناس من معـاناة للخبرات الدينيـة الأصلية ، فى الرؤى التى تعبـر عن بعض الأمور الدينية . وقد تكون رؤيا صـورة الاله أو صورة نبى من الأنبياء أعظم خبرة جـوهرية تستحوذ على النفس . وهذه المعاناة الدينية تظهر فى سير الأولياء والقديسين والكهان . وما قد تعنيه هذه الخبرة الدينية الأصلية مسجل فى التوراة تسجيلا حيا ، فى قصص الأنبياء . ومن أمثلتها ، قصة تحول شاؤول . فبعد أن رأى شاؤول الضوء الباهر الذى ظهر فى السماء ، وسمع صوتا يناديه قائلا : « شاؤول ، شاؤول، لماذا تضطهدنى ؟ » أصبح ضريرا لمدة ثلاثة أيام ، ولم يستطع أن يأكل أو يشرب . ولما عوفى تغيرت كل حياته ، وتحول عن عقيدته. وكثيرا ما يحمل الكابوس طابع المعاناة الدينية . وفى الأمثلة

التى جسعناها للكابوس ثلاث أمثلة من هذا النوع [1] ، فسرناها على أساس شدة وطأة الضمير على « الأنا » ، وهو تفسير يحررنا من قبول فكرة « الصور الأولية » أو اللاشعور الجمعى .

* * *

ان أقوى دليل عند يونج على وجود اللاشعور الجمعى هو تشابه رموز الأحلام والأساطير عند شعوب مختلفة متباعدة . غير أن هذا التشابه يمكن تفسيره تفسيرا ديناميكيا على أساس وحدة الجهاز النفسى وتشابهه عند مختلف الناس [2] .

وأضعف نقطة فى نظرية يونج هى اعتباره صور الكابوس من « الصور الأولية البدائية » وقوله ان هذه الصور من خبرات الجنس الموروثة . فهـل تتوارث الصفات العقليـة والخبرات المكتسبة ؟ وكيف ؟ ذلك أنه لم يثبت بعد امكان توارث الصفات المكتسبة .

كذلك يتعذر اثبات أن لهذه « الصور الأولية البدائية » التى تظهر فى الكوابيس ، والأساطير والقصص الخرافيـة ، وأوهام المعتوهين ــ يتعذر اثبات أن لها نشآت مستقلة ، وأنها ليست نتيجة للانتقال والتوزيع والاكتساب الفردى .

وليست « الصور الأولية البدائية » حقائق موضوعية ، أو

---

(١) هى رقم ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٢) انظر الفصل الرابع عشر .

موجودات كائنة فى العقل ولكنها استعدادات تعبر عن وظائف وعمليات فى اللاشعور . ولا يشترط أن تكون هذه الصور فطرية أو من خبرات الجنس المتوارثة .

ويرى هادفيلد أن استعداداتنا الفسيولوجية هى المتوارثة ؛ وأن الكابوس الذى يظهر فى شكل أحد الوحوش الأسطورية أو أحد الكائنات الخرافية عبارة عن تجسيم واسقاط لاحساساتنا الفسيولوجية . فدوافعه فردية وليست جمعية ، مكتسبة وليست فطرية .

أما القرين والقرينة فهما حقائق بيولوجية تتوقف على عمل الغدد الصماء . ففى تكويننا الفسيولوجى جانب مذكر وجانب مؤنث . وقد يكون القرين والقرينة من اللاشعور الفردى ، ويمثلان علاقة الطفل بوالديه فى الموقف الأوديبى . وبذلك تكون القرينة فى أحلام الرجل صورة متنكرة للأم ؛ والقرين فى أحلام المرأة رمزا بديلا للأب .

أما القناع الذى نصطنعه للظهور به أمام الناس فهو دون شك مكتسب ، ونضطر اليه تحت وطأة الظروف الاجتماعية ، ويختلف باختلاف هذه الظروف .

حقا ان الأحلام المهمة التى لا تنسى والتى تتسلط على المخيلة وتنزع الى التكرار ، قد يكون لها قيمة تعويضية ، ويتمثل فيها الجانب الذى أغفله الحالم من شخصيته . فهى بمثابة احتجاج من لاشعور الحالم يهدف الى تنبيهه لكى يغير من اتجاهه الشعورى .

الفصل الثامن

أول صدمات الحياة

« وجعلنا من الماء كل شيء حي »

قرآن كريم

الميلاد أول صدمات الحياة :

تحدثنا فى الفصل الأول عن الكابوس الذى يكرر خبرة سابقة قد تكون صدمة أو خبرة مؤلمة تعرض لها الشخص فى حياته ، مثل كابوس المعارك الذى ينتاب الجند ، والكابوس الذى يكرر خبرة التخدير الكلى . وذكرنا أن الخبرة التى يكررها الكابوس قد ترجع كذلك الى مرحلة الطفولة الأولى ، أو الى صدمة الميلاد .

والميلاد حدث يمر به البشر جميعا . والانتقال من حياة الجنين الى حياة الوليد يصحبه من الألم والتغيرات الفسيولوجية والبيئية الحادة ، ما يترك فى نفس الوليد أثرا عميقا باقيا . فالجنين فى الرحم ينعم بالدفء والراحة والهدوء ، ويجد كل حاجاته ... ثم يتعرض الطفل أثناء عملية ولادته لخبرة مؤلمة ، ويخرج الى عالم يختلف كل الاختلاف عن الوسط الذى كان يعيش فيه . وصدمة الميلاد هى النموذج الأول الذى على صورته تكون ضروب الحصر أو الاستجابات القلقية التى تصاحب صدمات الحياة التالية .

وقد توسع ناندور فودور [1] فى كتابه : « اتجاهات جديدة فى تفسير الأحلام » سنة ١٩٥١ فى التعرف على صدمة الميلاد فى الكابوس والأحلام . ومن المعروف أن لكل مرض نفسى كوابيس

(١) Nandor Fodor : " New Approaches to Dream Interpretation"; New York — 1951.

وأحـــلام ذات طابع خاص تدل عليه . ومن تحليـــل الكوابيس والأحلام المتكررة التى تنتاب العصابيين وبصفة خاصة المصابين بالخوف من الأماكن المغلقة (Chaustrophobia) ، وبالجنسية المثلية ، وبغيرها من الأمراض النفسية ، استطاع ناندور فودور أن يرجع عصابهم والكوابيس والأحلام المزعجة التى تنتابهم الى صدمة الميلاد .

ونستطيع أن نميز فى كتاب ناندورفودور طائفتين من الكابوس : الطائفـــة الأولى ، هى الكابوس الذى يظهر فى صـــورة وحش مفترس كالدب أو العنكب الضخم أو التنين أو الذئب . والطائفة الثانية ، للكابوس الذى يرى فيه النائم وكأنه يمر فى نفق ضيق أو ممر مظلم أو طريق مقبى ـــ أو أنه يسقط من شاهق فى الماء أو فى هاوية لا قرار لها ـــ أو أن بناء اندك وطمره تحت أنقاضه ـــ أو أنه يدور فى دوامة هائلة تعصف به وتشل حركته وتتركه مرهقا مكدودا . ويرجع كلا النوعين من الكابوس الى صدمة الميلاد . وفيما يلى أمثلة لكل من النوعين . والأمثلة الثلاثة الأولى للكابوس الذى يظهر فى صورة وحش مفترس :

فالكابوس الذى يطارد فيه الحالم دب كبير فينتابه منه الهول والفزع ، يرجع الى صدمة الميلاد . بدليل أن كثيرا من القصص الخرافية التى تروى للأطفال يدور موضوعها حـــول دب كبير يلتهم الأطفال .. ثم يأتى الأب فيقتـــل الدب .. وينقذ الأطفال أحياء من جوفه . وفى التوراة عاير الأطفال اليشع بأنه أقرع ،

فخرج دب وأكلهم . ولفظ (Bear) فى اللغة الانجليزية اسم وفعل . فهو اسم للدب ، وفعل للحمل .

٣٠ ــ والكابوس التالى يوضح معنى رمز الدب . وهو كابوس انتاب أحد المرضى الذين عالجهم ناندور فودور :

« حلمت أنى فى نفق مطلية جدرانه باللون الأحمر ، وفى نهاية النفق دب ، أما طرفه الآخر فمفتوح وعليه ستار مدلى . وخرج الدب منه مرة ، فتعجبت من مهارته فى رفع الستار ، وعند ما خرج تحول الى كلب . ثم خرجت من فتحة النفق ، فوجدت حبلا مدلى تعلقت به . »

وبالتداعى الحر أدرك الحالم أن الحبل هو الحبل السرى . والنفق هو الرحم . وطرف النفق المفتوح هو فتحة الرحم . والدب تجسيم لخوفه من الولادة . وتحوله الى كلب استئناس الخوف وزواله . وقد أدى استبصار المريض الى عدم تكرار كابوس الخوف من الدب أو من الولادة .

٣١ ــ سيدة من نيويورك رأت فى الحلم : «سيقان أشجار مقطوعة على شكل حرف (V) تقف على كل منها قطة متوحشة أو لبؤه تأكل أحشاء ولحما نيئا داميا . »

وحرف (V) رمز لجسم امرأة منفرجة الساقين ، كما فى حالة الوضع . واللحم النىء والأحشاء رمز للسقط ، اذ أن هذه السيدة كانت حاملا وأجهضت نفسها . أما اللبؤة أو القطة المتوحشة ، فرمز للسيدة نفسها التى يؤنبها ضميرها على عملية الاجهاض . وتكرار سيقان الأشجار والحيوان للتأكيد .

والميلاد فى الأحلام له علاقة بالماء . فالخروج من الماء أو السقوط فيه رمز للولادة ، والكابوس التالى يوضح ذلك :

٣٢ ـ « رأيت أخطبوطا كبيرا يلفني بين أطرافه ، ويغوص بى فى البحر ، فصرخت واستيقظت مذعورا . »

وتفسيره أن البحر رمز للأم . وفى اللغة الفرنسية (Mère) تعنى البحر والأم . والأخطبوط رمز للرعب من الميلاد . واذا (قلبنا) الغوص فى البحر بالخروج منه ، اتضح مغزى الميلاد فى هذا الكابوس .

ويكاد ينعقد اجماع المشتغلين بتحليل الأحلام على أن الميلاد فى الأحلام له علاقة بالماء [1] . ما عدا شتيكل الذى يرى أن الماء فى الحلم رمز للعقل أو للنفس .

والأمثلة التالية للكابوس الذى يعبر عن صدمة الميلاد كذلك، دون أن تظهر فيه صور الوحوش المفترسة .

٣٣ ـ « حلمت أنى أتدلى الى البحر خلال ثقب فى الأرضية ممتلئا بالماء خائفنه . وكان على أن أفعل شيئين : أن أنزل، وأن أتلقى ضربة على جسدى . »

والدخول فى الماء يدل على الخروج منه أى على الميلاد . وفى

---

(١) ومن الطريف أن ابن سيرين أدرك هذه العلاقة ، فهو يقول : « والماء فى قدح زجاج ولد ، فان انكسر القدح وبقى الماء ماتت الأم وبقي الولد . وان ذهب الماء وبقى القدح مات الولد وبقيت الأم . » منتخب الكلام ، ص ٢٢١ . ولا يعنينا من هذا التفسير القيمة التنبؤية له عمن يموت وعمن يبقى . وانما الذى يعنينا هو دلاله التأويل ـ أى علاقة الولادة بالماء ـ وهى لا تخلو من فراسة .

هذا الحلم يقول الحالم « كان على » أى أن هناك شيئا مقدرا لا بد من مواجهته ، وهو الميلاد ، ثم صفعة الطبيب على مؤخر الوليد ليبدأ البكاء والتنفس .

٣٤ ـ كانت احدى السيدات ينتابها كابوس تشنق فيه . وكان هذا الكابوس يتكرر .

وعند ماوجه نظرها الى مولدها ، تذكرت ماسمعته عن مولدها من أمها أكثر من مرة وهو أنها ولدت والحبل السرى ملفوف باحكام حول عنقها .

٣٥ ـ والكابوس التالى لشخص كان يعانى من الخوف من الأماكن المغلقة : ((حلمت أنى فى كهف ، وانهار السقف والجدران فوقى)) واعتدت كذلك أن أحلم ((بطريق مظلم ضيق كالنفق أزحف فيه على بطنى)) .

والحلمان التاليان لسيدة فى السادسة والثلاثين من عمرها .

٣٦ ـ ((حلمت أنى دخلت منزلا كبيرا فوجدت فيه موقدا ضخما . وكلما دخلت الحجرة التى تحتوى على هذا الموقد أغلق على الباب من خلفى فلا أستطيع الخروج والوصول الى والدتى الا من خلال فتحة ضيقة مقبية فى الموقد . ولما كانت هذه الفتحة ضيقة ، فقد كان على أن أجاهد لأخلص نفسى من خلالها .))

٣٧ ـ ((رأيت أنى فى شارع ونظرت خلفى فوجدت آلافا من الناس مزدحمة ، فلم أتمكن من الرجوع ، ثم رأيت أمامى طريقا مقبيا متسعا فسلكته ، وكلما أوغلت فيه وجدته يضيق تدريجيا ،

حتى لم يعد فى نهايته ســوى فتحة ضــيقة كان على أن اعتصر نفسى بجهد كبير لأنفذ من خلالها » .

وفى كلا الحلمين فتحة مقببة هى فتحة الرحم . والجهاد للخروج من هذه الفتحة الضيقة تصوير لعملية مولد الحالمة . وكلا الحلمين مصــحوب بحصر وقلق شــديد . وفى كلا الحلمين شيء مقدر لابد منــه يبــدو فى قولهــا « كان على » وهــذه القــدرية أو الجبرية من السمات المميزة التى تعرف عليها « فودور » لأحلام الولادة . وفى الحلم الأول يرمز الموقد للرحم ، ويصور حرارته .

* * *

الميزة الهامة لكتاب ناندور فودور أنه حافل بأمثلة للكابوس. فهو من هذه الناحية يمتاز على كتاب ارنست چونز الذى لم يعتمد على الأمثلة الواقعية للكابوس قدر اعتماده على وصف الأدباء والكتاب له .

ويلاحظ فى هذه الأمثلة عمق التحليــل . وناندور فودور اذ يرجع الكابوس الى صدمة الميلاد ، يذهب فى التحليل الى مدى أبعد من الموقف الأوديبى وعلاقة الطفــل بوالديه التى يعتبرها ارنست چونز دافعــا للكابوس . كذلك يعتبر ارنست چــونز الوحوش المفترسة والكائنات الخرافية فى الكابوس رموزا بديلة للوالدين : فالذئب والشيطان رمز للأب ، والعنكب والساحرة رمز للأم . أما ناندور فودور فتحليله لهذه الوحوش أعمق، فهو يرجع الخوف من الدب أو العنكب أو الذئب أو التنين فى الكابوس الى الخوف من الميلاد أى الى مرحلة سابقة للموقف الأوديبى .

ويبدو عمق تحليله كذلك فى اعتباره أن الرموز الجنسية المؤنثة المعروفة كالموقد والكهف .. رموزا للرحم .

وهذه الأمثلة التى وقع عليها اختيارنا ، تبدو تفسيراتها على أساس صدمة الميلاد مقنعة . غير أن هناك أمثلة أخرى فى كتاب « فودور » تبدو تفسيراتها مفتعلة وغير معقولة . فمن المغالاة والتعسف تطبيق هذه الفكرة الموجهة ، وهى صدمة الميلاد . على كل كابوس .

ولا يعتبر ناندور فودور صدمة الميلاد أولى الصدمات التى يتعرض لها الطفل فى حياته ، وانما يرى أنه يسبقها صدمات أخرى أثناء وجود الجنين فى الرحم (Prenatal Traumata) نتيجة مباشرة الأب العملية الجنسية مع وجود الجنين فى الرحم . مما يؤدى مثلا الى كابوس الزلزال ، وكابوس النار المشتعلة [1] .

وعلى الرغم من عمق هذا التحليل ، الا أننا نرى أن صدمة الميلاد ليست سوى تفسيرا جزئيا للكابوس . فمثل صدمة الميلاد كمثل أية خبرة سابقة لا تعتبر وحدها سببا كافيا لاثارة الكابوس . فلا ينتاب الكابوس كل من كانت ولادته عسرة . فلابد أن هناك مضمونا نفسيا كامنا يطابق هذه الخبرة، ويدخل القلق المصاحب لها ضمن مضمونه النفسى . ونحن لا نعتبر صدمة الميلاد نهاية التحليل بالنسبة لكابوس الاختناق بصفة خاصة . ونرى أن المضمون النفسى لهذا النوع من الكابوس

---

(١) N, Fodor: Ibid. P. 102, 103.

هو شـــدة وطأة الضمير أو « الذات العليـــا » على الذات أو « الأنا » وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعيد تأويل بعض أمثلة مما ذكرها « فودور » لكابوس الاختناق .

كابوس رقم ٣٢ مكرر :

« رأيت أخطبوطا كبيرا يلفنى بين أطرافه ، ويغوص بى فى البحر ، فصرخت وقمت مذعورا . » وقد فسره « فودور » على أساس أن البحر رمز الأم . والأخطبوط رمز للرعب من الميلاد ثم قلب الغوص فى البحر بالخروج منه ، فاتضح له مغزى الميلاد فى هذا الكابوس .

أما تفسيرنا ، فلا يأخذ من صدمة الميلاد سوى حالة القلق المصاحبة لها . ونعتقد أن الذات العليـــا تستطيع أن تعبر عن وظيفتها وشـــدة وطأتها بأن تبدو فى شـــكل أخطبوط يكتم أنفـــاس « الأنا » أو الذات ، ويغوص بها فى البحر ، فتعانى الحصر والقلق الشديد الذى عانته أثناء مولدها .

كابوس رقم ٣٤ مكرر :

كانت احدى السيدات ينتابها كابوس تشنق فيه . وعندما وجه « فودور » نظرها الى مولدها ، تذكرت ما ســـمعته عن أمها ، وهو أنهـــا ولدت والحبل السرى ملفوف بإحكام حول عنقها .

ولنا أن نتســـاءل هل كل من كانت ولادته عسرة ينتـــابه الكابوس ؟ ألا يجوز أن تطابق هذه الصدمة ، دافعا نفســـيا أصيلا يستفيد منها ، كأن تكون الذات العليا من القسوة على

الذات بحيث تذيقها طعم الموت . وتجعلها تعانى من الاستجابة القلقية التى عانتها أثناء مولدها ، ولا سيما أنها ولدت والحبل السرى ملفوف حول رقبتها . فالشنق فى هذا الكابوس هو المضمون الصريح الذى يخفى فى المضمون الكامن شدة وطأة الذات العليا على الذات ، مما يؤدى الى معاناة الحصر والقلق الذى صاحب صدمة الميلاد .

ومن بين الأمثلة التى جمعناها ثلاثة أمثلة لكابوس الدفن حيا [1] . ويقبل كل منها تفسيرين : أحدهما على أساس صدمة الميلاد ، والآخر على أساس تخلى الذات العليا أو الضمير عن الذات ـ وكلا التفسيرين مكمل للآخر .

---

(1) انظر الفصل الحادى عشر ـ رقم ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

الفصل التاسع

التفسير البيولوجي

« ننام لنهرب من مشكلات النهار ؛ ونستيقظ من الكابوس لنهرب من مشكلات الليل »

هادفيلد



صباح ـ للفنان دودپروكتر
متحف التيت ـ لندن

نظرية هادفيلد :

أحدث النظريات فى تفسير الكابوس هى النظرية البيولوچية لهادفيلد [1] . فقد صدر كتابه « الأحلام والكوابيس » سنة ١٩٥٤ ويطالعنا فيه بنظريته البيولوچية فى تفسير الأحلام ومؤداها أن للحلم والكابوس وظيفة بيولوچية ، كما أنهما يعبران عن مشكلات الحياة .

وهادفيلد باحث متحرر لا ينتمى الى مدرسة معينة . وتمتاز نظريته بأنها أعم وأشمل من نظرية ارنست چونز ، ونظرية يونج . فهى تتضمن الرغبات الجنسية التى يقول بها فرويد — الذى أخذ عنه ارنست چونز ؛ والصور الأولية البدائية — بعد تعديلها — التى يقول بها يونج . وقد رأينا أن فرويد يهتم بدوافع الحلم ؛ على حين يهتم يونج بالغاية التى يهدف اليها . أما هادفيلد فهو اذ يرى فى الحلم تعبيرا عن مشكلة ، يجمع بين الدافع والغاية . ويقول ان كل حلم كامل يتناول الدافع والغاية . فالجزء الأول من الحلم يكشف عن المشكلة ، وقد يشير الى أسبابها ودوافعها . ثم فى القسم الأخير منه تبدو المحاولة لحلها . ومثال ذلك حلم النقاب (رقم ٢٩) فالجزء الأول منه يكشف عن المشكلة النفسية ويرمز لها بالعمى . وسببها أنها كبتت انفعالاتها ، وظهرت بمظهر الفتاة المؤدبة

---

(١) J. A. Hadfield: "Dreams and Nightmares"; Pelican, 1954, PP. 175—200.

الوديعة العاقلة . وفى القسم الأخير منه تبدو المحاولة لحل هذه المشكلة ، بالتعرف على انفعالاتها والجانب من شخصيتها الذى أغفلته .

ويرى هادفيلد أن الأعراض الهامة للكابوس هى أعراض الخوف الشديد ، الذى يؤثر فى التنفس ، ويؤدى الى سرعة خفقان القلب وتصبب العرق ، وعدم القدرة على الحركة . ويصدق هذا على المخاوف سواء أكانت موضوعية ، من القنابل أو من الاختناق ، أو مخاوف جنسية ، أو من نزعاتنا العدوانية والغضبية التى نستجيب لها وكأنها خطر يتهددنا من الخارج . وفى حالات كثيرة تكون المخاوف فى الكابوس جنسية واضحة ، مثل كابوس المطاردة الذى ينتاب الفتيات فى دور المراهقة . أو خوفهن من اللصوص فى أحلامهن . غير أن هذا لا يعنى ـ كما يقول ارنست چونز ـ « ان مثل هذا الصراع الحاد لا يدور الا حول المسائل الجنسية » فقد يكرر الكابوس الخبرات الواقعية التى مرت بنا ، وقد يعبر عن المخاوف الموضوعية أو عن الخوف من نزعاتنا .

ويعتبر هادفيلد الفرق بين الكابوس والحلم المزعج فرق فى الدرجة لا فى النوع . ويطلق اسم الكابوس على الأحلام الحصرية الشديدة الوطأة التى تبدو فيها مصاحبات الخوف الشديد كسرعة خفقان القلب ، وتصبب العرق ، وضيق التنفس . أو التى يغلبنا فيها على أمرنا مخلوق وحشى كالعناكب الضخمة ، أو التنين أو الذئاب المسحورة ... وغير ذلك من

الوحوش الأسـطورية التى تتهددنا فى المنـام فنستيقظ منها فزعين . ولكنه لا يتقيـد بهذا التعريف حيث ان الفـرق بين الكابوس والحلم المزعج فرق فى الدرجة لا فى النوع .

وهناك فرق جوهرى بين الحلم العادى والكابوس . فالحلم والكابوس كلاهما يكرر مشاكل ماثلة تتطلب الحل . الا أن المشاكل التى تظهر فى الأحلام العـادية ، يبدو فيها طريق الى الحل ، وبذلك نسـتمر فى النوم . أما فى الكابوس فالصراع حاد والفزع جسيم ، وتتكرر المشاكل بأسبابها الرهيبة دون أن يقـدم الكابوس لها حلا . فيترتب على شـدة الصراع ، والتوتر الانفعـالى ، والهلع الذى لا يحتمل ، أننا نهب من نومنا مذعورين . فكما أننا ننـام لنهرب من مشاكل النهار ؛ فاننا من الكابوس نستيقظ لنهرب من مخاوف الليل ومشاكله التى لم تحل .

ولهذا السبب يعتبر الكابوس الطريقة المثـلى التى تظهرنا على المشكلة الحقيقية التى يشكو منها الفرد ، وتعكر صـفو حياته . بينما تشـير الأحلام العـادية الى طريق لمعالجة هذه المشاكل . والمثال التالى لكابوس يعبر عن مشكلة لم تحل .

٣٨ ـ امرأة مخطوبة لرجل تحبـه ، وتقضى معـه أوقاتا سعيدة . وكانت من قبل مخطوبة لضابط قتل فى الحرب .

ظهر لها فى الكابوس شبح خطيبها الأول ، ونظر اليها معاتبا ، فقامت من نومها فزعة ، وغمرها شـعور بالاثم والخجل وعدم الوفاء .

وقد كانت هذه السيدة قد صممت عقب مقتل خطيبها الأول على عدم الزواج . فلما أحبت خطيبها الثانى ، تملكها الشعور بالاثم . فهذا الكابوس يعبر عن مشكلة لم تحل ، واستيقظت لتهرب منها .

وهنالك فرق آخر بين الحلم العادى والكابوس . وهو أن الحلم العادى اذ يتناول مشكلة من مشاكل الحياة ، ينزع الى أن يغير موضوعه فيما يليه من أحلام تبعا لتقدم الشخص فى حل مشكلته ؛ على حين أن الكابوس ينزع الى التكرار . فيستمر نفس الكابوس من الطفولة الى الكبر ، ويتكرر عاما بعد آخر ، لأنه يتناول مشكلة لم تحل .

ويتعرف هادفيلد على نماذج ثلاثة للكابوس هى :

١ ـ الكابوس الناتج من خبرات موضوعية ، سواء حدثت فى الطفولة أو فى المراحل الأخرى للحياة .

٢ ـ الكابوس الناتج من الخوف من نزعاتنا سواء أكانت جنسية أو عدوانية أو من الخوف ذاته .

٣ ـ الكابوس الذى تتجسد فيه احساساتنا الفسيولوجية وتسقط فى صور الكائنات الخرافية والوحوش الأسطورية .

(١) الكابوس الناتج من خبرات موضوعية

من الكابوس ما يكون تكرارا للخبرات الواقعية التى حدثت فى الماضى ، والمخاوف والأخطار والصدمات التى استجبنا لها بطرق شاذة . مثل أحلام الحرب التى تنتاب الجنود.

ومثل الكوابيس التى تكرر الصدمات والحوادث المفزعة التى عانيناها فى الماضى ، كذلك تنزع المشاكل التى لم تحل الى التكرار فى الكابوس . واذا كان ارنست جونز يتشبث بالغريزة الجنسية فى تفسير الكابوس ، فان هادفيلد يعتبر غريزة الخوف الدافع الأساسى له . ويعطى أهميـة كبيرة لمخاوف مرحلة الطفولة بصفة خاصة . فكثيرا ما يفصح الكابوس الذى يتكرر عن مخاوف وخبرات الطفولة ، مثـل كابوس الاختناق الذى يكون أحيانا تعبيرا عن صدمة الميلاد أو الولادة العسرة ، التى تؤدى كذلك الى عصاب الخوف من الأماكن المقفولة .

ويعتقد هادفيلد فى امكان تكرار خبرات بذاتها فى الكابوس ، دون أن تتنكر فى صـور رمزية . فقد تتكرر نفس المشـاكل العسيرة التى تمثل خبرات حدثت فعلا فى الكابوس لأنها تمثل خبرات ومخـاوف مكبوتة ومنسية ولأنهـا مشاكل لم تحل . وغالبيـة الكوابيس التى من هذا النـوع ترجع الى مرحلة الطفولة المبكرة ، لأن الطفل لا قبـل له بمواجهة مثـل هذه الخبرات أو المشاكل والاستجابة لها بطريقة سوية وهو ما يزال ضعيفا وفى حاجة الى الحمـاية والأمن من والديه . فالخبرات المخيفة أو المؤلمة والمشاكل التى لم تحل التى مرت على الطفل تنزع الى التكرار فى الكابوس لأنها كبتت وانفصلت ونسيت .

غير أن خبرات الطفولة المبكرة ينـدر أن تكون وحدها سببا فى الكابوس . فكثير من الأطفال يتعرضون لأمراض أو لخبرات مؤلمة أو لحوادث وصدمات دون أن يتعرضوا فيما بعد

للكابوس . يرى هادفيـــلد ضرورة توفر عاملين لذلك هما : تكرارالخبرات المؤلمة مما يؤدى الىتقويتها بنوع من الشرطية ، وحرمان الطفل من الشعور بالأمن . فاذا توافر هذان العاملان استمرت المخاوف الأولى ، وتكررت الخبرات المؤلمة فى شكل كابوس .

وهنـــالك عامل آخر يمكن أن يقـــوى الخوف الأول وهو ارتباط هذا الخوف الموضوعى بخوفخلقى . ومثالذلك : طفل هاجمه ثور وتعقبه فى الحقل ولكنه نجا منه . مثل هذه الخبرة المؤلمة قد تسبب الكابوس . ولكنها ما لم تقوى ، فيحتمل أن تمر وتنسى ، دون أن يحدث منها ضرر . ولكن المربية استغلت هذه الخبرة وهددت الطفل بأنه اذا أساء السلوك فسيهاجمه الثور . وبذلك تحول الخوف الموضوعى ، الى خوف خلقى . وكلمـــا أراد الطفل الانطلاق على سجيته ، عاوده الكابوس متكررا بعد أن تقوى بالوازع الخلقى .

(٢) الكابوس الناتج من الخوف من نزعاتنا

قد يكون الكابوس الذى يطارد فيه النائم حيوان مفترس كالأسد أو النمر ، أو يتهدده فيه أحد المخلوقات الوحشـــية كالتنين أو العنكب الضخم أو الذئب المسحور .. ــ قد يكون مثل هـــذا الكابوس تجسيدا واســـقاطا لنزعات الخوف أو الغضب أو الجنس . ويوضح هذا النوع من الكابوس المثال التـــالى :

٣٩ — طفل تربى فى مزرعة فى مجاهل افريقيا . وكان زئير الأسود يصل الى سمعه ، ولكنه لم يشعر بالخوف منها لأنه كان متمتعا بالعطف شاعرا بالأمن مع والديه . غير أنه لم يلبث أن اتهم فى جريمة خلقية ، وعاقبه عليها والداه ، الأمر الذى أدى الى حرمانه من الشعور بالأمن . فأخذ يستولى عليه كابوس مؤداه :

أن السباع تطارده فى الظلام ، فيعدو أمامها مذعورا .

وتعتبر السباع رموزا توضح « ميكانيزم التكثيف » ، فهى ترمز للسباع الحقيقية ، كما أنها رموز بديلة للوالدين ، ولرغباته الجنسية الجامحة . واذا كان لهذا الكابوس أساس موضوعى ، هو الخوف من السباع الحقيقية ، فله كذلك مغزى خلقى . كما أنه يتناول مشكلة تمثل الصراع بين رغباته الجنسية والشعور بالاثم .

وغالبية مخاوف الليل التى تستولى على الأطفال ذات طبيعة خلقية . وهذا هو السبب فى أنها تبدأ غالبا فى سن الثالثة تقريبا ، وهى السن التى يبدأ فيها تكوين الضمير والشعور بالاثم . وهذه الطبيعة الخلقية والشعور بالاثم كذلك من دوافع الكابوس ، والمخاوف المرضية (Phobias) والأفعال القهرية المتسلطة (Absessions) عند البالغين . وكذلك الخوف من الشر المستطير الذى يكابده من ينتابه الكابوس ، غالبا ما يكون نتيجة للصراع الخلقى ، ولتوقع العقاب على اثم أو ذنب .

ومجمل القـول يمكن للنزعات الجامحة المكبوتة كالخوف أو الغضب أو الجنس أن تجسـد وتسقط فى صـور المخلوقات الوحشية ، والكائنات الخرافية ، والحيوانات الكاسرة حقيقيه كانت أو أسطورية التى تستولى على النائم فى الكابوس ، وكأنها خطر يتهدده من الخارج .

(٣) الكابوس الذى يجسم احساساتنا الفسيولوچية

ويعتبر هادفيلد كذلك الكابوس الذى يتخذ شكل العنكب الضخم أو الأخطبوط أو التنين أو الساحرة أو الذئب الذى يتقمص روح الميت ويمتص الدماء تجسيد واسقاط لاحساساتنا الفسيولوچية .

فالاحساس الجنسى ، كالاسـتمناء فى بداية دور المراهقة يصحبه انقباض فى عضلات البطن ، ويجسم هذا الاحسـاس ويسقط فى شكل عنكب ضخم يستولى على الفتى فى الكابوس ويملأه رعبا . والكابوس الذى يظهر فيـه الذئب الذى يمتص الدماء ، قد يكون تجسيما للنزعات العدوانية للحالم نفسه . ومثال ذلك الطفل الذى يمتص اللبن من ثدى أمه ، ثم يتملكه الشره فيعض الحلمة ، ويسيل منها الدم . فالذئب الذى يظهر له فى الكابوس فيما بعد يعتبر تجسيدا للطفل المتوحش نفسه مصاص اللبن أو الدماء . وقد يكون الذئب تمثيلا واسـقاطا لاحساسات المراهق الجنسية ، اذ أنه يشـعر بعد الاستمناء بالكد والارتخاء وكأنما امتص دمه . والشـعور الجنسى رغم

ما فيه من لذة ، يشوبه الخوف . وقد يكون مصـــدر الخوف تهـــديد الأم للطفل بخصوص الأمور الجنســـية . وعلى ذلك فمصدر هذا النوع من الكابوس الذى تظهر فيـــه الوحوش الأسطورية كالعنكب أو الذئب أو التنين ... ليس اللاشعور الجمعى أو « الصور الأولية البدائية » ، وانما مصدره الخبرات التى ترجع الى مرحـــلة الطفولة ، فهو تجســـيد واســـقاط لاحساساتنا العضـــوية ، أو لانفعالات الخوف أو الجنس أو الغضـــب . فاذا كان يونج يعتبر هـــذه الكائنات الخرافيـــة والمخلوقات الوحشـــية التى تظهر فى الكابوس وفى الأساطير من « الصور الأولية البدائية » وهى انطباعات فى أصل غرس الجنس ، واسقاطات من اللاشعور الجمعى ، وهو مشترك بين الناس جميعا ، فان هادفيلد يرى ان هذه الوحوش الأسطورية فى الكابوس دوافعها فردية وليست جمعية ، مكتسبة وليست فطرية . فهى ليست من اللاشعور الجمعى ، وانما هى تجسيد واسقاط لخبراتنا أو لانفعالاتنا أو لاحساساتنا الفسيولوچية ، فى شكل صور هذه الوحوش التى تهاجمنا فى الكابوس وكأنها خطر يتهددنا من الخارج .

ويتســـاءل هادفيلد ، اذا كانت هـــذه الرموز والكائنات مصدرها الخبرات الفردية ، وليست من الصور البدائية ولا من اللاشعور الجمعى ، فبم نفسر انتشار وتشابه دوافع الكابوس والأساطير ؟ ويجيب على ذلك بأن تكرار وذيوع نفس الرموز والصور فى الكابوس والأساطير ، يرجع الى أن العمليـــات

الفسيولوچية التى تستثار بواسطة هذه الانفعالات ، متشابهة عند الناس جميعا ، ولذلك تنزع الى أن تنتج نفس الصـــور العقليـــة . فمن حيث ان الاحساســـات العضوية والتغيرات الفسيولوچية التى تؤدى الى هذه الصور العقلية متشـــابهة عند الناس جميعا ، فلذلك تتكرر نفس الصـــور والرموز فى الكابوس والأساطير وتتشابه فى كثير من أنحاء العالم . ولصور الكائنات الخرافية نشأت مستقلة ، وذلك لتشابه احساساتنا وتكويننا الفسيولوچى . وليست هذه الصـــور متوارثة أو فطرية ، ولكنها تنبع من العمليات الفسيولوچية التى تتجسد فى صور عقلية تشبه الكائنات الخارجية التى نراها كالعناكب أو نسمع عنها كالتنين أو الذئاب . وليست هذه الصور فطرية أو موروثة ، ولكن تكويننا الفسيولوچى هو الفطرى الموروث. وهـــذا التكوين المتشـــابه هو الذى يؤدى الى أن تتجسم مشاعرنا واحساســـاتنا فى صورة تشـــبه فى شكلها ووظيفتها كائنات موجودة أو مزعومة فى العالم الخارجى .

ويرى هادفيـــلد أن للكابوس وظيفـــة عملية فى الحيـــاة اليومية وفى احداث العصاب . فعند ما يكرر الكابوس خبرة ماضية ، فانه يكررها بوضوح وقوة ، وبصورة مبالغ فيها . وقد ترجع المبالغة الى أن الكابوس يفصح عن انفعالات قوية ، تنتمى الى خبرة ســـابقة مكبوتة ، وأحيتها الخبرة الحديثـــة التالية . وغالبا ما تكون المبالغة فى الانفعالات أثناء الكابوس

راجعة الى غفلة القوى الكابتة ، وبذلك تنساب انفعالاتنا التى كبتت أثنـــاء النهار بكامل قوتها ، فتتجسم المخاوف والآلام وتتضخم .

ولهذه المبـــالغة تأثير قوى فى حياتنا اليومية . فبسبب هذه المبـــالغة أصبح للكابوس وظيفة فى كبت الانفعالات . فالطفل الذى يعصى أمه ويغضبها بالنهار ، يحلم بها فى شكل ساحرة بالليل . والاستمناء يتجسم فى صورة عنكب ضخم . وتساهم مثل هذه الصور فى اخضاع الطفل . فقد لا يرتدع الطفل من التحذيرات والنواهى أثناء النهـــار ، ولكنه يضـــطر الى أن يرتدع من المخاوف المجسمة المبالغ فيها فى الكابوس ، فيكبت انفعالاته ونزعاته المحرمة .

* * *

هذا هو ملخص نظرية هادفيـــلد البيولوچية فى تفســـير الـــكابوس . وهى أحدث النظريات وأكثرها شـــمولا . فهى تتضـــمن الدوافع الجنســـية التى يقول بها ارنســـت چونز ، و « الصور الأولية البدائية » ــ بعد تعديلها ــ التى يقول بها يونج ، والخبرات الموضـــوعية السابقة ــ بما فى ذلك صـــدمة الميلاد ــ ، والاحساسات الفســـيولوچية ؛ أى أنها تتضـــمن معظم التفسيرات الجزئية فى النظريات السابقة .

وقد صـــنف هادفيلد هذه الأنواع وتلك التفســـيرات فى ثلاثة نماذج للكابوس بحسب دوافعه ، وهى :

١ ـ الكابوس الناتج من خبرات فعلية وصدمات قديمة ..
٢ ـ الكابوس النـاتج من نزعات مكبوتة ، كالخوف أو الجنس أو الغضب .
٣ ـ الكابوس الناتج من احساساتنا الفسيولوچية .

لنستبعد النوعين الأول والثالث ، على ما يبدو فى ذلك من حكم جارف . فقد سبق أن ناقشنا كلا النوعين فى الفصل الأول . أما عن النـوع الأول ، وهو الكابوس الذى يكرر خبرات سابقة ، فقد ذكرنا أنه كم من كابوس لاينطوى على أى أثر يذكر للخبرات السـابقة . هذا فى حين أن كثيرا من الناس طالما تعرضوا لأقسى الصدمات دون أن ينتابهم الكابوس فالخبرات المؤلمة السابقة والصدمات ليس لها الا أثر محدود . ولا تعتبر وحدها تفسيرا كافيا للكابوس ، ما لم تطابق دافعا نفسـيا . وقلنا مثل ذلك عن النوع الثالث ، وهو الكابوس الناتج من الاحساسات الفسيولوچية ، والذى تظهر فيه صور الوحوش الأسطورية ، التى يعتبرها هادفيلد تجسيدا واسقاطا لهذه الاحســاسات . ونعتقد أن هذا التفسـير يعود بنا الى المؤثرات الجسـمية التى سبق لنا مناقشتها كذلك فى الفصل الأول . وهو تفسـير مردود عليه بأنه لم يثبت اتفاق حدوث هذه الاحساسات مع حدوث الكابوس : فقد ينتاب الكابوس أفرادا لايعانون من هذه التنبيهات الحشوية والاحســاسات الفسيولوچية ، وقد يعانى بعض الأفراد هذه التنبيهات وتلك الاحســاسات دون أن ينتابهم الكابوس . ونحن اذ نستبعد

هذين النوعين لا ننكر ما للخبرات السابقة أو للاحساسات الفسيولوچية من أثر فى الكابوس . ولكننا نقول انه أثر محدود ، ولا يعتبر أى منهما وحده تعبيرا كافيا للكابوس . وباستبعاد النوعين الأول والثالث ، يتبقى من هذه الأنواع نوع واحد جدير بالاعتبار ، هو الكابوس الناتج من الخوف من نزعاتنا ، ولنا عود اليه بعد قليل .

واذا أنعمنا النظر فى تصنيف نماذج الكابوس فى أنواع ثلاثة ، تبينا أنه تصنيف غير محكم : فالدافع الجنسى يفصح عن نفسه فى النوعين الثانى والثالث (أى كنزعة مكبوتة ، وكاحساس فسيولوچى) والمخاوف تفصح عن نفسها فى النوعين الأول والثانى (أى كخبرات موضوعية ، وكنزعات مكبوتة) ومعنى ذلك أن الدافع الواحد يفصح عن نفسه فى نوعين من الكابوس . ومن ناحية أخرى ، يرجع هادفيلد النوع الواحد من الكابوس الى دافعين مختلفين . فلتأويل ظاهرة واحدة هى الوحوش الأسطورية فى الكابوس ، يقدم هادفيلد تفسيرين هما : النزعات المكبوتة كالخوف أو الجنس أو الغضب ؛ والاحساسات الفسيولوچية . ولكى تكون الأسباب صادقة ، ينبغى ألا تختلف اختلاف ما بين المخاوف والمؤثرات الفسيولوچية . اذ لا ينبغى أن تؤول ظاهرة واحدة — كصورة وحش أسطورى معين — بتفسيرين جد مختلفين . ان هذا التصنيف غير محكم اذ تتداخل فيه الأنواع ، وتختلط الدوافع .

والنوع الثانى من الكوابيس يستحق الاهتمام ، وهو ينتج عن خوف الحالم من نزعاته . وليس من شك فى أن النزعات المكبوتة ، كالجنس والخوف والغضب ... من أهم أسباب الأحلام والكوابيس . غير أن أثر هذه النزعات المكبوتة أكثر ظهورا فى الأحلام العادية . ولكن هذه النزعات لا تكفى وحدها لتفسير الكابوس تفسيرا شاملا . فهى لا تفسر شدة وطأة الكابوس، ولا الأعراض المميزة له ، ولا المشكلات الخاصة به : مثل نزوعه الى التكرار ، وانتهائه بالاستيقاظ ...

لابد اذن أن نأخذ فى الحسبان الدور الهام الذى يلعبه الضمير أو الذى تلعبه القوى الكابتة فى تشكيل الصورة النهائية للكابوس . وقد وجدنا فى كثير من الأمثلة التى جمعناها أنه يكاد لا يخلو كابوس من أثر الضمير أو الذات العليا . بل اننا نستطيع أن نعيد تأويل كثير من الأمثلة التى ذكرها هادفيلد على ضوء الدور الذى يلعبه الضمير أو الذات العليا .

فالكابوس (رقم ٣٨) الذى انتاب سيدة كانت مخطوبة لضابط قتل فى الحرب ، فرأت فى المنام شبح هذا الرجل ينظر اليها معاتبا، فقامت من نومها فزعة ... يرى هادفيلد أن هذا الكابوس يعبر عن مشكلة لم تحل . بينما نرى فيه تعبيرا عن وظيفة الذات العليا ، التى تقمصت شبح خطيبها الأول ، ونظر اليها معاتبا ، وأشعرها بعدم الوفاء . فمن وظائف الذات العليا تنبيه الشخص الى أنه لم يعد وفيا ، واشعاره من ثمة بالاثم والخجل .

والكابوس (رقم ٣٩) ينتاب طفلا يحلم بالسباع تطارده فى الظلام، فيعدو أمامها مذعورا . يعتبر هادفيلد السباع هنا رموزا توضح ميكانيزم « التكثيف » فهى ترمز للسباع الحقيقية ؛ كما أنها ترمز للوالدين ، ولرغباته الجنسية الجامحة . وهو ما نوافق عليه ونضيف اليه أن الذعر المصاحب لهذا الكابوس تعبير عن شدة وطأة الذات العليا أو الضمير .

الفصل العاشر

نحو تفسير شامل

« الكابوس من أمراض « الانا » . والمضمون الصريح له لا يقل أهمية عن مضمونه الكامن » .

نقد موجز للنظريات المختلفة الخاصة بالكابوس

اذا استعرضنا مختلف النظريات السابقة التى حاولت تفسير الكابوس ، اتضح لنا أنها تشترك فى الأمور الآتية :

الأمر الأول ، هو أن كلا منها يبدأ بفكرة موجهة يسلم بصحتها صاحب النظرية ، ويحاول على ضوئها تفسير الكابوس. وتكون هذه الفكرة الموجهة عادة عبارة عن ظاهرة شديدة العموم : كالجنس ، أو اللاشعور الجمعى ، أو الميلاد ، أو الاحساسات الفسيولوچية . أى أن النظريات التى قيلت فى تفسير الكابوس على اختلافها عبارة عن تطبيقات لأفكار موجهة؛ ولم تستخلص من أمثلة فردية كافية للكابوس . وقد اختار صاحب كل نظرية أمثلته لنفسه ، وفسرها وفق فكرته الخاصة . ولكنك تحاول سدى تطبيق تفسير الواحد منهم على أمثلة الآخر ! ذلك أن تفسيراتهم جميعا ــ فى أحسن الحالات ــ تفسيرات جزئية ، لا تصدق الا فى حدود الأمثلة التى طبقت عليها . وليس هناك اتفاق فيما بين هذه النظريات على تفسير أية ظاهرة . فالظاهرة الواحدة ، كالوحوش الأسطورية مثلا ، تقدم لها النظريات المختلفة تفسيرات متناقضة . فهى تارة الجنس ، أو الصور الأولية البدائية ، وتارة الميلاد ، أو الاحساسات الفسيولوچية . وهذا التناقض معناه أن دوافع كثيرة ، تؤدى فى

النهاية الى ظاهرة أو صـــورة واحدة ، الأمر الذى يدعـــو الى الاعتقاد بأن النظرية الشاملة التى تزيل هذا التناقض فى تفسير الكابوس لم تتم صياغتها .

والأمر الثانى هو أن النظريات المختلفة اتخذت نقطـة البدء البحث عن الدوافع اللاشعورية للكابوس ، باعتبار أنه ظاهرة نفسية . والكابوس وان كان ظاهرة نفسية ، الا أنه يحمل صور مخلوقات مخيفة ، وكائنات خرافية ، ووحوش أسطورية ، توجد نظائر لها فى التراث الميثـولوچى ، أى فى الأساطير والعقـائد والتأويلات الشعبية القديمة للأحلام . وقد أغفلت المدارس المختلفة هذا المجال الاجتماعى الخارجى . واعتبرت ظهور هذه الكائنات الخرافية فى التراث الميثولوچى اسقاطات فى المجال الاجتماعى من اللاشعور . وليس بمستغرب أن يفصح دافع لا شعورى واحد عن نفسه برمز واحد فى مجالات مختلفة ، كالكابوس والأساطير والطقوس والأعراض العصابية ... ولكن من غير المعقـول أن صورة واحدة من صور هذه المخلوقات الوحشية ترجع الى دوافع كثيرة متباينة : فترجع مرة للجنس ، وأخرى للخوف . وترجع تارة للميلاد ، وأخرى للاحساسات الفسيولوچية . وحيث ان لصور الكائنات الخرافية نظائر فى التراث الميثولوچى ، فالسبيل الى الوصول الى الدوافع اللاشـعورية للكابوس يكون ، اما بتحليل أمثلة مفصلة له ، وهذا هو الطريق المباشر . أو بتحليل صور الوحوش الخرافية ومدلولاتها فى التراث الميثولوچى ، وهو طريق غير مباشر . فأى الطريقين أدى الى النظريات السـابقة ؟

وواضح أن النظريات السابقة تنكبت كلا الطريقين . فبدأت كل منها بفكرة موجهة لم تستخلص لا من تحليل أمثلة كافية للكابوس ، ولا من تحليل أمثلة لنظائر صور الكابوس فى التراث الميثولوجى . وما أن نسبت الكابوس الى دافع معين ، حتى ردت الى هذا الدافع نفسه نظائر صور الكابوس فى الأساطير والمعتقدات الشعبية ، مستعينة بميكانيزم الاسقاط .

والأمر الثالث هو أن نظريات تفسير الكابوس السالفة الذكر عنيت بالتشابه بين صور الكابوس والأساطير . غير أن كلا منها فسر هذا التشابه على أساس اسقاط الفكرة الموجهة التى فسر على ضوئها الكابوس . وقد اهتمت هذه النظريات بمختلف مظاهر التشابه دون أن تعنى بمظاهر الاختلاف . فاذا كان هناك قدر من التشابه بين صور الكابوس والأساطير فى العصور المختلفة ولدى الشعوب المختلفة ، فليس من شك فى وجود اختلافات شتى : فصور الكابوس ترتقى وتتطور مع الزمن . فقد يتضمن الكابوس مثلا السقوط من طائرة ، أو السقوط تحت عجلات قطار داهم ، أو النسف فى انفجار مروع . ومن المرجح كذلك أن تختلف صور الكابوس من شعب الى آخر ومن بيئة الى أخرى . فكثير من القراء يسمع لأول مرة عن الذئب الذى يتقمص روح الميت ويمتص الدماء ، وعن الذئب المسحور . مع أنهما من المعتقدات الخرافية التى كانت شائعة فى أوربا فى العصور الوسطى ، وقد تظهر صورهما فى الكوابيس التى تنتاب أهل الغرب . وفى تراثنا

الميثولوچى الشرقى كثير مما يجهله أهل الغرب كالغول والجنية، وهما من صور الكوابيس المألوفة التى يبتلى بها أهل الشرق . وعناية النظريات المختلفة بالتشابه فى صور الكابوس والأساطير بين الشعوب المختلفة وفى العصور المختلفة ، هو مظهر لعنايتها بالمجال اللاشعورى ، والبحث فيه عن المضمون الكامن . كما أن اغفالها للاختلافات بينها ، هو مظهر لاغفالها المضمون الصريح للكابوس ، واقترانه بدلالات معينة فى المجال الاجتماعى . ذلك المجال الذى تتنوع فيه المخلوقات العجيبة والكائنات الخرافية ، بتنوع البيئات واختلاف الحضارات .

والأمر الرابع هو أن النظريات سالفة الذكر فى بحثها عن الدوافع اللاشعورية للكابوس اهتمت بالنزعات المكبوتة فى « الهو » بصفة خاصة . ولم تحاول أية نظرية منها الاستفادة من تقسيم فرويد للجهاز النفسى الى المنظمات الثلاث وهى : «الأنا»، و « الهو » ، و « الذات العليا » . واذا كان الكابوس — كما يقول ارنست چونز — نوبة من نوبات القلق . واذا كان القلق أساسا — كما يقول فرويد — من أمراض « الأنا » فالكابوس بالتالى من أمراض « الأنا » فهو الذى يحس بوطأته ، وهو الذى يهب منه مذعورا . كذلك تبينا فى كثير من الأمثلة التى جمعناها ، الأثر الحاسم « للذات العليا » أو الضمير فى صورة الكابوس النهائية . فاذا كان الكابوس أساسا من أمراض الأنا ، واذا كان للذات العليا أثر حاسم فى كثير من صور الكابوس ،

فما معنى انصراف النظريات السابقة كلها الى البحث عن النزعات المكبوتة فى « الهو » واغفالها بقية منظمات الجهاز النفسى ؟

* * *

تلك هى أهم المآخذ أو الثغرات التى بدت لنا فى النظريات السابقة لتفسير الكابوس . وفيما يلى نضع أسسا أربعة لابد من الاستناد اليها ان أردنا تفسيرا للكابوس يتدارك نواحى النقص فى التفسيرات السابقة :

الأساس الأول هو أننا نبدأ من واقع أمثلة الكابوس ذاتها ، متحررين من أية فكرة موجهة سابقة .

والأساس الثانى هو الاهتمام بالمجال الاجتماعى أى بالتراث الميثولوجى الذى تظهر فيه نظائر لصور الكابوس ، وبالتأويلات الشعبية القديمة للأحلام والكوابيس . ونصطنع لذلك طريقة التحليل الوظيفى التى تلم بدلالات الصور والرموز فى كلا المجالين الاجتماعى واللاشعورى .

والأساس الثالث هو الاهتمام بالمضمون الصريح للكابوس ، الى جانب عنايتنا بالمضمون الكامن له .

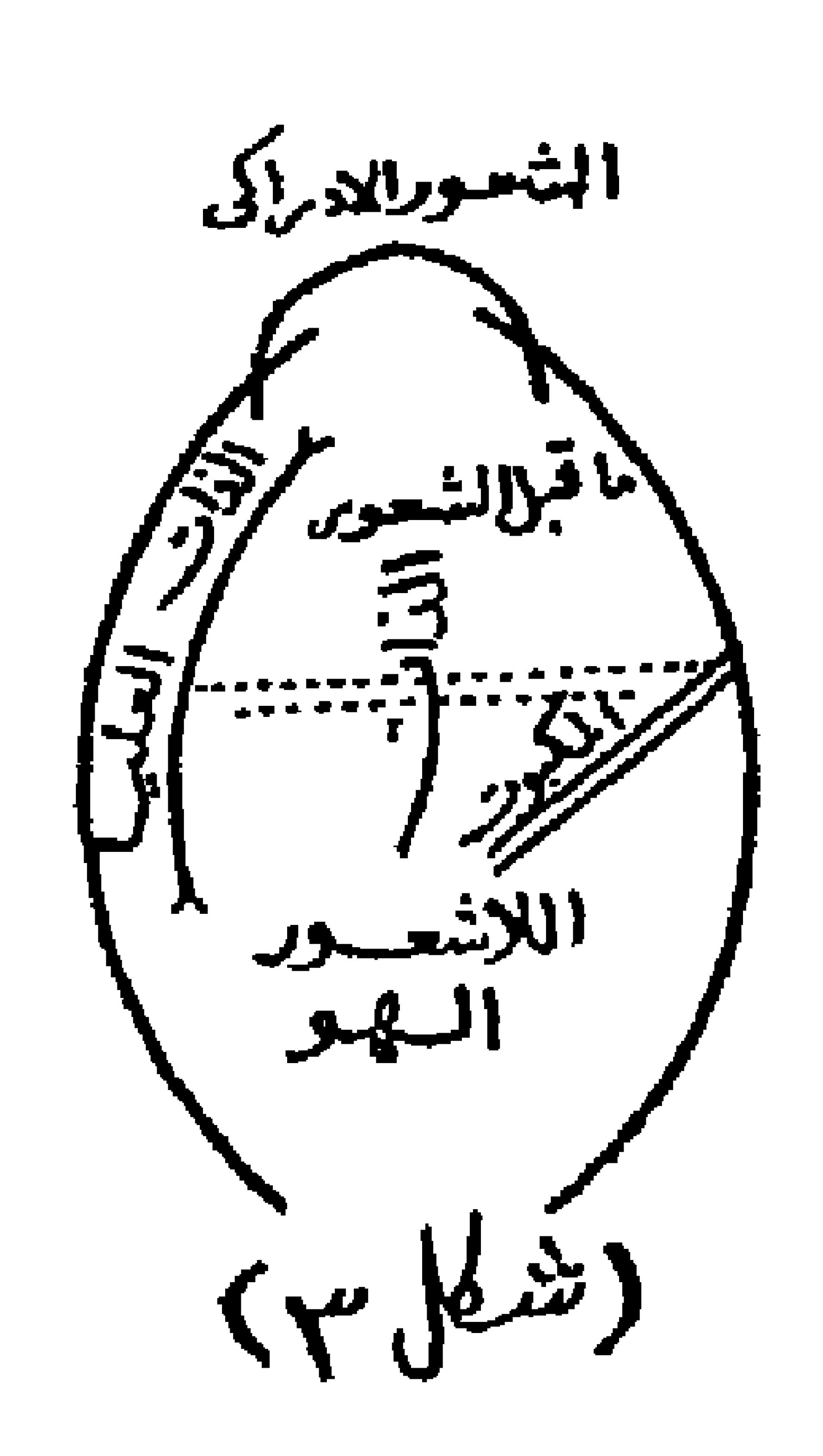
والأساس الرابع هو الافادة من تصوير فرويد الأخير للمنظمات الثلاث التى يتكون منها الجهاز النفسى ، وعلاقتها بالقلق .

وفى مثل هذا الحيز الضيق لايتسع المقام لتوفيه بحث المنظمات التى يتكون منها الجهاز النفسى من الناحية التكوينية . ولذلك

ســنقتصر على ايراد وصف طبوغرافى لها [1] ولأهم خصـائصها ووظائفها (شـكل ٣) .

الهــو Id :

يحتوى على الدوافع البـدائية والنزعات الجنسية والعدائية المكبوتة والعقد . والهو لاشعورى ولا صلة له بعالم الواقع الا عن طريق الأنا . ولا يتبع الهو أحكام المنطق ، ولا يعرف معايير الخلق ، وليس للزمان وجود فيه . والنزعات المكبـوتة فى الهو



(شكل ٣) يبين مكونات الجهاز النفسى كما يراها فرويد
مأخوذ من : Freud: New Introductory Lectures on Psycho-Analysis; P. 105.

---

(١) S. Freud : The Ego and The Id; The Hogarth Press, 1949.
: New Introductory Lectures. L. XXXI.

فعالة نشطة تكدح فى سبيل الافصاح عن نفسها ، وتهدف الى تحقيق اللذة وتجنب الألم . وقد عنيت أغلب النظريات السابقة فى تفسير الكابوس بتلمس دوافعه اللاشعورية فى النزعات المكبوتة التى ينطوى عليها الهو .

الأنا Ego :

ذلك هو الشخصية الشعورية أو الذات التى نحس بها . وهو حلقة الاتصال بين النزعات اللاشعورية المكبوتة فى الهو وبين العالم الخارجى . ونظرا لاتصال الأنا بالعالم الخارجى ، فهو يسير على مبدأ الواقع ؛ بينما يمثل الهو اللاشعورى النزوات والأهواء ، ولا يخضع الا لمبدأ اللذة . فالأنا يراعى الأخلاقيات وقواعد المنطق وقيود التقاليد وحدود الواقع المادى . والأنا يغفل فى ساعات النوم . وهو الذى يحس بوطأة الكابوس فيهب منه مذعورا .

الذات العليا Super-Ego :

وهى ما نصطلح على تسميتها بالضمير . وتستحق منا عناية خاصة ، لأنه يكاد لا يخلو كابوس من أثرها . وتتكون بانفصالها عن « الأنا » فيما بين الرابعة والخامسة من العمر بفضل ميكانيزمات التقمص، والاسقاط ، والاسقاط الداخلى.

والتقمص (Identification) هو أن يدمج الشخص فى ذاته ما ينتمى الى ذات أخرى تكون موضع اعجابه ورهبته

فيتمثل بها . وبفضل التقمص تبنى الذات العليا للطفل ، على حسب نموذج الذات العليا للوالدين .

أما الاسقاط (Projection) فيقصد به اخراج ما بداخل النفس الى العالم الخارجي . واسقاطات الطفل لفكرته عن والديه تساهم فى تكوين ذاته العليا .

أما الاسقاط الداخلى أو الامتصاص (Introjection) فهو على عكس الاسقاط . ويقصد به أخذ ما فى موضوعات العالم الخارجى الى داخل النفس وتمثيله لكى يصبح جزءا منها . ومن موضوعات العالم الخارجى ، التقاليد والميراث الثقافى والدينى والميثولوجى ...

وبذلك تستمد الذات العليا كيانها من مصادر ثلاثة : (١) من الذات العليا للوالدين ، عن طريق التقمص . (٢) ومن اسقاطات الطفل لفكرته عن والديه . (٣) ومن امتصاص التقاليد والميراث الثقافى والدينى والقيم الانسانية .

والجزء الأكبر من الذات العليا لاشعورى ، وان كان لها اشتقاقات شعورية . والذات العليا على اتصال بنزعات «الهو» ، كما أنها على اتصال بالعالم الخارجى والمجتمع ، الذى تمتص منه النواهى والقيود الخلقية والمحرمات التقليدية والمثل العليا والقيم الانسانية السائدة فيه . ولذلك تعتبر الذات العليا حلقة اتصال بين المجال الاجتماعى والمجال اللاشعورى ، وتنتقل خلالها التقاليد والقيم الانسانية من جيل الى جيل . وهى على اتصال كذلك بالأنا أو الذات . فمن أهم وظائف

الذات العليا أنها تراقب الذات وتحاسبها وتراجع تصرفاتها . وقد تؤنبها أو تعاقبها على حوادث ماضية ، أو على نوايا لم تنفذ . وكثيرا ما تتصف الذات العليا بالشدة والقسوة . وهى بهذا الوصف تعتبر النـاقد الخلقى للأنا ، أو هى الضـمير اللاشعورى . كما أن من أهم وظائفها الكبت . فالكبت من فعل الذات العليا .

أخطار تتهدد الذات :

ومن ذلك نرى أن الأنا تتهددها أخطار من ثلاثة مصادر ·

أولها : الهو بنزعاته البدائية الجامحة من جنسية وعدوانية . التى لا تنى عن محاولة الافصاح عن نفسها دون مراعاة لخلق أو عرف أو منطق أو واقع .

وثانيها : الذات العليـا وهى مجموع القوى الكابتة . وهى الضمير اللاشعورى الذى يراقب الأنا وينقده ويحاسبه حسابا عسيرا ، ويتحكم فيه تحكما جائرا لا هوادة فيه .

وثالثهما : هو العالم الخارجى بما فيه من نظم وعادات وآداب ومستويات خلقية ، وأمور دينية ، ومحرمات تقليدية .

فلا عجب حينئذ اذا لم تسـتطع الأنا أن توفق بين نفسها وبين هذه القوى الشـديدة الوطأة . فاذا ضعفت الأنا أمام احدى هذه القوى ، انتابها القلق . فالقلق أساسا من أمراض الأنا . وعلى أساس هذه القوى والأخطار التى تواجه الأنا ، يقسم فرويد القلق الى ثلاثة أنواع :

(١) القلق الخلقى : ويصيب الأنا بسبب ضغط الذات العليا .

(٢) والقلق العصابى : ويصيب الأنا بسبب اصرار نزعات الهو .

(٣) والقلق الموضوعى : ويصيب الأنا فى مواجهتها للعالم الخارجى .

وقد أشار معظم الكتاب الذين درسوا الكابوس الى العلاقة الوثيقة بينه وبين القلق ، حتى اعتبر الكابوس من الأعراض الدالة على عصاب القلق . ويرى ارنست چونز أن الكابوس نفسه نوبة من نوبات القلق . كما فسر ناندور فودور الكابوس على أنه يكرر صدمة الميلاد ، وهى النموذج الأول الذى على صورته تتكون الاستجابات القلقية التى تصاحب صدمات الحياة التالية . ويعتبر فرويد القلق أساسا من أمراض الأنا . وعلى ذلك يحق لنا القول بأن الكابوس من أمراض الأنا . والأنا هو الذى يعانى من شدة وطأته ، وهو الذى يعانى من جرائه القلق والحصر ، والرعب والفزع ، وهو الذى يهب من نومه مذعورا .

وعلى غرار تقسيم فرويد لأنواع القلق الثلاثة ، يمكن تصنيف أمثلة الكابوس فى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى [١] : أمثلة من الكابوس الذى يعبر عن

---

(١) أنظر الفصل الحادى عشر .

عقاب الذات ، ويعكس علاقة الذات العليا بالأنا . وهذا النوع من الكابوس مظهر للقلق الخلقى . وينطوى تحت هذا النوع كذلك كثير من أمثلة الكابوس الذى يعبر عن صدمة الميلاد ، كما تعرف عليهناندور فودور .

المجموعة الثانية [1] : أمثلة من الكابوس الذى يعبر عن الشعور بالاثم ، أو عن احساس الأنا بالخطيئة . وهو يعكس علاقة الأنا بالهو ، وهو يقابل القلق العصابى . وينطوى تحت هذا النوع الكابوس ذو المنشأ الجنسى ، الذى تعرف عليه ارنست چونز ؛ والكابوس الذى يعبر عن نزعات الخوف أو الجنس أو الغضب ، الذى تعرف عليه هادفيلد .

المجموعة الثالثة [2] : أمثلة من الكابوس الذى يظهر فى صورة أحد الوحوش الأسطورية ، أو أحد الكائنات الخرافية . وهو يعبر عن علاقة الجهاز النفسى بالعالم الخارجى . ويقابل القلق الموضوعى . وقد اصطنعنا طريقة التحليل الوظيفى لتفسير هذا النوع ــ بصفة خاصة .

---

(١) فى الفصل الثانى عشر .

(٢) فى الفصل الثالث عشر .

الفصل الحادي عشر

عقاب الذات

« لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر »

الذات العليا هى الضمير اللاشعورى الذى يراقب الذات أو الأنا ويوجهها ويهددها ويؤنبها ويخضعها لسطوته . والخوف من الذات العليا عامل مستمر . وهو مشتق أصلا من سلطة الوالدين ، وتتمثل فيه المحرمات التقليدية والنواهى الخلقية . والخطر الذى يهدد الذات من الذات العليا يبدو بصورة واضحة فى القلق الخلقى . فقد تعاقب الذات العليا الذات عقابا صارما ، كما فى الأحلام التالية :

٤٠ ــ اياك أن تجهل

الكابوس الوحيد الذى أذكره فى حياتى انتابنى منذ نحو أربعة أعوام . كان ذلك عقب زيارة واحد من أقاربى ثقافته محدودة ولكنه شديد التدين . استطرد بنا الحديث الى بعض الأمور الدينية . ودافع عن وجهة نظر معينة بأدلة واهية غير مقنعة ، الأمر الذى أدى بى الى التورط فى محاولة تصحيح أفكاره بوجهة نظر مختلفة لم تعجبه . فلما اختلفنا تحاشيت أن أغضبه ، لأنه كان متعصبا لا سبيل الى اقناعه ، فتعمدت تغيير موضوع الحديث . وبعد أن انصرف شعرت بشىء من الندم لأنى أبديت وجهة نظر ــ للتحليل النفسى فى بعض الأمور الدينية ــ لم يفهمها ، وخشيت أن يسىء تأويلها .

ولم تكن المناقشة عادلة ، فقد كان فى موقف المدافع عن الدين ، الذى لم يفهمه على حقيقته . فلم أكن ــ حينئذ ــ فى موقف أحسد عليه حين حاولت تصحيح أفكاره . وتمنيت لو أننا تكلمنا فى أى شىء ما عدا الأمور الدينية . ونسيت كل شىء عن هذا الموضوع .

فى هذه الليلة انتابنى كابوس : شىء ثقيل يربض على صدرى ، ويعوق تنفسى ، ويشل حركتى . وسمعت صوتا يقول : « علشان تحرم تبقى تكفر » ولم ينقذنى منه سوى أنى قلت فى نفسي والكابوس جاثم : « وايه يعنى ، ما أنا عارف أنى بأحلم » والظاهر أن ادراكى لأنى أحلم ، جعل الكابوس ينقشع .

يتعذر على أن أصدق أن هذا الكابوس يمت بصلة الى الأمور الجنسية ، أو أنه ينتمى الى الصور الأولية البدائية ، أو الى الاحساسات الفسيولوجية ، أو الى صدمة الميلاد ... حقيقة أن موضوعه يمت بصلة وثيقة لخبرة ليلة الحلم ، ويتمشى مع الحالة العقلية التى كنت عليها عندما انصرف قريبى . واعتقد أن هذا الكابوس من أحلام العقاب وتأنيب الضمير ، ويعبر عن وطأة الذات العليا ، كوظيفة فى النفس ، وكقوة زاجرة رادعة تعاقب الذات أوالأنا ، عقابا يتفق وطبيعة موضوع الاثم وقد يكون هذا الكابوس نوعا من المعاناة الدينية التى أشار اليها يونج ، وقد يقوم شاهدا على أن الوازع الدينى عندى بخير . « فالحلم أصدق أنباء من ظاهر الكلم . »

٤١ ـ قطب الغوث المتولى

اعتادت العائلة الاحتفال بقطب الغوث المتولى ، فى ليلة نصف شعبان ، بذبح خروف كبير وتوزيعه على الفقراء . فى هذه السنة ، قبيل الموسم بليلة ، لاحظت السيدة (س) أن الخروف صغير . فقالت لوالدتها لا تذبحى هذا الخروف ، فوافقتها والدتها . وكلفت الجزار بتجهيز نصف عجل لتوزيعه على الفقراء ، بدلا من هذا الخروف الصغير .

تقول السيدة (س) : فى هذه الليلة حلمت بشيخ يلبس عباءة (دلق له طرطور) مليىء بالرقع الملونة . فقلت له : انت مين ؟ قال : أنا قطب الغوث المتولى . ثم أمسك بيدى وأوقعنى ، وأخذ يجرنى على الأرض . فصرخت قائلة له : فى عرضك .. قال انت خليتنى لى عرض .. انت مش عارفه ان حسنة قليلة ، تمنع بلاوى كثيرة ؟!. واستمر يجرنى على الأرض ، وأنا أصرخ وأقول له فى عرضك .. فيكرر قوله السابق . واستمر يجرنى على الأرض من بلدنا (فى الغربية) حتى بوابة المتولى بمصر ، وكنت أصرخ من أعماقى بكل قوتى ، دون أن يسمع لى سوى حشرجة ، سمعها أهل البيت ، وأيقظونى فانقذونى . ورويت لهم الحلم وما كابدته من عناء ونصب .. فأمرت والدتى على الفور بأن يذبح الخروف الصغير ، ليوزع مع نصف العجل الذى سبق أن أوصت به .

يستمد هذا الكابوس موضوعه من خبرة اليوم السابق ، التى تشكلت وتفاعلت مع الحياة العقلية للسيدة النائمة . ويلوح أن ادعاءها بأن الخروف صغير ، لم يكن سوى تبرير لعدم

ذبحه . ولما كانت والدتها لا ترفض لها طلبا ، فقد وافقتها ، وبذلك أصبحت الحالمة مسئولة وحدها عن ابطال هذا التقليد المتبع . ولم تكن فى قرار نفسها راضية عن ذلك ، وخافت مغبة الخروج على مألوف العادة والتقليد الذى درجت العائلة على اتباعه فى تلك الليلة المباركة . هذا اذن حلم من أحلام العقاب الذاتى وتأنيب الضمير ، ويعبر عن الوازع الدينى وسطوة التقاليد والعرف ، وعن شدة وطأة الذات العليا (المستمدة هى ذاتها من الدين والتقاليد) ممثلة فى الشيخ . فالشيخ المتولى رمز وظيفى يوضح ميكانيزم التكثيف ، فهو رمز للذات العليا ، وللوازع الدينى ، ولسطوة التقاليد . وقد قام الشيخ المتولى فى هذا الحلم بوظيفة الذات العليا خير قيام ، فجسم وبالغ فى شناعة الجرم الذى ارتكبته ، وعاقبها من أجله عقابا صارما فظيعا ، وجرها من بلدها فى الغربية حتى بوابته بمصر . هذا هو التفسير الوظيفى .

أما التفسير المادى ، فتفسير جنسى يعتبر الشيخ المتولى رمزا بديلا للأب ، الذى تستهدفه الحالمة كموضوع جنسى ، بمقتضى عقدة الكترا . أما قسوة الشيخ فى معاملته للحالمة ، فقد يكون افصاحا عن نزعتها المازوشية . على أن التفسير الوظيفى قد يعتبر الشيخ المتولى رمزا بديلا للأب ، لا باعتباره موضوعا تستهدفه رغبتها الجنسية المحرمة ، ولكن باعتباره ممثلا للسلطة وللدين وللتقاليد ، وباعتباره نموذجا تتقمصه الذات العليا للحالمة .

التفسير المادى لايفسر الصور والأفكار المصاحبة للكابوس ولا يربط بينها وبين ماورد على الذهن من خواطر وأفكار أثناء اليقظة . فهو يبدو كفكرة موجهة ، صيغت فى قالب « جاهز » لا ينطبق تماما على تفاصيل الحلم .

وليس من شك فى أن هذا الكابوس يعبر تعبيرا واضحا عن أثر الذات العليا كوظيفة فى النفس ، وكقوة زاجرة رادعة للذات (الأنا) . وهو نموذج يقابله من أنواع القلق ، القلق الخلقى .

ويلاحظ كذلك أن صورة قطب الغوث المتولى التى تقمصتها الذات العليا تبدو كجزاء من جنس العمل ، وكعقاب يتفق وطبيعة موضوع المخالفة أو الاثم . فالمضمون الكامن لهذا الكابوس عبارة عن مطابقة دلالة معينة مكبوتة ، لصورة مؤاتية لها تقمصتها الذات العليا .

والحلمان التاليان ليسا من الكوابيس ، الا أنهما مهمان من الناحية المنهجية .

٤٢ ــ لمسة اليد الشافية

أم أحمد فلاحة أمية ساذجة ، كانت قد سمعت ذات مساء بأن امرأة « دعت على ابنتها » ، وذكرت فى هذا الدعاء اسم أحد الأولياء وله ضريح قريب ، هو الشيخ أبو بكر لينتقم منها فى شخص ابنتها . فألم بها الحزن والغيظ ، وانتابها صداع شديد .

فى هذه الليــلة نامت متكدرة فحلمت بهذا الولى وقد اتشح بثوب أبيض .. وعمــامة خضراء فخافت منه .. فقــال لها . لا تخافى ، أنا أبو بكر . واقترب منها ، ودار بينهما الحوار التالى : قال الشيخ : أنا أتيت اليك حتى لا تزعلى . فقالت له : والنبى وحياتك ، لا تســتمع الى دعاء هذه المرأة على ابنتى فليس لى غيرها ، وأنا عيانه وتعبانه من جراء ذلك . قال لها : لا تخافى ، لقد حضرت اليك بهذا الخصوص حتى لا تكونى زعلانة ، وأنا لن أسمع منها ، وما قالته على ابنتك سيرتد لها . ثم اقترب منهــا ووضع يده على رأسها ، وقال : علشان لا تكونى زعلانه ، آدى الصداع راح . واستيقظت أم أحمد من النوم منشرحة وقد زال عنها الصداع ، وزال ما فى قلبها من حقد على المرأة الداعية .

هذا الحلم يكرر خبرة حدثت فى نفس الليــلة وانتابها منها الصداع ، ونامت على أثرها متكدرة . فالصــداع عبارة عن عرض(Symptom) اقترن بالغيظ والكمد من دعاء المــرأة على ابنتها . فهذا الحلم يحقق رغبتها فى ألا يســتجاب دعاء المرأة على ابنتها ، ويحقق رغبتها فى التشفى من هذه المرأة . لذلك استحضرت هذا الشيخ فى الحلم . وقام الشيخ أبو بكر فى هذا الحلم بوظيفة الذات العليــا ، لا باعتبارها قوة زاجرة رادعة ، كما فى دور الشــيخ المتولى فى الكابوس الســابق ، ولكن باعتبارها قوة تملك أن تمنح وتمنع ، وتعاقب وتسامح . فالذات العليا هنا فى صورة رحيمة . واذا زال السبب ، بطل العرض ، ومن ثمة يختفى الصــداع ، عندما تزول ملابساته . وقد زال الصــداع عندما أفهمها الشيخ أن دعاء المرأة غير مستجاب ،

وتتيجة للأثر الايحائى للمسة اليد الشافية من شيخ له كرامات .

وليس من محض المصادفة أن تستحضر الحالمة الشيخ أبوبكر بنفسه . فهذه الصـــورة التى تقمصتها الذات العليا صـــورة مؤاتية تتفق مع موضـــوع الدلالة المكبوتة وتطابقها ، وهى الرغبة فى ألا يستجابَ دعاء المرأة الأخرى على ابنتها . وهذا الحلم اذ يعبر عن وظيفة الذات العليا فى علاقتها مع « الأنا » ، فهو يتناول مشكلة ماثلة ويساهم فى حلها ــ كما يقول هادفيلد فضلا عن أنه يحمل طابع المعاناة الدينية التى أشار اليها يونج .

واذا اصطنعنا طريقة يونج فى تفسير الحلمين السابقين ، بدا وكأن الشيخ المتولى ، أو الشيخ أبو بكر تعبير عن القرين (Animus) وهو الناحية المذكرة اللاشعورية فى المرأة . وبذلك تلتقى فى هذين المثالين فكرة فرويد عن وظيفة الذات العليا ، مع صورة أولية بدائية من اللاشعور الجمعى ومتوارثة من خبرات الجنس كله .

٤٣ ــ أبو الهول يتكلم

يجد الزائر بين ذراعى « أبى الهول » بمنطقة أهرام الجيزة لوحة كبـــيرة من حجـــر الجرانيت . وتقص هذه اللوحـــة أن الأمير « تحوتمس » بن الملك « امنحـــوتب الثانى » كان قد اســـتقل عربته حين الظهيرة ، وهو يطارد حيوان الصحراء مع اثنين من أتباعه ، فلما أن أحس التعب أوى الى الظل بجوار تمثال الاله

« أبي الهول » فأخذته سنة من النوم رأى فيها الاله المبجل يتكلم بفمه ، كما يتكلم والد مع ولده قائلا :

« ولدى تحوتمس ! تأملنى فأنا أبوك « حور . ام . آخت . خبر . رع – أنوم » انى واهبك ملكى على الأرض لتكون سيدا على الأحياء ، ولسوف تتوج بالتاجين الأبيض والأحمر على عرش « جب » وستكون لك الأرض بطولها والعرض ، وكل ما تضيئه عين رب الجميع ... وستكون لك خيرات القطرين وجزى البلاد جميعا ... انى موليك وجهى فكن حفيظا على شئونى ، فقد دب الاعياء فى أعضائى جميعا ، ان رمال الأرض التى أعتليها قد غمرتنى ، فاتجه الى لتنفذ رغبتنى ، انى لأعلم أنك ولدى والمدافع عنى فتقدم ، وانى معك ومرشدك . » [1]

ولست أدرى لم يزعم علماء الآثار أن هذه الرؤيا مجرد قصة . يقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر : « ان قصة هذه الرؤيا من ابتكار كهان « رع » المبشرين لمذهب الشمس . فقد استطاعوا التأثير على « تحوتمس » الذى لم يكن أكبر اخوته ، بمعنى أنه لم يكن صاحب الحق الأول فى تولى العرش بعد أبيه . والذى استجاب لدعوتهم على شريطة أن يؤيدوه فى ارتقاء العرش دون اخوته . وحين تلاقت المصالح تفتقت الأذهان عن قصة هذه الرؤيا ... »

ان هذه الرؤيا تبدو لى حلما حقيقيا ، ولا أعتقد أنها قصة

---

(١) الدكتور عبد المنعم أبو بكر : « الملكة تى » فى المجلة – العدد الثانى فبراير ١٩٥٧ ص ٣٥

موضوعة . فليس بمستغرب أن يحلم بأبى الهول من نام فى ظله . هذا هو المنبه الذى مهـد للحلم . أما تعبيره والدافع اليه فهو طموح الأمير وتطلعه الى ارتقاء العرش دون اخوته . لذلك تقمص ضميره أو ذاته العليا صـورة بديلة للأب أو الاله هى صورة أبى الهول الذى نطق بما يرضى طموح الأمير . ووعده ان هو نقل الرمال المحيطة به ، أن يساعده فى ولاية الملك .

أما ما يبدو من تحقق الرؤيا بعد ذلك ، فيرجع الى استمرار هذا الدافع وهو الطمـوح . فليس بمستغرب أن يصـل الأمير بطموحه فعلا الى ما كان يتطلع اليه ويحلم به ــ كما وصل من بعده يوسف الى مرتبة وزير مصر ، بطموحه الذى بدا كذلك بوضوح فى كثير من أحلامه المعروفة .

صدمة الميلاد فى الكابوس :

تناولنا فى الفصل الثامن الكابوس الذى يكرر صدمة الميلاد . واعتبرنا تفسير الكابوس على أساس صدمة الميلاد تفسيرا جزئيا فمثل صدمة الميلاد ، كمثل أية خبرة سابقة ، ولا تعتبر وحدها سببا كافيا لاثارة الكابوس . وكثير ممن ولدوا ولادة عسرة لا ينتابهم الكابوس ، الأمر الذى يرجح احتمال وجود دافع نفسى استدعى حالة القلق الأولى المصاحبة لصـدمة الميلاد ، وجعلها تندمج فى المضمون النفسى للكابوس. ويذكر القارىء أننا تناولنا مثالين من الأمثلة التى ذكرها ناندور فودور لكابوس الاختناق ،

وقمنا باعادة تأويلهما (هما رقم ٣٢ ، ٣٤) والآن نتناول ثلاثة أمثلة لكابوس الدفن حيا ، وكل منها يقبل تفسيرين :

أحدهما على أساس صدمة الميلاد ، والآخر على أساس علاقة الذات العليا أو الضمير ، بالأنا أو الذات . ذلك لأننا لا نعتبر صدمة الميلاد نهاية التحليل بالنسبة لكابوس الدفن حيا أو لكابوس الاختناق .

فما هو المضمون النفسى الكامن الذى يستدعى فى كابوس الدفن حيا ، وكابوس الاختناق ، حالة القلق الأولى المصاحبة لصدمة الميلاد ؟

يحدثنا فرويد عن الخوف من الموت [١] فيرى أنه تعبير عن العلاقة بين الذات العليا والأنا . فالخوف من الموت فى حالة جنون الاكتئاب (Melancholia) ليس له سوى تفسير واحد هو أن الأنا تستسلم لأنها تجد نفسها مكروهة ومضطهدة من الذات العليا بدلا من أن تكون محبوبة منها .. وتقوم الذات العليا بوظيفة الحامى والمنجى التى كان يقوم بها الأب فى المراحل الأولى لنمو الطفل .. فعندما تجد الأنا نفسها مغلوبة على أمرها ، وأن الذات العليا قد تخلت عن حمايتها لها ، فانها تصير نهبا للخوف من الموت ، وهو شعور حصرى يشبه حالة القلق الأولى أثناء الميلاد .. فالخوف من الميلاد ، كالخوف من الاخصاء ، كالخوف

---

(١) S: Freud: "The Ego and The Id"; The Hogarth Press, 1949. P. 85—87.

من الضمير ، كالخوف من الموت ، كلها تعبير عن علاقة الذات العليا بالأنا . وفى الحالات المتطرفة قد تؤدى كراهية الذات الى الانتحار .

وقد يكون المضـــمون النفسى الكامن لكابوس الدفن حيا ، وكابوس الاختناق المصحوب بخوف شديد من الموت ، تخلى الذات العليا عن الذات ، الأمر الذى يؤدى الى استدعاء حالة القلق الأولى التى سبق أن عانتها الذات أثناء الميلاد . فعند ما يسحب الضمير عطفه عن الذات ويتركها دون سند ، فانها تواجه الموت مرات متكررة فى الكابوس قبل أن تموت فعلا .

ولنعد للأمثلة ذاتها .

٤٤ ـ الدفن حيا فى تابوت مغلق

سـيدة فى نحو الخمسين من عمـرها انتابها الكابوس التالى ، رأت : ((كأنها ميتة ومسجاة فى تابوت مغلق ، ولكنها لا تزال على قيد الحياة .))

حاولت بالتداعى الحر أن أعرف المزيد عن هذا الكابوس ، فكان التعليق الوحيد لها أنها قالت بحماس : « يجب أن يدقق الأطباء وأهل الموتى فى التأكد من الوفاة ، حتى لا يدفن شخص وهو لا يزال على قيد الحياة » وهذا يدل على مبلغ الهول الذى قاسته من هذا الكابوس . وظل مضمون هذا الكابوس غامضا على مدة طويلة ، نظرا لايجازه ، ولعدم مساهمة الحالمة فى التداعى

الحر بشيء يذكر ، ولعدم وجود صور مصاحبة للحلم أو مكملة له : كمنظر الجنازة المهيبة أو كبار المشيعين ، أو حالة أولادها وزوجها ومدى حـزنهم عليها ... اذ أن مثل هذه الصـور لو صاحبت الحلم ، لكانت هى الباعث اليه ، كما فى أحلام اليقظة التى ترمى الى اجترار العطف والمحبة التى افتقـدها الحالم فى حياته الواقعية . سألتها هل صاحب الحلم شيء من هذا القبيل ، فكان جوابها بالنفى . ثم خطر لى لأول وهلة أن هذا الحلم قد يعبر عن اليأس والزهد فى الحياة . غير أنى لم أشأ أن أعبر لها هذا المعنى فىحضور زوجها . ثم تذكرت التأويل الشعبى ، فقلت لها : « من يمت فى الحلم ، يكتب له عمر جديد » .

ظل هذا الكابوس فى الكراسة التى أسجل فيها الأحلام مدة سنتين ، دون أن أهتدى الى تفسيره . وبينما كنت أطالع كتاب « ناندور فودور » فى تفسير الأحلام ، الذى يدور حول فكرة محورية هىصدمة الميلاد ، تذكرت هذا الكابوس ، وأدركتعلى الفور أن الحى فى التابوت المغلق ، هو الجنـين فى الرحم ؛ وأن كابوس الدفن حيا فى تابوت مغلق هو تعبير عن صدمة الميلاد . ويؤيد هذا التفسـير طقوس تنصيب المراهقين عند الجمـاعات البدائية . فوضع الفتى فى تابوت أثنـاء هذه الطقوس ، تمثيل رمزى لوفاته واعادة بعثه . وفى الرهبنة المسيحية يوضع الراهب عند تنصيبه فى تابوت ، ويصلى عليه صلاة الموتى ، ليموت عن العالم الدنيوى ، ويبعث فى عالم أفضل . فهذا الكابوس يكرر خبرة الميلاد .

ويقبل هذا الكابوس تفسيرا آخر . فالخوف من الموت ومعاناة القلق الشديد فى هذا الكابوس ، قد يكون تعبيرا عن تخلى الذات العليا عن الذات ، والزهد فى الحياة مما يؤدى الى شعور بالقلق ، والى استدعاء النموذج الأول للاستجابة القلقية التى تحدث فى صدمة الميلاد .

وغنى عن القول ألا تعارض بين التفسيرين فكل منهما مكمل للآخر . فالدفن حيا فى هذا الكابوس هو المضمون الصريح الذى يخفى فى المضمون الكامن تخلى الذات العليا عن الذات ، الأمر الذى يؤدى الى استدعاء حالة القلق الأولى التى سبق أن عانتها الذات أثناء الميلاد .

٤٥ ــ ما قيمة النقود ... لميت ؟

سيد ، طباخ فى مقتبل العمر ، متزوج وله بنتان . يقول : ((حلمت وكأنى مت وادخلونى المدفن ، وأمسكنى رجلان فى داخله . قلت لهما : هل أنا ميت وبتدفنونى ؟ فقال أحدهما : نعم . ثم أمسكانى من رقبتى مسكة رهيبة ، فادركنى رعب شديد . ثم قلت لهما : أنا معى جنيه ، وسأخرج أصرف الجنيه ثم أعود مرة ثانية . قالا : صحيح . قلت : نعم ، أصرفه وأعود مرة ثانية . وما أو خرجت حتى أخذت أعدو هاربا . واستيقظت وأنا ألهث من فرط الخوف والفزع .))

وكابوس الدفن حيا تعبير عن صدمة الميلاد . وامساكه من رقبته مسكة رهيبة تكرار لعملية مولده . لفت نظرى فى التداعى

الحر قول الحالم ضاحكا : « تصور ماذا كان مصيرى لو لم يكن معى الجنيه . » وللأرقام فى الحلم دلالة . فالجنيـــه ١٠٠ قرش . والواحد الصحيح ذكر ، والصفران أنثتان . والحالم متزوج وله بنتان . فالواحد الصحيح رمز لنفسه ، والصفران لابنتيه .

وقد يبدو لنا أن نتساءل لم كرر هذا الكابوس حالة القلق والرعب الشديد المصاحب لعملية مولده ؟ سبب ذلك فيما يلوح هو تخلى الذات العليا عن الذات وتركها دون سند مما يؤدى الى أن يستولى على الذات حالة من القلق تكرر النموذج الأول الذى على صورته تكون الاســـتجابات القلقية اللاحقة ، وهى حالة القلق المصاحبة لصدمة الميلاد . وعلى ذلك فالمضمون الصريح لهذا الكابوس عبـــارة عن صورة مصحوبة بحالة انفعاليــــة من صـــدمة الميلاد . والمضـــمون الكامن لكل من الصورة والحالة الانفعالية المصاحبة لها ، هو تخلى الذات العليا عن الذات .

٤٦ ــ الميلاد ... والموت

ويروى الرجل نفســـه كابوسا آخر يكرر الدافع الموجود فى الكابوس السابق ، وهو الذى يجمع بين الخروج من الماء ، والدفن حيا . يقول : « حلمت أنى أعبر النيـــل مع نفرين ، عبرا النهر وخرجا قبلى . وعنـــد ما اقتربت من البر وجدت نفسى ملطخا بالطين وجسمى كله أسود . وشاهدت نفسى وكأنى اثنين ، واحد يرى الثانى . ثم قلت لنفسى سأذهب الى البد ، بدلا من أن أغرق

فى النيل . فذهبت الى البلد . وهناك مت وكفنونى وسارت الجنازة الى المدافن . وجدت نفسى جالسا بجوار شاهد خشبة النعش . وكنت أرى جمهور المشيعين ، ووالدتى وهى تصرخ وتولول . (وكان عندى فكرة منذ الصغر وهى أن الميت يرى الناس ، والناس لا تراه) فكنت أنادى : انتم مش شايفنى . وعند ما فتحوا الطربة لادخالى ، وقفت معهم ! وأدخلوا اللحاف وملاءة . وعندما كشفوا الملاءة وجدت مقطفا ظهر منه رأس قرموط . قالوا : دى ثعابين . قلت : لا دى قراميط . قال أحدهم : رزقك قد خرم الابرة . لو أن رزقك واسع لرأيت السمك كله .. ثم أغلقوا الطربة ، وأنا خارجها ، واستيقظت . »

وهذا الحلم قسمان : فى القسم الأول ، الخروج من الماء ، دلالته الميلاد . والقسم الثانى وهو الموت من غير هيئة من يموت ، ودلالته كذلك الميلاد . والتكرار للتأكيد . واجتماع صورتان تدلان على شىء واحد ، فى نتاج عقلى واحد ، يوحى بالثقة فى صحة مدلولها ، وهو الميلاد . ولا سيما أن صاحب هذا الكابوس هو نفسه صاحب الكابوس السابق الذى ظهر فيه نفس هذا الدافع .

وفى القسم الأول : عبر النيل اثنان قبله . وترتيب الحالم فى الأسرة الثالث بعد ولد وبنت . فترتيب مولده ، أى خروجه من الماء ، الثالث بعد نفرين خرجا من الماء ، أى ولدا قبله .

وينتهى هذا الكابوس برؤية الحالم لرأس قرموط السمك ، دون أن يرى السمك كله . وقرموط السمك رمز لعضو التذكير.

فهل نستعير فكرة ناندور فودور القائلة بصدمة ما قبل المولد أى باغارة والده عليه وهو جنين .. بمباشرة العملية الجنسية ؟

وفى كلا القسمين ظاهرة على جانب كبير من الأهمية وهى أن جزء من الذات يشاهد الذات . ففى القسم الأول يقول : شاهدت نفسى وكأنى اثنين ، واحد يرى الثانى ، ويراه ملطخا بالوحل . وفى القسم الثانى ، جلس فوق النعش يرى الناس ، والناس لا تراه . ثم للمرة الثالثة ، على الرغم من أن ذاته هى موضوع الجنازة ، فانه وقف مع الواقفين خارج الطربة . ومن المرجح أن هذا الجزء من الذات الذى انفصل عنها وأخذ يراقبها ، هو الذات العليا أو الضمير . فالضمير هو الذى يراقب الذات ، فيراها ملطخة بالوحل . والضمير هو الذى يشيع الذات فى الكابوس الى مثواها . ومعاناة القلق والخوف من الموت مرتين فى هذا الكابوس ، مرة عند خروجه من الماء ، ومرة فى أثناء جنازته ؛ تعبير عن المعنى الكامن وهو تخلى الذات العليا عن الذات . فعند ما تجد الذات نفسها دون سند يستولى عليها الحصر والقلق الذى سبق أن عانته أثناء صدمة الميلاد . فالذات العليا الطاغية تذيق الذات طعم الموت ثلاث مرات فى هذين الكابوسين ، بأن تكرر عملية مولدها .

وفى كل مثال من الأمثلة الثلاثة السابقة لكابوس الدفن ، طابقت صدمة الميلاد كخبرة سابقة ، دافعا نفسيا يتمثل فى علاقة الذات العليا بالأنا . والخبرة أو الصدمة فى هذه الأمثلة سابقة على

الدافع النفسى ! وليس الأمر كذلك فى حالة صدمات المعارك التى يتعرض لها الجند مثلا حيث يكون الدافع النفسى سابقا على الصدمة أو الخبرة المؤلمة التى تتكرر فى الكابوس .

منها خلقناكم وفيها نعيدكم .

ان العلاقة الوثيقة بين الميلاد والموت فى هذه الأمثلة تذكرنا بعادات الدفن فى عصور ما قبل التاريخ . فقد كان الميت يدفن فى وضع « مقرفص » يشبه وضع الجنين فى بطن أمه ، حتى يبعث حيا ويولد فى الحياة الآخرة . وهذا هو نفس الوضع الذى يلوذ به الفصامى حين ينفصم عن عالم الواقع ، ويقبع فى جلسته وفى نومه ، ويرتد الى الوضع الأزلى الخالد الذى يشبه وضع الجنين فى بطن أمه .

فالميلاد والموت قطبا الحياة يبدوان فى الكابوس ، وفى المرض العقلى ، وفى طقوس الدفن فى فجر التاريخ ، وفى طقوس تنصيب المراهقين عند البدائيين ، وفى الرهبنة المسيحية ، وفى التأويل الشعبى منذ أيام قدماء المصريين ، القائل بأن من يمت فى الحلم يكتب له عمر جديد . مثل هذه العلاقات تحملنا على الاهتمام بالدلالات القديمة للأحلام ، وعدم استبعادها بدعوى أنها خرافات .

الفصل الثانى عشر

الشعور بالذنب

« النفس من خيرها فى خير عافية   والنفس من شرها فى مرتع وخم »

تتناول فيما يلى أمثلة للكابوس الذى يعبر عن احساس الأنا بالخطيئة ، والذى يعكس علاقة الأنا بالهو من ناحية ، وبالذات العليا من ناحية أخرى . وهـذا النوع من الكابوس يقابله من أنواع القلق ، القلق العصابى .

٤٧ ـ رأس الطفل المذبوح

سيدة مطلقة فى مقتبل العمر ، ولها ولد وبنت ، تقول : حلمت أنى فى البلد ، وأوصيت شخصا من معارفى ليشترى لى كبـده . فأحضرها وأعطاها لى فى يدى ، ملفوفة فى جرنال . فتحته فوجدت الكبدة عبـارة عن رأس طفل صغير مقطوعة من أسـفل الرقبة . فمسكتها فى يدى وقلت مندهشة : ((دى كبدة .. دى راس عيل)) فقال لى : ((اسكتى دى حاجة فى السر .)) فقلت له : ((أنا فاهمه ان دى حاجة فى السر .. لكن أنا مش ممكن آكل دى .. خذ ..)) وأعدتها اليه . وفكرت فى نفسى أثناء الحلم : كأن الأطفـال الضالين يذبحوهم ويبيعوهم . فهل أنا ممن يأكلون لحم الأطفال ؟ وبعدها استيقظت وأنا قرفانة ومعدتى مقلوبة على . وزاد فى سوء حالى أنى وجدت العادة الشهرية قد بدأت .

لعل المنبه الحسى الداخلى وهو بدء الحيض قد مهد لهـذا الحلم ، ثم اندمج هذا التنبيـه الحسى الداخلى فى المضمون النفسى للحلم . وقد تبين بفضل التداعى الحر أن هذه السيدة

كانت ــ قبل الحلم بنحو ثلاثة أشهر ــ قد كلفت من اشترى لها رطل كبدة ، وتقززت منها لأنها كانت فاســدة ، فرمتها . ومنذ ذلك الحين وهى تنفر وتتقزز من الكبدة . فالحلم يكرر هذه الخبرة الســابقة . فهل يكررها كما هى ؟ ولِمَ أبدلت بالكبدة رأس طفل ؟ ولِمَ كان الموضــوع « فى السر » ؟ ! سألتها ، هل سبق لها أن أجهضت . فأجابت بأنها قبل طلاقها من زوجهــا كانت حاملا وأجهضت نفسها . اذن هــذا هو المضمون الكامن للحلم : الشعور بالاثم وتأنيب الضمير لأنها أجهضت نفسها . فالذات العليا تجسم هذه الفعلة ، فتجعلهــا مشتركة فى جريمة أو تتســتر عليها ، أو كأنها متوحشة وممن يأكلون لحم الأطفــال . وهى تدرك فى الحلم أن المسألة « فى السر » لأن الاجهاض مستور . وعلى ذلك تضافرت على انتاج الصــورة النهائية للكابوس عوامل عدة : عامل من الخبرة الراهنة هو التنبيه العضوى الداخلى الصادر من بدء الحيض ، وعاملان من الخبرة الســابقة وهما ، الاجهــاض المصحوب بالشعور بالاثم وتأنيب الضمير ، والتقزز من الكبدة الفاسدة . ورأس الطفل مثال جيد لميكانيزم التكثيف ، فقد تجسدت فى رأس الطفل حالة وجدانية هى مزيج من الألم فى بدء الحيض ، والشعور بالذنب من الاجهاض ، والتقزز من الكبدة الفاسدة .

٤٨ ـ رأس طفلة وجسم سمكة

شاب فى نحو الثلاثين من عمره اعتزم الزواج من سيدة مطلقة ، لها طفلة عمرها ثلاث سنوات ، انتابه الكابوس التالى : رأى أنه يجلس الى سفرة فى مواجهة خطيبته . وعلى السفرة سمكة كبيرة لها رأس هذه الطفلة . ولم يكن راغبا فى الأكل من هذه السمكة . ولكنه عند ما وجد أن والدتها (خطيبته) تأكل منها ، مد يده وتناول منها وأكل .

التفسير المادى لرموز هذا الحلم وحدها ، لا يؤدى الى شىء . فالسمكة ، كالثعبان رمز للعضو التناسلى المذكر . والمنضدة رمز جنسى مؤنث ... وهو تفسير لا يعبر عن الصورة المركبة لجسم السمكة ورأس الطفلة .

علمت بالتداعى الحر من هذا الشاب أنه كان يحب هذه السيدة وهى فتاة ، واعتزم الزواج منها قبل أن تتزوج من زوجها الذى طلقت منه أخيرا . ولكنه وقتئذ لم يكن قد أكمل تعليمه . وتحت ضغط أهلها ، تزوجت من هذا الزوج الذى لم تكن تحبه ، وأنجبت هذه الطفلة . ولكنها كانت تعسة فى زواجها ... الذى انتهى بالطلاق .

قد يعبر هذا الحلم عن رغبة لاشعورية مكبوتة فى موت هذه الطفلة . فهو يتمنى لو لم تولد . ولذلك يتخيلها فى الحلم سمكة ، والسمك يعيش فى البحر ، والبحر رمز الأم . فهو اذ يتخيل الطفلة سمكة يتمنى لو تعود من حيث أتت ، أى الى

الماء أو الى الرحم . أما تردده فى الأكل من السمكة فى مبدأ الأمر ، فمرجعه التناقض الوجدانى نحو الطفلة . والصراع بين الرغبة اللاشعورية فى موتها ، والشعور بالاثم وتأنيب الضمير . وفى تفسير ابن سيرين ص ٢٧٢ « ومن رأى أنه يأكل لحم غيره فانه يغتابه » فهو فى الحلم يحجم عن الأكل من السمكة فى بادىء الأمر ، لأنه لا يريد أن يغتاب الطفلة أو يجنى عليها . فضميره يؤنبه على التسبب فى طلاق هذه السيدة ليتزوجها ، يؤنبه بسبب هذه الطفلة . ما ذنبها ؟ ولكن والدتها تتناول من السمكة ، وفى هذا معنى الفداء والتضحية . فهى تضحى فى سبيل حبها بأعز ما لديها . وقد شجعه هذا على أن يشاركها تضحيتها . وفى مشاركته لها فى التناول من السمكة نوع من العهد والرباط المقدس بينهما ، كما فى طقوس بعض الجماعات البدائية حين يأكلون حيوان الطوطم (Totem) فى المناسبات الخاصة ، وكما فى « العشاء المقدس » . كما أن هذه الوليمة التى اشترك فيها مع خطيبته توضح « ميكانيزم التقمص » ، فأكله من الطفلة أو السمكة تمثيل رمزى للتوحد أى لاعتبارها جزءا من نفسه حتى يحل محل أبيها ، حين يتزوج بأمها .

الغوريلا

٤٩ ــ فتاة من مرضى ((ناندور فودور ١)) كان ينتابها كابوس تهاجمها فيــه غوريلا . وكان هذا الكابوس ينزع الى التكرار . وبعد أن بين لها فودور أن هذا الكابوس تعبير عن صدمة الميلاد ؛ نصحها بأن تطلق كلبها على الغوريلا اذا ما عاودت الظهور . وقد نجح هذا الايحاء . ففى حلمها التالى طارد الكلب الغوريلا فوق التلال وعلى الوديان . وبعدئذ انقطع هذا الكابوس .

٥٠ ــ الأسطى زكى حلاق فى نحو الثــلاثين من عمره يروى الكابوس التالى :

حلمت أنى واقف فى جنينة متسعة . ثم رأيت غوريلا كبيرة تقف فوق تكعيبة عنب . وكانت فى حالة هياج شديد . وأخذت ترعبنى وتتهددنى وتقفز وتحلق على . فانزعجت وصرخت بأعلى صوتى مناديا على والدى ووالدتى ، وكانا نائمين بجوارى . فلم يسمعنى أحد . ثم تبينت منفذا فى ســور الحديقة ، فأسرعت للهرب منه . وما أن تحركت من موضعى حتى استيقظت .

وقد يغــرى تكرار الغوريلا فى الحلم الأخير ، باســتعارة دلالتها من الحلم الأول وهى الرعب من الميلاد . فالحديقة رمز للرحم . وما أن وجد منفذا ليخرج ، أى ليولد ، حتى استيقظ. غير أنه ليس للرموز دلالة ثابتة . وانما تختلف هذه الدلالة من

---

(١) N. Fodor: Ibid. The Introduction. P. XI.

حلم لآخر . واختلاف هذه الدلالة يتوقف على ظروف الحالم ، وطبيعة الصور المصاحبة للحلم ، والتداعى الحر الذى يقوم به الحالم فى محاولة تفسير الحلم .

ويقبل هذا الحلم تفسيرا آخر. فقد تكون الغوريلا الصورة التى تقمصتها الذات العليا لتهدد الذات وتعاقبها . ولكن على أى ذنب تعاقبها ؟ ان رموز الحلم لا تترك لنا مجالا للاختيار . فالحديقة رمز للرحم ، والعنب رمز لماء الحياة أو المنى [1] . فالذات العليا التى تقمصت الغوريلا تعاقب الذات فى هذا الحلم على الاستمناء أو على الافراط الجنسى . والصورة النهائية للكابوس ، وأهم مظاهره أى الرعب من الغوريلا ، لايشير الى الدافع الجنسى ، وانما يؤكد العقاب الذى توقعه الذات العليا .

وقياسا على هذا التفسير قد تكون الغوريلا فى حلم الفتاة ، الصورة التى تقمصتها الذات العليا . فلم امتنع الكابوس حين أطلقت الفتاة الكلب على الغوريلا فى الحلم ؟ ان الكلب قد يكون رمزا لانفعالاتها الجامحة ولنزعاتها الجنسية المكبوتة . ومن المرجح أن تعرفها على قطبى الصراع وهما ، النزعات المكبوتة ممثلة فى الكلب ، والقوى الكابتة ممثلة فى الغوريلا أدى الى زوال الكابوس . أى أن الكابوس زال حين خففت من

---

(١) وفى تفسير ابن سيرين : « الكرم دال على النكاح لانه كالنطفة » ص ٢٣٧

غلواء الذات العليا ، بأن أطلقت العنان للكلب أى لشهواتها ، بطريقة رمزية فى الحلم . وعندما وصلت الفتاة الى حل توفيقى وسط بين قطبى الصراع ، أصبح الكابوس حلما .

* * *

وهذا النوع من الكابوس الذى توضحه الأمثلة السابقة ، والذى يعبر عن الصراع بين النزعات المكبوتة فى « الهو » والقوى الكابتة للعقل أو الذات العليا ، من أهم أنواع الكابوس . و « الأنا » هى التى تقع فريسة لهذا الصراع . وهى التى تعانى شدة وطأة الكابوس ، فتستيقظ منه فزعة . وهذا النوع من الكابوس يقابل القلق العصابى فى تقسيم فرويد لأنواع القلق . وقد تعرف على هذا النوع معظم العلماء الذين تناولوا الكابوس بالدراسة . فينطوى تحت هذا النوع الكابوس ذو المنشأ الجنسى ، الذى تعرف عليه ارنست چونز ؛ والكابوس الذى يعبر عن نزعات الخوف أو الجنس أو الغضب الذى تعرف عليه هادفيلد .

الفصل الثالث عشر

الوحوش الأسطورية

« التحليل الوظيفي للكابوس يكمل التحليل النفسي له . »

لعـل أهم أنواع الكابوس هو النـوع الذى يقابل القلق الموضوعى ، فى تقسيم فرويد لأنواع القلق، والذى يتضمن علاقة الجهاز النفسى بالعالم الخارجى . وفى هذا النوع من الكابوس تظهر صور الكائنات الخرافية والمخلوقات الوحشية كالغول .. أو الجنية .. أو التنين .. أو الشيطان .. أو الذئب الذى يتقمص روح الميت ويمتص الدماء .. أو العنكب الضخم .. الخ .. ولهذه الكائنات نظائر فى التراث الميثولوچى : فى الأساطير ، والعقائد ، والتأويلات الشعبية القديمة للأحلام . واذا لم يكن لهذه الكائنات وجود حقيقى فى الواقع ، فليس من شك فى أن لها وجـودا فى التراث الميثولوچى كمعتقدات أو كخرافات . وعلى ذلك تظهر هذه الكائنات فى مجالين : مجال داخلى لاشعورى هو الكابوس، ومجال خارجى اجتماعى هو التراث الميثولوچى . ولذلك نصطنع فى تفسير هذا النوع من الكابوس طريقة التحليل الوظيفى .

وقد ذهب الكتاب فى تفسير الكابوس الذى يتضـمن صور هذه الوحوش الأسطورية مذاهب شتى : فارنست چونز يرد صور الأساطير وصور الكابوس الى مصدر واحد هو الصراع بين الرغبة اللاشعورية المكبوتة فى الاتصـال الجنسى بالمحارم ، والخوف من هذا الاثم. فالموقف الأوديپى كما ينشأ عنه الكابوس، يفسر كذلك الاعتقـاد فى الكائنات الخرافية ، فهى اسـقاطات للنزعات المكبوتة فى عقدة أوديب على العالم الخارجى . أما يونج فيعتبر صور الكائنات والوحوش الخرافية التى تظهر فى الكابوس وفى الأسـاطير والعقائد من « الصور الأولية البـدائية » التى

يحتوى عليها اللاشعور الجمعى . أما « ناندور فودور » فيعتبر الوحوش كالدب والأخطبوط مثلا تجسيما للخوف من الميلاد . أما هادفيلد فيقدم تفسيرين لظاهرة واحدة . فالوحوش الأسطورية تجسيد واسقاط لاحساساتنا الفسيولوچية ، أو للنزعات المكبوتة سواء أكانت الخوف أو الجنس أو الغضب . ومن ذلك يتضح أن نقطة البدء ومحور الاهتمام فى جميع هذه النظريات هو البحث عن دوافع هذه الكائنات الخرافية فى المجال اللاشعورى . وأغفلت كلها المجال الاجتماعى ، واعتبرت ظهور صور هذه الكائنات الخرافية وتلك الوحوش الأسطورية فى هذا المجال أى فى التراث الميثولوچى اسقاطات فى الخارج لهذه النزعات والدوافع اللاشعورية ، التى اختلفت تبعا لاختلاف الفكرة الموجهة التى فسر على ضوئها الكابوس .

أما طريقة التحليل الوظيفى فتعنى بتحليل صور الوحوش الأسطورية فى مجالها الاجتماعى. وتتخذ من وجودها فى المضمون الصريح ، ومن مدلولاتها فى التراث الميثولوچى نقطة البدء ، ثم تتبع مصيرها لعلها تهتدى باتنهاج هذا السبيل الى الدوافع اللاشعورية لهذا النوع من الكابوس . وتسلم طريقة التحليل الوظيفى مع النظريات السابقة فى اعتبار أن وجود هذه الكائنات والوحوش الخرافية فى الأساطير والعقائد ان هو الا اسقاط . غير أننا لا نعتبر الاسقاط تفسيرا لظهورها فى الكابوس . فالاسقاط يفسر وجودها فى التراث الميثولوچى وحسب . وطريقة التحليل الوظيفى اذ تتخذ نقطة البدء وجود هذه الكائنات

والمخلوقات فى التراث الميثولوچى ، انما تهدف الى تفسير ظهورها فى الكابوس ، دون أن تتقيد مقدما بفكرة موجهة عن دوافعه .

ان المعتقدات الشعبية تنسب الكابوس الى فعل هذه الكائنات الخرافية والوحوش الأسطورية . فاذا قمنا بتحليل دلالات هذه الوحوش، وجدنا صورة كل وحش من هذه الوحوش الأسطورية يستدعى فى التراث الميثولوچى وفى المعتقدات الشعبية استجابة أو امتثالا أو دلالة : فالتنين عـــدو مبين ، يقترن مقتله بالتحرر والخلاص . والشيطان أمار بالسوء يوسوس فى صدور الناس ، ويقترن بالاثم والخطيئة ، وتتجسد فيه نزعات العداء والكراهية . والغرض الذى من أجله تتحول الموتى الى ذئاب تمتص الدماء [1] ، فى اعتقاد العامة فى شرق أوربا ، هو الرغبة فى الثأر والانتقام من أعدائهم من الأحياء فى الدنيا ، أو عقابهم على ما بدر منهم من آثام . كذلك تقترن فكرة الاثم وارتكاب المعصية ، بالاعتقاد فى امكان تحول الرجال أو النساء الى ذئاب مسحورة [2] . وتقترن النزعات الشريرة والخوف من ايذاء الوظيفة الجنسية بالساحرات، فوظيفتهن تعطيل هذه الوظيفة أى (الربط) للرجال ، واحداث العقم للنساء [3] . هذه بايجاز هى الدلالات فى التراث الميثولوچى المقترنة ببعض هذه المخلوقات التى تظهر فى الكابوس ، والتى

---

(1) E. Jones : Nightmare, . 114.
(2) Ibid : P. 192, 193.
(3) Ibid : P. 139.

تنسب العامة الكابوس الى فعلها .. وهى دلالات تنطوى على فراسة ، فهى تتضمن النزعات العدائية القاسية والرغبات الشريرة والمحرمة ، التى لها نظائر فى الدوافع والنزعات اللاشعورية التى يقول بها أصحاب التحليل النفسى فى نظرياتهم فى تفسير الكابوس. ولكننا لم نتعرف على هذه الدوافع وتلك النزعات مبتدئين من المجال اللاشعورى ، وانما تعرفنا عليها من مدلولات هذه الوحوش الأسطورية والكائنات الخرافية فى المجال الاجتماعى أى فى التراث الميثولوچى . فالدلالات الخارجية فى المجال الاجتماعى هى ذاتها الدلالات الداخلية فى المجال اللاشعورى . فالصورة تقترن فى المجال الاجتماعى بدلالة معينة ، فاذا ما توفرت هذه الدلالة فى المجال اللاشعورى ، ظهرت الصورة فى المضمون الصريح للحلم . والدلالة فى المجال اللاشعورى هى الأفكار الكامنة ، أما صور الحلم فهى المضمون الصريح .

وفى المجال الاجتماعى تكون الصورة سابقة على الدلالة : فالتنين كرمز فى التراث الميثولوچى ، يستدعى دلالة هى التحرر أو التخلص من عدو . أما فى المجال اللاشعورى ، فالدلالة سواء أكانت رغبة أم خوفا أم ذنبا سابقة على ظهور الصورة . فالرغبة فى التحرر أو فى التخلص من عدو فى المضمون الكامن تفصح عن نفسها فى المضمون الصريح فى صورة التنين . فليست الصورة الأسطورية الرهيبة حينئذ هى التى تثير الفزع والخوف فى الكابوس ، وانما النزعات أو المخاوف أو الذنوب هى التى استدعت صورة مؤاتية. فلا يمكن القول بأننا نفزع فى الكابوس،

لأننا رأينا وحشا مفزعا ، وانما رأينا وحشا حين توفرت الدلالة اللاشعورية المقترنة به ، سواء أكانت نزعة محرمة أم ذنبا أم خوفا مكبوتا . فاذا ما توفرت احدى هذه النزعات المكبوتة ، تكون الكابوس بسرعة وظهر جاهزا كاملا فى صورة مؤاتية فى المضمون الصريح . فمن أين جاءت هذه الصورة ؟

هذه الصورة تقمصتها الذات العليا ، واختارتها من التراث الميثولوچى السائد ، حين توفرت الدلالة المقترنة بها فى المجال اللاشعورى . ولقد تبينا فى كثير من أمثلة الكابوس سالفة الذكر ، الأثر الحاسم للذات العليا أو الضمير فى صور هذه الكوابيس — وبصفة خاصة فى النوع الذى يعبر عن عقاب الذات فى الفصل الحادى عشر — ومن المهم أن نتذكر أن اختيار الصور التى تقمصتها الذات العليا فى تلك الأمثلة لم يأت عفوا أو مصادفة . وانما جاءت هذه الصور مطابقة ومتفقة مع الدلالات اللاشعورية المقترنة بها .

ففى الكابوس (رقم ٤١) تقمصت الذات العليا للحالمة صورة قطب الغوث المتولى ، وأخذ يزجر الحالمة وينكل بها ، لأنها أذنبت فى حقه ، وحالت دون ذبح الخروف فى ليلة الموسم . فصورة قطب الغوث المتولى التى تقمصتها الذات العليا للحالمة ، تطابق الدلالة المكبوتة ، وتبدو كعقاب يتفق مع طبيعة موضوع الاثم .

ومثل ذلك يقال فى صورة الشيخ أبو بكر التى تقمصتها الذات العليا للحالمة فى الحلم (رقم ٤٢) فهذه الصورة متفقة ومطابقة للدلالة اللاشعورية التى اقترنت بها ، وهى الخوف من

دعاء المرأة ، التى ساقت فى هذا الدعاء الشيخ أبو بكر ، على ابنتها لينتقم منها . فجاءها الشيخ أبو بكر بنفسه فى الحلم وطمأنها بأن دعاء المرأة غير مستجاب . وزال عنها الصداع بلمسة شافية من يده .

فالذات العليا التى تقمصت مرة صورة الشيخ المتولى ، ومرة أخرى صورة الشيخ أبو بكر ، ومرة ثالثة صورة أبى الهول ، ومرة رابعة صورة الاخطبوط .. قادرة على أن تتقمص صورة أى وحش من الوحوش الموجودة فى التراث الميثولوچى السائد ، متى توفرت الدلالة المقترنة به فى اللاشعور . وما نريد تأكيده هو أن الصورة تطابق الدلالة . الصورة من الذات العليا ، والدلالة مكبوتة فى « الهو » . فنحن لا نكبت صورة الشيطان أو صورة الغول أو التنين ، وانما نكبت الدلالات المقترنة بهذه الصور . والذات العليا قد تتقمص صورة التنين أو الذئب أو الغوريلا أو الأخطبوط أو صورة لقطب الغوث المتولى ، أو للشيخ أبو بكر ، اذا ما توفرت الدلالة اللاشعورية الخاصة المقترنة بهذه الصورة فى « الهو » . وبذلك تبدو الصورة كعقاب ملائم يتفق وطبيعة الخطيئة أو الذنب ، العقاب من الذات العليا التى تقمصت صورة ، والخطيئة هى الدلالة اللاشعورية المكبوتة. وتتولى الذات العليا ، ممثلة فى الصورة التى تقمصتها من التراث الميثولوچى السائد ، توقيع أقسى العقاب المصحوب بذعر وهلع ، وكتم للنفس ، وشلل للأطراف ، وغير ذلك من الأعراض التى يعرفها كل من انتابه الكابوس . وقد تكون الدلالات المكبوتة

رغبات داعرة أو مخاوف أو ذنوب أو تمنيات لاشعورية شريرة أو نزعات عداء أو كراهية مكبوتة .

وعلى ذلك يتلخص تفسيرنا الوظيفى للكابوس فى أن مضمونه النفسى عبارة عن مطابقة صورة تتقمصها الذات العليا ، لدلالة معينة مكبوتة مقترنة بها .

و « الأنا » هى التى تغفل فى ساعات النوم ، وهى التى تقاسى من وطأة مطابقة الصورة المبالغ فيها التى تتقمصها الذات العليا ، للدلالة المقترنة بها المكبوتة فى « الهو » . ويؤدى اتفاق النزعة المكبوتة والقوة الكابتة واجتماعهما على « الأنا » الى أن تهب من النوم مذعورة .

ونحن عند ما اتخذنا المجال الاجتماعى نقطة البدء فى تحليلنا الوظيفى للكابوس وجدنا ما يأتى : (شكل ٤)

١ ـــ ان الدلالات الاجتماعية المقترنة بالصور ، قد تكون هى ذاتها الدلالات اللاشعورية .

٢ ـــ وأن الصورة فى المجال الاجتماعى قد تقترن بدلالة معينة ، فاذا ما توفرت هذه الدلالة فى المجال اللاشعورى ، ظهرت الصورة فى المضمون الصريح للكابوس .

٣ ـــ وأن القالب الاجتماعى الذى يتضمن صورة ودلالة معينة فى التراث الميثولوچى ؛ هو على غرار القالب السيكولوچى الذى يتضمن الصورة التى تقمصتها الذات العليا ، والدلالة المقترنة بها المكبوتة فى « الهو » .

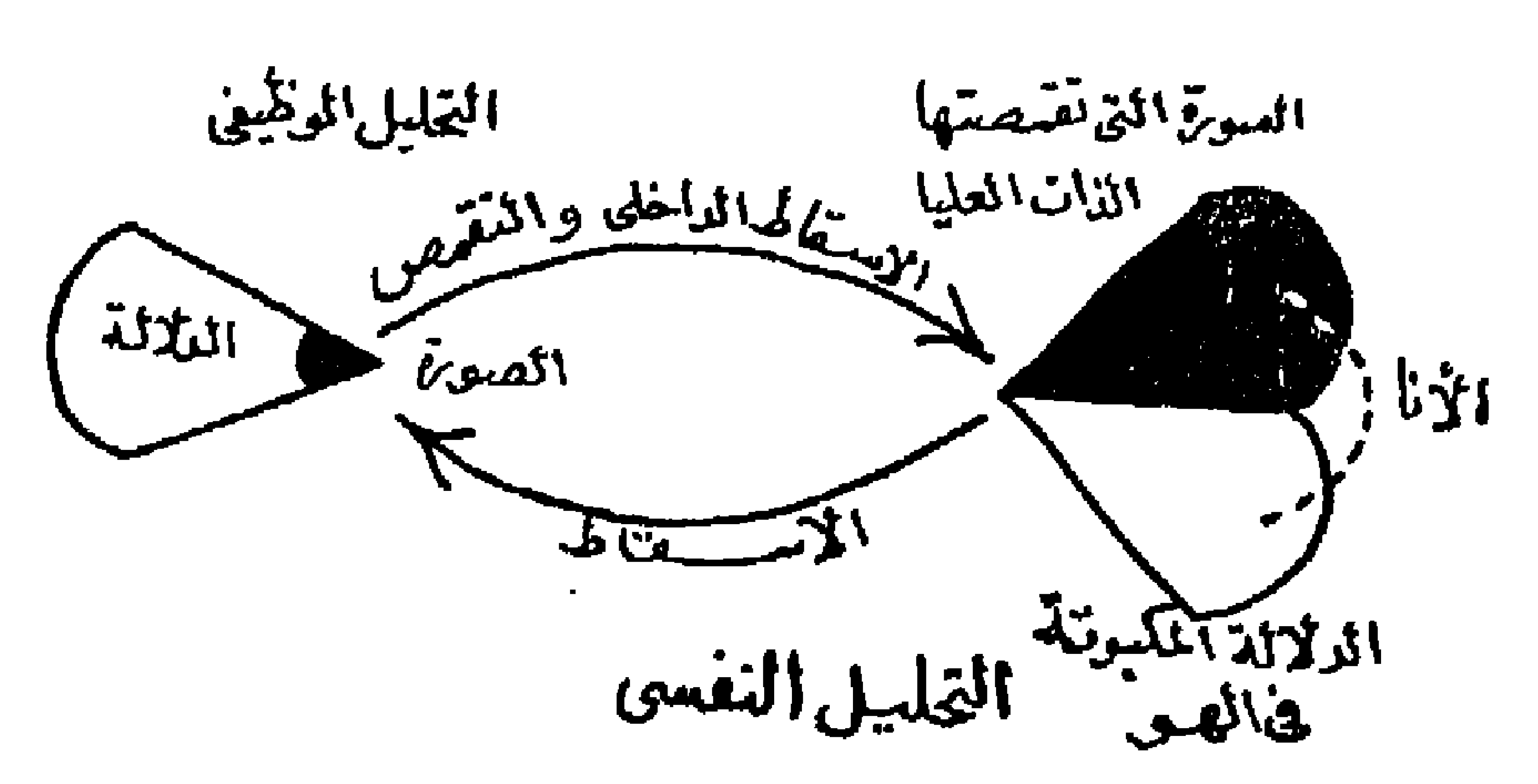
وهنالك حقيقة أخرى على جانب كبير من الأهمية وهي : أن الدلالات المقترنة بالصور فى كلا المجالين اللاشعورى والاجتماعى ثابتة ، ولا يغير من حالها مضى الزمن . وهذه الدلالات ثابتة فى المجال اللاشعورى ، لأن « المكبوت يظل على حاله فى اللاشعور ولا يتغير بمضى الزمن » [1] . فالنزعات والدوافع المكبوتة التى يتسبب عنها الكابوس ثابتة فى المجال اللاشعورى . وما لم تصبح شعورية بعملية التحليل ، فان مضى الزمن لا يغير من جوهرها . وفى المجال الاجتماعى كذلك ، تظل الاسقاطات فى مخيلة الجنس البشرى . وتدخر المعتقدات التى تتضمن الكائنات والوحوش الأسطورية ومدلولاتها فى التراث الميثولوچى ، وتبقى على مر الزمان وتتناقلها الأجيال . ولولا ثبوت مدلولات الصور فى المجالين الاجتماعى واللاشعورى لما أصبحت طريقة التحليل الوظيفى ممكنة ، ولما أمكن تفسير تشبث الكابوس بصورة معينة تنزع الى التكرار ، ولما أمكن تفسير تشابه دوافع الكابوس والأساطير — كما سنبين فى الفصل التالى .

وثبوت صور هذه الكائنات الأسطورية ومدلولاتها فى التراث الميثولوچى ، يجعل الصور قابلة للانتقال من المجال الاجتماعى الى المجال اللاشعورى عن طريق الذات العليا ، بواسطة ميكانيزمى التقمص ، والاسقاط الداخلى . واذا ماعدنا الى بدء ظهور هذه

---

(١) S. Freud: New Introductory Lectures on Psycho-Analysis: P. 99.

الصور ، وجدناها عبارة عن اسقاطات فى الخارج من اللاشعور ، كما أجمع على ذلك أصحاب النظريات المختلفة السالفة الذكر وبذلك يتضح أن هناك نوعا من الاستدعاء المتبادل لهذه الصور ودلالاتها بين المجال اللاشعورى والمجال الاجتماعى . واذا كان الاسقاط يفسر انتقال الصور من المجال اللاشعورى الى المجال الاجتماعى ؛ فان الاسقاط الداخلى والتقمص يسهمان فى نقلها من المجال الاجتماعى الى المجال اللاشعورى وبذلك يتم غلق الدائرة المفرغة (شكل ٤) .



(شكل ٤) التحليل الوظيفى للكابوس

نستخلص من التحليل الوظيفى للكابوس الذى يظهر فى صورة أحد الوحوش الأسطورية النتائج الآتية : (شكل ٤) .

أولا : ان هنــاك تطابقا بين القالب الخارجى الذى يتضـــمن

الصورة ودلالتها فى المجال الاجتماعى ، والقالب النفسى الذى يتضمن الصورة ودلالتها فى المجال اللاشعورى . وهـذا هو المقصود من كون الدلالة الاجتماعية للصورة ، هى ذاتها الدلالة اللاشعورية .

ثانيا : ان هناك نوعا من الاستدعاء المتبادل لهذه الصور ودلالاتها بين المجال الداخلى اللاشعورى ، والمجال الخارجى الاجتماعى. وهذه الصور ودلالاتها فى كلا المجالين ثابتة : فمن ناحية بقيت هذه الصور ودلالاتها فى الأساطير والعقائد القديمة وتناقلتها الأجيال . ومن ناحية أخرى فان الدلالة المكبوتة تظل فى « الهو » كما هى ، ولا يغير من حالها مضى الزمن . ويتم هذا الاستدعاء المتبادل عن طريق الميكانيزمات : فوسيلة الانتقال من المجال اللاشعورى الى المجال الاجتماعى هى الاسقاط ، ووسيلة الانتقال من المجال الاجتماعى الى المجال اللاشعورى هى الاسقاط الداخلى والتقمص بواسطة الذات العليا .

ثالثا : وفى المجال اللاشعورى هناك تطابقا بين الدلالة اللاشعورية المكبوتة فى « الهو » والصورة التى تقمصتها الذات العليا . فالمضمون الكامن للكابوس عبارة عن مطابقة دلالة معينة مكبوتة فى « الهو » ، لصورة مؤاتية لها تقمصتها الذات العليا . وهذا هو تفسيرنا الوظيفى للكابوس .

* * *

ونعتقد أن هناك عاملين لهما أكبر الأثر فى الوصول الى هذه النتائج :

العامل الأول ، هو طبيعة الأمثلة التى جمعناها ، والتى تعبر عن قوة أثر الضمير والوازع الدينى فى أحلامنا كشرقيين .

والعامل الثانى ، هو أننا اتخذنا نقطةالبدء التفسيرات الشعبية القديمة ممثلة فى تفسير ابن سيرين .

قواعد لتفسير الكابوس

يسفر اصطناع طريقة التحليل الوظيفى ــ على هذا النحو ــ عن القواعد التالية للمنهج فى تفسير الكابوس والأحلام المزعجة ، وهى تعتبر مكملة لطريقة التخليل النفسى :

١ ــ اتخذت تفسيرات التحليل النفسى للكابوس نقطة البدء البحث عن دوافعه فى المجال اللاشعورى ؛ الأمر الذى أدى الى تناقض هذه التفسيرات واختلافها اختلاف ما بين الجنس ، والخوف ، والميلاد ، « والصور الأوليةالبدائية » ، والاحساسات الفسيولوچية . أى اختلافها باختلاف الفكرة الموجهة المسلم بها مقدما .

أما طريقة التحليل الوظيفى فتعنى أساسا بالمجال الاجتماعى . وتتخذ نقطة البدء دلالات الصور والرموز فى التراث الميثولوچى . وترى فيها نقطة البدء الوحيدة الثابتة . كما ترى أن هذه الدلالات

الاجتماعية غالبا ما تنطوى على فراسة ، وغالبا ما تكون هى ذاتها الدلالات اللاشعورية .

٢ ـ تفسيرات التحليل النفسي عنيت أساسا بالمضمون الكامن للكابوس .

أما طريقة التحليل الوظيفى فتعنى بالمضمون الصريح للكابوس كذلك .

٣ ـ تفسيرات التحليل النفسى عنيت أساسا بالدوافع والنزعات المكبوتة فى « الهو » .

أما طريقة التحليل الوظيفى فتعنى خاصة بالقوى الكابتة ، أو الضمير ، أو الذات العليا ، لأنه يكاد لا يخلو كابوس من أثرها .

٤ ـ تفسيرات التحليل النفسى اعتبرت الاسقاط وسيلة الانتقال من المجال اللاشعورى الى المجال الاجتماعى . فبعد أن نسبت كل منها الكابوس الى دافع معين ، نسبت الى نفس هذا الدافع ظهور نظائر لصور الكابوس فى التراث الميثولوچى ، مستعينة بميكانيزم الاسقاط .

أما طريقة التحليل الوظيفى فتعتبر الاسقاط الداخلى والتقمص بواسطة الذات العليا وسائل الانتقال من المجال الاجتماعى الى المجال اللاشعورى .

٥ ـ تفسيرات التحليل النفسى عنيت بالصراع والحل التوفيقى الوسط بين النزعات المكبوتة والقوى الكابتة .

أما التحليل الوظيفي فيؤكد الاتفاق والتطابق بين الصورة التى يتقمصها الضمير (أو القوى الكابتة) والدلالة المكبوتة .

والتحليل الوظيفى مكمل للتحليل النفسى للاعتبارات التالية :

أولا : لثبوت دلالات الصور فى كلا المجالين اللاشعورى والاجتماعى : فمن ناحية تظل الدلالة المكبوتة فى « الهو » ــ التى يعنى بها التحليل النفسى ــ على حالها ولا تتغير بمضى الزمن . ومن ناحية أخرى بقيت الصور ودلالاتها القديمة ــ التى يعنى بها التحليل الوظيفى ــ خالدة فى التراث الميثولوچى وتناقلتها الأجيال .

ثانيا : ولأن التحليل الوظيفى يعنى بالمضمون الصريح للكابوس ، فى مقابل اهتمام التحليل النفسى بالمضمون الكامن له .

ثالثا : حيث ان التحليل النفسى يعنى بالدلالة المكبوتة فى « الهو » ، والتحليل الوظيفى يعنى بالأثر الحاسم للذات العليا فى الصورة النهائية للكابوس ، فان التحليل الوظيفى يعتبر مكملا للتحليل النفسى ، متى كان المضمون الكامن للكابوس عبارة عن مطابقة دلالة معينة مكبوتة فى « الهو » ، لصورة مؤاتية لها تقمصتها الذات العليا .

رابعا : لامكان الاستدعاء المتبادل للصور ودلالاتها بين المجالين اللاشعورى والاجتماعى ، فيما يشبه الحلقة المفرغة (شكل ٤) عن طريق الميكانيزمات : فالتحليل النفسى يعنى بالاسقاط ، وهو طريق الذهاب من المجال اللاشعورى الى المجال الاجتماعى . والتحليل الوظيفى يعنى بالاسقاط الداخلى والتقمص بواسطة الذات العليا ، وهو طريق العودة من المجال الاجتماعى الى المجال اللاشعورى .

خامسا : لمطابقة القالب السيكولوچى الذى يتضمن الصور ودلالاتها فى المجال اللاشعورى ـ الذى يعنى به التحليل النفسى ؛ للقالب الخارجى الذى يتضمن الصور ودلالاتها فى المجال الاجتماعى ـ الذى تعنى به طريقة التحليل الوظيفى .

سادسا : بفضل امكان « تكثيف » الدلالتين المادية والوظيفية .

* * *

واذا كانت طريقة التحليل الوظيفى هى المنهج الملائم لطبيعة موضوع الكابوس ، فان محك صدقها هو امكان تطبيقها على المشكلات الخاصة بالكابوس مثل : انتهائه بالاستيقاظ ، ونزوعه الى التكرار ، والتشابه بين صور الكابوس عند الشعوب المختلفة ، وبينها وبين الأساطير ... وهى المشاكل التى تتناول تفسيرها على ضوء النتائج المستخلصة من التحليل الوظيفى للكابوس فى الفصل التالى .

الفصل الرابع عشر

أسئلة عن الكابوس

لماذا ينتهى الكابوس بالاستيقاظ ؟
لماذا يتكرر الكابوس ؟
لماذا تتشابه صور الكابوس والأساطير ؟
لماذا تختلف صور الكابوس بين مختلف الشعوب ؟

لماذا ينتهي الكابوس بالاستيقاظ ؟

من أهم الفروق بين الحلم العـادى والكابوس ، أن الحلم يحرس النوم ويساعد على استمراره . أما الكابوس فينتهى دائما بالاسـتيقاظ . ويحسن قبل أن نفسر لِمَ نستيقظ من الكابوس ، أن نبين كيف يحرسْ الحلم النوم . ان الحلم العادى يبدو غالبـا كتحقيق مقنّع لرغبة مكبوتة ، أو كحل توفيقى وسـط (Compromise) بين النزعات المكبوتة والقـوى الكابتة ، ولذلك يستمر النوم . ويوضح ذلك الحلم التالى ، وهو لسيدة أمية فى مقتبل العمر ، موفورة العافية ، متزوجة من كهل محطم يكبرها بنحو خمس وعشرين سنة .

حلمت هذه السيدة الحلم التالى :

٥١ ـ « شفت الراجل الغفير قاعد ماسـك نبوت فى يده ، وقال لى : اعملى حسابك ان احنا زى الآخرة ، كل واحد بيقوم بنفسه » .

وتفسيره أن نبوت الغفير رمز لعضو التذكير. فالقسم الأول من الحلم تعبير عن الاغراء الجنسى . والقسم الثانى من الحلم ، وهو قوله : « اعملى حسابك ان احنا زى الآخرة كل واحد بيقوم بنفسه » تحذير وتخويف من الاثم . فالحلم بقسميه فى المضمون الصريح عبارة عن حل توفيقى وسط يجمع بين قطبى صراع لاشعورى فى المضمون الكامن بين الرغبة الجنسية المكبوتة ، والقوى الكابتة ، يجمع بين الاغراء الجنسى ، والتحذير والخوف

من الاثم . وهـذا الحل التوفيقى الوسـط جعل الحلم يبدو بريئا . مثل هذا الحلم يحرس النوم ، ويساعد على استمراره .

لماذا ينتهى الكابوس بالاسـتيقاظ ؟ يجيب ارنست چونز على هذا السـؤال : « وينتهى الكابوس بأن يهب الحالم من نومه مذعورا لأن الأفكار الكامنة تلح فى الظهور ، ولا يقوى الرقيب على منعها أو على تمويهها وتخفيتها . فاذا ما اشـتد الصراع بين الرغبات المكبوتة والرقيب ، وتعذر الوصول الى حل توفيقى وسط بينهما ، استيقظ الحالم . »

أما هادفيلد فيرى أن الكابوس والحلم كلاهما يكرر مشاكل ماثلة تتطلب الحل . الا أن المشـاكل التى تظهر فى الأحـلام العادية ، يبدو فيها طريق الى الحل ، وبذلك نستمر فى النوم . أما فى الكابوس فالصراع حاد والفزع جسيم ، وتتكرر المشاكل بأسبابها الرهيبة ، دون أن يقدم الكابوس لها حلا . فيترتب على شدة الصراع والتوتر الانفعالى ، والهلع الذى لا يحتمل ، أننا نهب من نومنا مذعورين . فكما أننا ننام لنهرب من مشاكل النهار ، فاننا من الكابوس نستيقظ لنهرب من مخاوف الليـل ومشـاكله التى لم تحل . وفى موضع آخر يقول : « وغالبا ما تكون المبالغة فى الانفعالات أثناء الكابوس راجعة الى غفلة القوى الكابتة ، وبذلك تنساب انفعالاتنا التى كبتت أثنـاء النهار بكامل قوتها ، فتتجسم المخاوف والآلام وتتضخم . »

ولنحاول بدورنا أن نفسر شدة وطأة الكابوس ، وانتهائه بالاستيقاظ على ضوء التحليل الوظيفى للكابوس : ان الصورة

التى تتقمصها الذات العليا ، مطابقة للدلالة المكبوتة فى «الهو» ويؤدى وقوع « الأنا » بين هاتين القوتين ، قوة الذات العليا وقوة الهو الى شـدة وطأة الكابوس بحيث لا تعود الذات تحتمله ، فتهب منه مذعورة .

اننا نستيقظ ، لا لأن القوى الكابتة تغفل ، كما يقول هادفيلد ، بل على العكس من ذلك لأن القوى الكابتة أو الذات العليا يوقعان الذات تحت ضغط غاية فى الشدة . آية ذلك : فى الكابوس الذى اتتابنى رقم (٤٠) ، لم تكن الذات العليا غافلة أو ضعيفة . ومثل ذلك يقال فى صورة قطب الغوث المتولى التى تقمصتها الذات العليا فى الكابوس رقم (٤١) فقد كانت صورة شديدة الوطأة أنزلت أقسى العقاب بالحالمة ، فجرتها من بلدها فى الغربية حتى بوابة المتولى بالقاهرة .

ونحن نستيقظ من الكابوس ، لا بسبب استحالة التوفيق بين القوى الكابتة والنزعات المكبوتة ، كما يقول ارنست چونز ، ولكن لأن هاتين القوتين متفقتان . فالذات العليا تتقمص صورة تطابق الدلالة المكبوتة فى « الهو » . فصورة « قطب الغوث المتولى » التى تقمصتها الذات العليا ليست غريبة عن موضوع المخالفة ، وانما تطابق الدلالة المكبوتة فى « الهو » ، وتبدو كجزاء من جنس العمل ، وكعقاب مبالغ فيه ، ولكنه ملائم لطبيعة موضوع الاثم .

والخلاصة أن التحليل النفسى يرى أن الكابوس ينتهى بالاستيقاظ لأن القوى الكابتة للعقل تضعف ، أو لأنه لا يمكن

التوفيق بين النزعات المكبوتة والقوى الكابتة .

أما التحليل الوظيفى فيرى عكس ذلك تماما : فالكابوس ينتهى بالاستيقاظ لأن القوى الكابتة أو الذات العليا غاية فى القوة والشدة ، ولأن هناك تطابقا واتفاقا بين الصورة التى تتقمصها الذات العليا ، والدلالة المكبوتة فى « الهو » . ان الأنا يستيقظ تخلصا من خطرين يتألبان عليها ويجعلانها نهبا لقوة هائلة تكتم الأنفاس وتشل الأطراف ، قوة لا خلاص منها الا بالاستيقاظ .

لماذا يتكرر الكابوس ؟

يتكرر الكابوس عادة متخذا صورة معينة يتشبث بها . وقد يعاود الكابوس الظهور مكررا صدمة سابقة ، أو معبرا عن صراع أو مشكلة نفسية ماثلة .

(ا) يكرر الكابوس خبرة سابقة أو صدمة تعرض لها الشخص : كما يحدث للجنود بعد المعارك . ومن ذلك أيضا الكابوس الذى يكرر أحيانا خبرة التخدير الكلى . وقد ترجع الصدمة أو الخبرة الى مرحلة الطفولة أو الى صدمة الميلاد أو تعسره . ويذكر القارىء أننا بينا أن الصدمة وحدها لا تكفى لاثارة الكابوس ، بل لا بد من توفر دوافع لاشعورية هى بمثابة استعدادات كامنة قابلة لأن تستثار بواسطة هذه الصدمات . وقد يكون الدافع النفسى سابقا ، والصدمة لاحقة له ، كما فى الكابوس الذى يكرر صدمة تعرض لها

الشخص فى الكبر . وقد تكون الصدمة هى السابقة ، كصدمة الميلاد ، والدافع النفسى لاحق لها ــ كما فى أمثلة كابوس الدفن حيا والاختناق . وقد يفسر اجتماع الصدمة والدافع الصيغة المبالغ فيها التى يتخذها الكابوس .

(ب) وقد يتكرر الكابوس لأنه يعبر عن صراع نفسى أو عقدة لاشعورية . وحيث أن المكبوت يظل على حاله ، ولايتغير بمضى الزمن. وحيث أن الكابوس مرآة لماهو مكبوت فى اللاشعور. لذلك يقول أصحاب التحليل النفسى أن الكابوس ينزع الى التكرار طالما أن الدافع ، ممثلا فى النزعات المكبوتة ، موجود . وهذا القول لا يشتمل الا على نصف الحقيقة . فليس يكفى الاهتمام بالنزعات المكبوتة ، دون أن نأخذ فى الحسبان مطابقة الصورة التى يتقمصها الضمير للدلالة المكبوتة . وعلى ضوء التحليل الوظيفى للكابوس ، نرى أنه ينزع الى التكرار طالما أن الذات العليا لا تتقمص الا صورة معينة بالذات هى الصورة التى تتفق ــ عند صاحب الكابوس ــ مع الدلالة المكبوتة فى لاشعوره .

لماذا تتشابه صور الكابوس والأساطير ؟

عنيت مختلف النظريات بتفسير التشابه بين صور الكابوس عند الشعوب المختلفة ، والتشابه بين صور الأساطير وصور الكائنات الخرافية التى تظهر فى الكابوس . وقد فسرت كل نظرية منها التشابه بين صور الكابوس والأساطير على أساس

اسقاط الفكرة الموجهة التي فسرت على ضوئها هـذا النوع من الكابوس : فهذا التشابه فى رأى ارنست چونز يرجع الى أن مصدر الصـور فى هذا النوع من الكابوس والأسـاطير واحد ، هو الرغبات الجنسية المحرمة ، والنزعات العدائية نحو الوالدين المكبوتة فى عقدة أوديب . ثم اعتبر الكابوس مصدر الاعتقاد فى الشياطين والساحرات والذئاب المسحورة .. كما اعتبر أن ظهور هذه الكائنات الخرافية فى التراث الميثولوچى عبارة عن اسقاط فى الخارج لهذه الرغبات الجنسية والعدوانية .

أما يونج فيفسر التشـابه بين صور الكابوس فى العصـور المختلفـة ، ولدى الشـعوب المتباينة ، وبينها وبين صـور الأساطير ، برد هذه جميعا الى « الصـور الأولية البدائية » التى يحتوى عليها اللاشـعور الجمعى . وتظهر هذه الصور فى الأساطير لأنها اسقاطات فى الخارج من اللاشعور الجمعى .

أما هادفيلد فيرجع تشابه الصور فى الكابوس والأساطير الى تشابه تكويننا الفسـيولوچى واحساسـاتنا وانفعالاتنا التى تتجسد وتسـقط فى هذه الصور . وحيث أن الاحساسـات الفسيولوچية التى تؤدى الى هذه الصـوز العقلية متشابهة عند النـاس جميعا ، لذلك تتكرر نفس الصور فى الكابوس والأساطير وتتشابه فى كثير من أنحاء العالم . ولكل من هذه الصور المتشـابهة منشأ مسـتقل ، وهى ليست متوارثة أو فطرية ــ كما يقول يونج ــ ولكنه تكويننا الفسيولوچى هو الفطرى الموروث . وهذا التكوين المتشابه هو الذى يؤدى

الى تكرار الصور فى الكابوس والأساطير وتشابهها فى كثير من أنحاء العالم .

أما تفسيرنا على ضوء هذه الدراسة لتشابه صور الكابوس عند مختلف الناس فمرجعه تشابه الجهاز النفسى. فلهذه الصور المتشابهة نشأت مستقلة عند مختلف الأفراد ، نتيجة لوحدة الجهاز النفسى. أما تفسيرنا للتشابه بين صور الكابوس والأساطير فمرجعه التطابق بين القالب الخارجي الذى يتضمن الصورة ودلالتها فى المجال الاجتماعى ، والقالب النفسى الذى يتضمن الصورة ودلالتها فى المجال اللاشعورى . وهذا التطابق يجعل من الممكن حدوث الاستدعاء المتبادل للصور ودلالاتها بين المجال الاجتماعى والمجال اللاشعورى بما يشبه الحلقة المفرغة (شكل ٤) ووسيلة الانتقال من المجال اللاشعورى الى المجال الاجتماعى هى الاسقاط . ووسيلة الانتقال من المجال الخارجى الاجتماعى الى المجال الداخلى اللاشعورى هى الاسقاط الداخلى والتقمص عن طريق الذات العليا . وقد عنيت النظريات السابقة كلها بالاسقاط ، وهو طريق الذهاب . وأغفلت كلها طريق العودة . فقد بدأ أصحاب التحليل النفسى فى النظريات سالفة الذكر بالمجال اللاشعورى ، وتعرفوا فيه على دوافع الكابوس ثم نسبوا الى الاسقاط ظهور هذه الكائنات والصور فى التراث الميثولوچى . أما فى طريقة التحليل الوظيفى فنبدأ بالمجال الاجتماعى وتتعرف فيه على مدلولات الكائنات الخرافية فى التراث الميثولوچى ، وننسب الى الاسقاط الداخلى والتقمص

ظهور هذه الصــور وتلك الكائنات فى الكابوس . وطريقة التحليل الوظيفى اذ تلم بكلا المجالين الاجتماعى واللاشعورى تفسر تشابه صور الكابوس والأساطير تفسيرا ديناميكيا على أساس التطابق بين القالب الاجتماعى والقــالب السيكولوچى للصورة ودلالتها ، وعلى أساس ثبوت دلالات الصور فى كلا المجالين الاجتماعى واللاشعورى ، وعلى أساس امكان حدوث الاستدعاء المتبادل للصــور ودلالاتها بين المجالين الاجتماعى واللاشعورى . بفضل تلك الميكانيزمات التى ذكرناها .

لماذا تختلف صور الكابوس بين مختلف الشعوب ؟

واذا كان هنــاك قدر من التشــابه بين صــور الكابوس والأساطير فى العصور المختلفة ولدى الشعوب المختلفة ، فهناك أيضــا قدر من الاختلافات بينها . فصــور الكابوس تتطور وتساير الزمن . كما تختلف صــور الوحوش الأسطورية من شعب الى آخر ومن بيئة الى أخرى . ففى معتقدات الغربيين ، وفى الكوابيس التى تنتــابهم ، الذئاب المسحورة ، والذئاب التى تتقمص أرواح الموتى ، وهى معتقــدات يجهلهــا أهل الشرق . وفى تراثنــا الشرقى الغول والجنية ، وهى معتقدات يجهلها أهل الغرب . فما تفسير هذه الاختلافات ؟

ان طريقــة التحليل الوظيفى اذ تعنى بالمجــال الاجتماعى واقتران الصــور فيه بدلالات معينة ، يمكنها تفسير اختلاف صور الكوابيس باختلاف البيئة والثقافات . فبما أن الصورة

التى تتقمصها الذات العليا ، تختارها من التراث الميثولوچى السائد ، متى توفرت الدلالة المتفقة معها فى اللاشعور . اذن تختلف هذه الصور باختلاف التراث الميثولوچى ، وباختلاف البيئات والثقافات .

* * *

هذه هى النتائج التى أسفر عنها اصطناع « طريقة التحليل الوظيفى » فى دراسة الكابوس . وقد استطاعت — أكثر من أية نظرية سابقة — أن تفسر الكابوس والمشكلات الخاصة به ، المشكلة تلو الأخرى .

ومفهوم « طريقة التحليل الوظيفى » عندنا هو :

١ — العناية بالمضمون الصريح للحلم .

٢ — وبدلالة رموزه فى المجال الاجتماعى .

٣ — وبأثر الضمير أو الذات العليا فى صورته الأخيرة .

وهى بهذا المعنى تختلف عن « طريقة التحليل الوظيفى » كما استخدمها شتيكل وأنصار « مدرسة زيورخ » . فمعنى التفسير الوظيفى عند شتيكل هو دلالة الحلم على العصاب أو المرض النفسى . أما معنى التفسير الوظيفى عندنا فهو دلالة الحلم فى التفسيرات القديمة ، والعلاقة بين رموزه ودلالاتها فى الأديان والأساطير والطقوس .

« الوظيفة » عند شتيكل ، هى العلاقة بالعصاب .

أما « الوظيفة » عندنا فهى العلاقة بالتراث الميثولوچى .

علاج الكابوس

« لاتنم وأنت غالب أو ظالم »

نصائح شـائعة :

هنالك نصـائح معروفة جرت العـادة باسدائها لمن يبتلى بالكابوس ، وهى ألا يفرط فى اتخام معدته فى وجبة العشاء .. وألا ينام عقب تناول العشاء مباشرة .. وألا ينام على ظهره .. وما كانت هذه النصائح لتجدى ، لأن أثر الأسباب الجسمية والمنبهات الحسية فى اثارة الكابوس ، كما بينـا محدود جدا . وقد يتقيد الواحد باتباع هذه النصائح ، ومع ذلك لا ينجو من الكابوس .

واعتقد القدماء والعـامة فى أن الكائنات التى تطبق على النفس ، وتجثم على الصـدر فى الكابوس تأتى من مصـدر غيبى . وأشاروا الى طرق توقى شرها ، ومنع زياراتها بلبس دبلة صفراء .. أو بوضع سكين تحت الوسـادة .. وليس من محض المصادفة اختيار هذين الرمزين بالذات فى هذه الخرافة . بل هناك نوع من الحتمية فى اختيارهما : فالدبلة رمز جنسى مؤنث ، والسـكين رمز جنسى مذكر . ولما كانت الرغبـات الجنسية المكبوتة من دوافع الكابوس ؛ فان السكين للمرأة ، والدبلة للرجل قد تكون تحقيقا وهميا لهذه الرغبات برموز بديلة للموضـوع الأصلى . وقد يكون ضرر هذه الطقوس أكثر من نفعها لأنها تساعد على تركيز الاهتمام وشغل الذهن قبيل النوم بالموضوع الجنسى .

وقد يكرر الكابوس خبرة مؤلمة سابقة أو صدمة تعرض

لهـا الشـخص فى حيـاته . وقد ترجع هـذه الخبرة الى مرحلة الطفولة الأولى أو الى صدمة الميلاد . غير أن الصدمة وحدها لا تكفى لاثارة الكابوس ، وغالبـا ما تتقوى بدافع نفسى . وقد تكون هذه الخبرات منسية . ويؤدى ظهورها فى الكوابيس والأحلام ، ثم ابرازها بالتحليل الى احيـاء هذه الخبرات المنسية أو الصدمات وتذكرها وادماجها فى الشعور ، والاستجابة لها بطريقة صريحة واعية .

وتعتبر الأسـباب الجسمية أو المنبهات الحسية أو الخبرات السابقة عوامل مساعدة فى اثارة الكابوس . وهناك عامل عام يكتمن خلف هذه التفسيرات الجزئية هوالدوافع اللاشعورية . فلا بد ـ حينئـذ ـ من تحليل الكابوس ومعرفة دوافعـه اللاشعورية . ومهما بدا الكابوس غريبا أو غامضا ، فلا بد أن له مغزى . والاهتداء الى التفسير الصحيح للكابوس هو أهم خطوة فى علاجه . واذا ما عرف سببه وحقيقة دوافعه ، واقتنع الحالم بالتفسير ، وأصبحت هذه الدوافع اللاشعورية الكامنة شعورية بالنسـبة له ، فقدت قدرتها على التـأثير ، وامتنع الكابوس عن معـاودة الظهور . وقد تكون هـذه الدوافع اللاشعورية رغبات جنسية مكبوتة ، كما فى أحلام النساء غير المتزوجات بصفة خاصـة : العوانس ، والأرامل ، والعذارى ـ كما يقول ارنست چونز . وقد تكون هذه الدوافع مخاوف مكبوتة ـ كما يقول هادفيلد . وقد عنيت النظريات السالفة الذكر بهذه النزعات المكبوتة فى « الهو » . وقد تبينا فى كثير

من الأمثلة التي جمعناها الأثر الحاسم للضمير أو القوى الكابتة للعقل في الكابوس [1] . فمن كان مستريح الضمير خالي البال نام نوما هادئا . فلا ينتاب الكابوس من كان على وفاق مع ضميره ، وعلى وئام مع غيره من الناس .

واذا ما اهتدينا الى التفسير الصحيح للكابوس ، وتعرفنا على دوافعه وأسبابه والمشكلة التي يدور حولها ، ينبغي العمل على حل هذه المشكلة وازالة هذه الأسباب . ففي المثالين رقم ٢١ ، ٢٥ وهما لسيدة تركت أولادها في رعاية والدتها في الريف ، وأقامت بعيدا عنهم . حلمت (٢١) بوفاة والدتها ، ثم حلمت (٢٥) بضلال ابنتها منها في الزحام . وكانت هذه الأحلام تنزع الى التكرار . وعند ما فسرت لها هذه الأحلام بأنها تنم عن الرغبة في احضار أولادها للاقامة معها ، وبعد أن أحضرتهم واجتمع شمل الأسرة ، امتنعت هذه الأحلام .

ولكل مرض نفسي كوابيس وأحلاما ذات طابع خاص تنم عليه . وقد يبدأ العصاب أو المرض النفسي بكابوس . وفي العلاج بالتحليل النفسي [2] ، يكشف الحلم الأول بصفة خاصة ، والأحلام التالية أثناء العلاج عن موقف العصابي حيال مشكلته النفسية ، وعما يعانيه من صراع عقلي ، وموقفه من المحلل ومن عملية التحليل . وتكاد تعبر مجموعة الأحلام المتصلة

---

(١) كما في الأمثلة المذكورة في الفصل الحادي عشر بصفة خاصة .

(١) أنظر كتاب : « خبراء النفوس » تأليف الدكتور عبد المنعم المليجي — في كتب هذه المجموعة . من ص ١٢٩ — ١٤٦

للعصابى عن نفس الدافع ، ونفس الدلالة على المشكلة أو العقدة أو الصراع الذى يعانيه . فأحلام العصابى أثناء العلاج النفسى ، والأعراض العصابية ، تدور كلها حول فكرة محورية أو نواة تمثل مشكلة حياته . وتكاد أحلامه تكون سلسلة متصلة تكمل كل حلقة منها الحلقات السابقة .

المنهج التكاملى :

ويعنى المنهج التكاملى بدراسة الظاهرة من النواحى البيولوجية والنفسية والاجتماعية . وبالنسبة لموضوع الكابوس ، تتمثل الناحية البيولوجية فى الاحساسات الفسيولوجية بصفة خاصة . والناحية النفسية فى الدوافع اللاشعورية سواء أكانت تعبيرا عن النزعات المكبوتة كالخوف والجنس أوعن القوى الكابتة للعقل . أما الناحية الاجتماعية ، فهى الناحية التى عنينا بها أساسا فى هذا البحث . فقد تتبعناها من الدلالات الشعبية القديمة لأحلام الضيق والأحلام التنبؤية ، الى المغنم الثانوى الذى يعود على الحالم فى الأحلام بوفاة الأقارب ، الى الدلالة القديمة التى تقترن بالوحوش الأسطورية فى التراث الميثولوچى ، والتى تظهر نظائر لها فى صور الكابوس . وفى علاج الكابوس كظاهرة مرضية لا غنى كذلك عن أن نأخذ فى الحسبان هذا المجال الاجتماعى ؛ فهو خير رائد يوصلنا الى حقيقة الدوافع اللاشعورية . وتتضح أهمية هذا المجال فى فهم وتفسير الأعراض والأحلام فى الحالة

التـــالية . وهى ســـيدة من معارفى أثارت أحلامها اهتمامى ، فعولت على دراستها ، وقمت بتسجيلها وتفسيرها .

حالة خوف من اللمس

مدام أليس أرملة أشرفت على الســـتين . توفى زوجها منذ أربعة أعوام . تشكو من مخاوف مرضية مزمنة . وتخاف بصفة خاصة من اللمس ، وتذهب فى هذا الخوف الى مدى بعيد : فلا يمكن أن تصافح أحدا باليد . ولا تستطيع أن تمس شيئا من أثاث بيتها وأدواته . ولذلك فهى تلزم حجرتها وفراشها فى معظم الأوقات . وقد تعقدت حياتها ، وأصبحت سلسلة متصلة من القيود والمحرمات . وعند ما تستحم تطالب بطقوس معقدة لتطهير الحمام ، وقد تستغرق فى أخذ الحمام نحو ثلاث ساعات. وفى الصباح عند ما تغسل وجهها تستغرق فى هذه العملية مدة تطول عن المألوف . وعندما كانت تحضر لزيارتى كانت تحمل معها فستانا قديما تطويه بعناية وتضعه تحتها على الكرسى الذى تجلس عليه . وكانت تطلب كرسيا من الخيزران تضعه فى وسط الغرفة ، وتلم أطراف ثيابها بعناية حتى لا تلمس شيئا . وكانت تحمل ورقة مطوية طيات عديدة حتى استحالت فى رفع القلم ، تستعين بها فى الضغط على جرس الباب الخارجى حتى لاتلمسه بطرف أصبعها ! ومن الأشياء التى تخاف منها بصفة خاصة : الحجاب ، والبخور ، والحنة ، واللادن ، والمغات ، والعفار ... فاذا ما صادفتها سيدة تحمل حجابا ، أو تضع حنة ، أو تمضغ

لادنا ... تملكها الذعر والفزع والقلق الشديد . وهذه الأشياء التى تخاف منها بالنهـار ، تنزعج منها كذلك اذا رأتهـا فى الأحلام . وهى تشـكو من شدة وطأة الأحلام المزعجة الكثيرة التى تتكرر فيها نفس هذه الرموز والأشياء التى تخاف منهـا بالنهار . وكانت مدام أليس تعانى هذه المخاوف المرضية منذ أكثر من عشرة أعوام . وتعتقد أن مرضها سببه السحر . وهى تذكر جيدا الصدمة الأولى التى سببت لها المرض .

ذات يوم منذ أكثر من عشرة أعوام كانت مدام أليس جالسة على الأرض، فتناولت أختها زجاجة كولونيا ورشتها بها فى وسط ظهرها عدة مرات . فالتفتت الى أختها غاضبة وسألتها زجاجة من هذه ؟ فأجابتها زجاجة فايز . فصرخت وقامت مذعورة الى الحمام فاغتسلت وغيرت ملابسها . ومن يومها انهارت ولزمت الفراش

وفى نفس الليلة عقب هذا الحادث انتابها الكابوسان التاليان :

٥٢ ـ حلمت أنى راقدة على السرير ، بينما كان فايز جالسـا على كرسى بجوار السرير ، ثم أخذ منديلا رمادى اللون ومسح به فمى . فصرخت بشدة : لماذا تمسـح لى فمى ؟ ... لماذا تمسـح لى فمى ؟

٥٣ ـ بينما كنت راقدة على السرير أحضر فايز كرسيا وجلس عليه بجوارالسرير . ثم أخرج حجابا مكتوبا وعداه على ، فصرخت فيه قائلة : ((ليه بتعدى على الحجاب ... طيب رجعه ... طيب رجعه)) لاعتقادها أن اعادة تعدية الحجاب عليها يفسد مفعوله . ونرجىء تفسير هذا الكابوس الى حين .

والكابوس الأول بالغ التخفى الا أن له مغزى بعيـدا . لم أصابها الذعر من المنديل الذى مسح فايز به فمها ؟ المنديل الملون بلون رمادى ، رمز بديل لمنـديل ملوث بالمنى . ومسـح الفم « ابدال من أسفل الى أعلى » وهو حيلة لاشعورية يتخفى بها المغزى الجنسى باستبدال أجزاء فى النصف الأعلى من الجسم ليس منها حرج كالفم ، بأجـزاء فى النصف الأسـفل منه . ويؤيد هذا التفسير الذعر الشديد المصاحب للحلم . فهذا الانفعـال ينتمى الى المضمون الكامن للحلم ، وهو الخوف من النطفة أى الخوف من الحمل .

ومنشأ الخوف من اللمس فى هذه الحالة هو الخوف من اللمس الجنسى . ذلك أن زوجها كان عقيما وقرر الأطباء أنه لايستطيع الانجاب ، لأن سائله غير مخصب . فالعقدة الأصلية فى هذه الحالة هى الصراع الحاد الذى لا سبيل الى حله بين الرغبة الطبيعية فى الأطفال ، والخوف الشديد من الحمل . ونظرا لعقم زوجها ، فان احتمال وصول المنى اليها يهددها بعصبية لا تستطيع احتمالها . وقد أفصح الخوف ، من الحمل عن نفسه برموز بديلة فى الأعراض وفى الأحـلام .

والأعراض التى تشكو منها عبارة عن ميكانيزمات أو حيـل لاشعورية دفاعية ضد خطر وصول السائل المنوى اليها . والا فبم نعلل فرش فستانها على الكرسى قبل أن تجلس عليه ؟ وبم نعلل طقوس التطهير للحمام ، الذى تسـتغرق فيه نحو ثلاث سـاعات ؟ والمخاوف غير المعقولة من الرموز التافهة كاللبان ،

والكولونيا ، والحنة ، والبخور ، والعفار وكلهــا رموز بديلة للسائل المنوى ، ولذلك يتملكها الذعر والرعب منها اذا ما رأتها فى حياة اليقظة أو فى الأحلام .

والآن من هو فايز الذى ظهر فى هذين الكابوسين ، وصاحب الكولونيا التى سببت لها الانهيار ؟ هو أخو زوجها ، وقد توفى قبل وفاة زوجهــا بعامين . وكانت أسباب العــداء والكراهية مستحكمة بينه وبين مدام أليس من جراء نزاع حول ميراث كبير. وأفصحت الكراهية المتبادلة بينهما عن نفسها فى السحر ، فاعتقد كل منهما أن الآخر يكيد له بالسحر . فمرة ضبط فايز متلبسا برش ماء من كوز صفيح فى مدخل منزلها . ومرة أخرى رآه صبى من العائلة وهو يحفر تحت عتبة باب مدام اليس ، ووضع شيئا فى الحفرة ، وردمها ثم انصرف . فأخبر الصبى مدام اليس بما رأى فكلفته بالبحث عما أخفاه فايز ، فنبش الأرض وأخرج قطعة من الرصاص منقوشة من الجانبين . وكانت تعلم أن فايز ضالع فى السحر . وكانت تسمع أنه يذهب الى الجبانة فى أيام الجمع ، ويستعين فى أعماله السحرية بشيخ يسكن بالقرب من هذه الجبانة . وعند ما مات فايز دفعها الفضول الى أن تستدعى هذا الشيخ ، فأرسلت فى طلبه فحضر . وما أن رآها حتى قال مندهشــا : هو انت ... ! فأجابتــه : اش عرفك بى ؟ قال : الصورة ، أنا عرفتك من الصورة (صورتها التى كان يحملها فايز ، والتى كان يستخدمها فى الأعمال السحرية) . فهل من عجب بعد ذلك أن تعتقد مدام اليس أن فايز هو أس البلاء وسبب نكبتها

ومرضها ؟ انها تعتقد أن السبب المباشر فى مرضها هو أن أختها رشتها بالكولونيا فى وسط ظهرها على غفلة منها ، الأمر الذى أفزعها ، ولا سيما حين علمت أن هـذه هى زجاجة الكولونيا التى أحضرها فايز ، وبالتالى فهى مشحونة بالكتابة والعمل السحرى . هذا بالاضافة الى المغزى اللاشعورى للكولونيا الخاص بها ، فهى رمز بديل للمنى . فعندما وصل الى جسمها ذعرت وارتاعت . وكانت هذه الصدمة كفيلة بانهيارها . والكولونيا كرمز لها حتمية فى كلا المجالين الاجتماعى واللاشعورى . فهى فى المجال الاجتماعى رمز يقترن بقوة غيبية هى الكتابة أو الأعمال السحرية . وفى المجال اللاشعورى لها دلالة خاصة عند مدام اليس بالنسبة لظروفها ، وهى أنها رمز بديل للمنى وهو أخوف ما تخافه .

وفيما يلى بعض الأحلام المزعجة والكوابيس التى كانت تنتابها مرتبة بحسب تسلسل حدوثها وبنفس ألفاظها :

٥٤ ـ « حلمت أنى ذهبت الى الحوض لأغسل وجهى ، وجدت الحنفية سايبة ، أضيق فيها ، مفيش فايدة . لفيت عليها شريط قماش ، برضه لقيت الميه زايده . أسد فيها ما تنسد . وأخيرا تركتها مفتوحة » .

والتفسير المادى للصنبور المفتوح ، أنه رمز جنس مذكر . أما التفسير الوظيفى : فالمياه السايبه من الصنبور تصوير رمزى لمرضها النفسى ، الذى لم تستطع ضبطه أو التحكم فيه . وليس

هناك تعارض بين هذين التفسيرين ، فموضوع مرضها هو هذا السـائل !

٥٥ ـ ((**جلست الى منضدة فى وسط حجرة ، امامى جدع شاب وعلى السفرة ديك مذبوح وناضج . وفى الحجرة سرير ، والسرير عليه ثلاث قطط . وبينما كنت أتنـاول من الديك ، قفزت قطة ووصلت تحت أرجلنا ، فأعطيتها منه قطعة ، وأعطاها الجدع قطعة أخرى ، فأكلتهما بسرعة**)) .

وتعبير هذا الحلم أن القطط رمز للأطفال . فالدافع الأساسى فى هذا الحلم هو الرغبة فى الانجاب ، ولو من جدع شاب . وهذا ينطوى على خيانة يرمز لها الديك . فالديك رمز وظيفى للخيانة . وفى الانجيـل المقدس قال السيد المسـيح لبطرس الرسـول « ستنكرنى ثلاث مرات عند صياح الديك » أما التفسير المادى للديك ، فهو أنه رمز جنس مذكر ، ولا سـيما اذا وجد فوق منضدة فى وسط غرفة ، وهى رمز جنس مؤنث . وفى التلمود : « ومن رأت فى الحلم ديكا ، رزقت بطفل » [1] وقد تكون هذه الدلالات الثلاث صحيحة بفضل ميكانيزم التكثيف . ومن الممكن الجمع بين هذه الدلالات الثلاث ، فيكون الديك فى هذا الحلم تعبيرا عن خيانة زوجية تؤدى الى طفل أو أطفال .

وفى نفس الليلة التى حلمت فيها هذا الحلم ، حلمت حلما آخر يحمل نفس الدافع وهو :

---

(١) T. Reik: "Ritual", P. 84.

٥٦ ـ ((كنت جالسة على الأرض فى وسط حجرة ، فوجـدت قطة سوداء تجرى حول الغرفة . وناديت عليها وقلت لها تعالى ... مش عايزه تيجى ... وأخيرا حضرت فى حجرى فقبلتها ، وفتحت عينى صحيت)) .

والقطة رمز بديل للطفل . فهذا الحلم يفصح كذلك بشـكل مؤثر عن الرغبة فى الأطفال .

٥٧ ـ ((عند عودتى الى المنزل ، وجدت من تنفض البساط من الدور الثانى . فسألت : من الذى ينفض التراب على ؟ فاطلت ابنة اختى (و) فقلت لها كده يا (و) تنفضى على راسى ... أعمل أيه فى راسى ... أعمل ايه فى هدومى ... فأجابت (و) لست انا يا خالتى)) .

يعبر هذا الحلم عن الضيق والاحساس بالقلق الشـديد من التراب ، وهو ما تخافه كذلك وتتجنبه فى حياة اليقظة . والتراب رمز للمنى ، كما أنه رمز لعملية الخلق « من التراب والى التراب نعود » وقد ورد هذا المعنى كذلك فى تفسير ابن سيرين (ص ٢٩٥) : « والطفل يدل على مادل عليه التراب ... لأنه من تراب الأرض » وفى موضع آخر (ص ١٨٤) يقول : « والتراب يدل على الناس لانهم خلقوا منه » وعلمت منها فى التداعى الحر أنها لم تكن قبل المرض تخاف من التراب أو العفار ، فقد كانت تنفض البساط بنفسها . أما بعد المرض ، فأسوأ شىء تخاف منه هو العفار . لذلك تحرم الأكل على نفسها اذا كان من اشتراه صاعدا على

السلم ، بينما يكون أحد أهل المنزل نازلا . لذلك يجب عليه أن يقوم بطقوس معقدة وهى : أن ينادى أولا لاخلاء الطريق قبل أن يصعد السلم الموصل الى منزلها ، خوفا من أن يصل التراب الى الطعام . فاذا تصادف نزول أحد أهل المنزل وقت صعود من يحمل الطعام ، فانها تحرم هذا الطعام على نفسها ولا يمكن أن تذوقه ! فالدافع اللاشعورى الواحد وهو الخوف من المنى يفصح عن نفسه فى الأحلام برمز بديل له هو الخوف من التراب ، وفى اليقظة فى هذه التحريمات التى تبدو كعرض مرضى .

والحادث التالى يوضح دافع الخوف من البخور . كان عندها قطعة ثمينة من القماش، أرادت أن تفصلها معطفا . فذهبت بهاالى خياط وأعطتها له . وبينما هى تتحدث معه ، دخل المحـل فقير يحمل فى يده مبـخرة يتصاعد منها البخور . وما أن لمحته حتى تولاها الذعر ، وخرجت تعدو الى الشارع ... أما القماش فقد تصدقت به ، ورفضت أن ترتديه بعد ذلك .

وأغلب الرموز التى تخاف منها وتحرص على تجنبها بالنهار ، تتكرر لها فى الأحلام التى تستيقظ منها فزعة فى الليل . وهذه الرموز التى تخاف منها آناء الليل وأطراف النهار وهى : البخور واللبان والتراب والحنة والكولونيا ... كلها رموز بديلة للسائل المنوى . فليس من محض المصادفة أن تخاف هذه السيدة المحرومة من الأطفال من هذه الرموز بالذات . وانما هناك نوع من الحتمية فى تعلق الخوف المرضى أو الفوبيا (Phobia) بهذه الرموز . وليس من محض المصـادفة أن تفصح أحلامها بصفة خاصة عن

الرغبة فى الأطفال ، على حين تفصح هذه الأعراض ، عن الخوف من الحمل .

ومن الطريف أنى عند ما أخبرتها بأن هذه الرموز التى تخاف منها وهى : اللبان والبخور والكولونيا والتراب والحنة رموز بديلة للمنى ، قالت متحدية : وما رأيك فى أنى أنفر أيضا من المغات ؟ فسألتها : وما المناسبة التى يشرب فيها المغات ؟ أجابت : عند ما تكون واحدة والدة. وأدركت على الفور أن هذا العرض كذلك ينتمى الى نفس العقدة وهى الصراع بين الرغبة فى الأطفال ، والخوف من الحمل .

وأسوأ شىء تخاف منه هو الحجاب سواء صادفته فى اليقظة أو رأته فى المنام . وقد تكرر دافع الخوف من الحجاب فى ثلاثة من أحلامها . ذكرنا أحدها وهو الحلم رقم ٥٣ فى بدء المرض واليك حلمين آخرين :

٥٨ ــ « حلمت أنى ذهبت الى عيادة طبيب ، فوجدت قاعة الانتظار فى هذه العيادة مزدحمة . وعند ما هممت بدخولها لمحت امرأة معها طفلا ، والطفل يحمل حجابا ، فما أن وقع نظرى على الحجاب حتى تملكنى الذعر ، وخرجت أجرى الى الشارع » .

٥٩ ــ « دخلت حجرة فوجدت حماتى مستريحة على سرير ، وتقف بجواره ابنة أخت زوجى . طلعت على السرير ورقدت بجوار حماتى . ثم نظرت فتبينت أن ابنة أخت زوجى تحمل طفلة صغيرة ، وتحت ابط الطفلة حجاب ، فصرخت (يا حوستى ليه ماكنتوش قلتم لى ان عندكم بنت ، والبنت لابسه حجاب . لازم أنا طلعت

ونمت مطرحها .. أعمل ايه فى نفسى .. أقلع هدومى ازاى ..) وبعد ذلك وجدت حالتى صعبة جدا ، فخرجت أعدو الى الشارع ».

وهذه الأحلام تشبه بالضبط سلوكها اذا ما صادفت فى طريقها من تحمل حجابا ، فانها تفر منها مذعورة . أردت بالتداعى الحر أن أعرف المزيد عن الحجاب ، وسر خوفها الشديد منه . فعلمت أنه قد مر عليها فى حياتها صدمات متكررة موضوعها الحجاب . وأسوأ هذه الصدمات هى أنه بعد ان توفى فايز عثرت تحت سريره على مقطف ملىء بالأحجبة ، وكلما فتحت حجابا وجدت صورتها واسمها . والصورة مثبتة فى الأحجبة بالدبابيس وكل صورة مقصوصة من أسفل الرقبة لتبين الوجه والرقبة فقط .

ويمكن تفسير الخوف من الحجاب على أنه استجابة مكتسبة شرطية ، ويتوفر فى الصدمة السابقة الشرطان اللازمان لتكوين هذه الشرطية وهما : الجزء الذى يرمز للكل ، أى صورتها ترمز لها فى السحر بالاقتران [1] . وتثبيتها بالدبابيس فى الأحجبة ، وهو سحر بالمحاكاة . هذا بالاضافة الى المغزى اللاشعورى للحجاب الخاص بالحالة ، وهو أنه رمز للجنين فى بطن أمه . والحجاب رمز مطابق للجنين شكلا وموضوعا . فهو رمز مادى ووظيفى فى آن واحد : هو رمز مادى من حيث التشابه فى الشكل بين الحجاب والجنين ، ورمز وظيفى من حيث

---

(١) انظر مقالنا « السحر » فى مجلة علم النفس ـ عدد يونيو ١٩٥٠ .

ان القوة الغيبية الغامضة المشحونة فى الحجاب ، تقابل معجزة عملية الحمل . والدافع اللاشعورى الواحد وهو الخوف من الحمل ، يفصح عن نفســه برمز واحد هو الحجاب فى مجالين مختلفين : فى المضــمون الصريح لهذه الأحــلام الثلاثة ؛ وفى العرض العصابى ، وهو الخوف من الحجاب فى حياة اليقظة .

ومثل الحجاب كمثل الكولونيا كلاهما رمز تافه ، ومع ذلك يثير الذعر والهلع . ولتفسير الرعب والفزع من هذين الرمزين لا بد من الرجــوع الى الحتمية فى كلا المجــالين الاجتماعى واللاشــعورى . فكلاهما يقترن فى المجال الاجتماعى بمواقف مؤلمة وخبرات سحرية . ولكل منهما مغزى لاشعورى خاص عند الحالة. فالمغزى اللاشعورى للحجاب أنه رمز بديل للجنين. والمغزى اللاشعورى للكولونيا أنها رمز بديل للمنى . ومثل الكولونيا كمثــل التراب واللبــان والبخور والحنــة ؛ فكلها أنواع من المحرمات (Taboo) لها مغزى لاشعورى خاص ، فهى رموز بديلة للمنى .

نستخلص من هذه الحــالة أن التحليل المفصل لهذه الأحلام المزعجة ، وللمخاوف المرضية من الرموز التــافهة كالكولونيا والتراب والحجاب واللبــان والمغات والبخور والحنة ســواء كأعراض مرضــية أو كرموز فى الأحلام يكشف عن نوع من الحتمية ؛ فكلها تنتمى الى العقدة الأصلية وهى الصراع الحاد بين الرغبة فى الأطفال ، والخوف من الحمل .

وما كان من الممكن فهم هذه الحالة ما لم نأخذ فى الحسبان

المجـال الاجتماعى ممثلا فى الخبرات السحرية ، والمجـال اللاشعورى ممثلا فى الصراع النفسى بين الرغبـة فى الأطفال والخوف من الحمل ؛ وما لم نأخذ فى الحسبان مطابقة القـالب الاجتماعى الذى يتضمن الرموز ودلالاتها فى مجالها الخارجى ، للقالب السيكولوچى الذى يتضمن هذه الرموز ودلالاتها فى المجال اللاشـعورى . وما لم نعن بالمضـمون الصريح لهـذه الأحلام ، قدر عنايتنا بالمضمون الكامن لها .

وبعـد أن وصلت فى تحليل أحلامها الى هذا الحد ، نقلت الى بلد آخر .. ولقد كان غرضى أساسا الدراسة لا العلاج .

المراجع

1 — Ernest Jones : On The Nightmare ; Hogarth Press,1931

2 — Nandor Fodor : New Approaches to Dream Interpretation ; New York , 1951 .

3 — J. A. Hadfield : Dreams and Nightmares ; Pelican . 1954 .

4 — S. Freud : The Interpretation of Dreams ; Allen & Unwin , 1950 .

5 — W. Stekel : The Interpretation of Dreams ; Liveright , 1943 , 2 vols .

6 — Samuel Lowy : Foundations of Dream Interpretation ; Kegan Paul , 1946 .

7 — S. Freud : Introductory Lectures on Psycho - Analysis , 1949 .

8 — S. Freud : New Introductory Lectures on Psycho - Analysis , 1949 .

9 — S. Freud : The Ego and The Id ; Hogarth Press , 1949 .

10 — C. O. Jung : Psychological Types ; Kegan Paul , 1933 .

11 — Frieda Fordham : An Introduction to Jung's Psychology ; Pelican , 1953 .

12 — W. Mc Dougall : An Outline of Abnormal Psychology ; Methuen , 1948.

13 — Ernest Jones : Papers on Psycho - Analysis ; Baillière , Tindal & Cox , 1950 .

14 — P. M. Symonds : The Dynamics of Human Adjustment ; Appletion, 1946 .

١٥ — محمد بن سيرين : « منتخب الكلام فى تفسير الأحلام » دار الطباعة الخديوية ، ١٨٢٤ هـ .
١٦ — الدكتور توفيق الطويل : « الأحلام » مكتبة الآداب بدرب الجماميز ١٩٤٥ .
١٧ — الأستاذ محمد كامل النحاس: « سيكولوجية الضمير » دار الفكر العربى ١٩٤٧ .
١٨ — الدكتور عبدالمنعم المليجى : « تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق » دار المعارف ١٩٥٥ .
١٩ — الدكتور عبدالمنعم المليجى : خبراء النفوس مجموعة الثقافة السيكولوجية . مطبعة مصر ١٩٥٧ .
٢٠ — نجيب يوسف بدوى : « الفرج والضيق فى أحلام المصريين » فى مجلة علم النفس — فبراير ١٩٥٣ .
٢١ — نجيب يوسف بدوى : « التحليل الوظيفى للأحلام التنبؤية » فى الكتاب السنوى لعلم النفس — يناير ١٩٥٤
٢٢ — نجيب يوسف بدوى : « تأويل شعبي لحلم تنبؤى » فى مجلة علم النفس — أكتوبر ١٩٥٠ .
٢٣ — نجيب يوسف بدوى : « حلم الحفاء » فى مجلة علم النفس — فبراير ١٩٥٢ .
٢٤ — نجيب يوسف بدوى : « فقدان الأسنان فى الأحلام » فى مجلة علم النفس — اكتوبر ١٩٥٢

فهرست الأحلام

فهرست الكتاب

الثقافة السيكولوچية

* مجموعة كتب دورية تدرس فى جد وصراحة مشاكل الأفراد والجماعات فى بلادنا العربية ..
* تحلل العلاقات الانسانية فى مجتمعاتنا تحليلا مستمدا من الفهم العلمى لواقع حياتنا ..
* يقدم لنا فيها أخصائيون فى علم النفس وفى الطب العقلى خلاصة تجاربهم الشخصية ، وتوجيهاتهم الفنية ..
* يشترك فى تحريرها أدباء وفنانون ، يحدثوننا عن انعكاسات الدراسات النفسية فى فنونهم وانتاجهم ..
* تهدف الى تطعيم الثقافة العربية بالمفاهيم السيكولوچية ، وادماج علوم النفس فى التيار الثقافى العام ..

الكتاب الأول

خبراء النفوس

للدكتور عبد المنعم المليجى

مدرس علم النفس الاكلينيكى بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية بكلية الآداب بجامعة عين شمس
دكتوراه من معهد الطب النفسى بجامعة لندن

* كيف يتعلم خبراء علم النفس المهن السيكولوچية المختلفة ؟
* كيف يزاول الطبيب النفسى مهمة علاج الأمراض العقلية ؟
* ماذا يفعل المحلل النفسى فى جلسات التحليل ؟
* ما دور الأخصائى النفسى فى حركة التصنيع ، وفى النهضة التعليمية ، و فى التخطيط القومى عموما ؟
* ما دور الأخصائى الاجتماعى فى علاج الأمراض النفسية ، وفى الوقاية منها ؟
* لماذا يستعين القضاء بالخبير النفسى ؟
* كيف يميز الخبير النفسى بين المجرم والمجنون ؟
* كيف يتحقق التعاون بين خبراء النفوس من أجل رفع مستوى الصحة النفسية فى بلادنا ؟

الكتاب الثانى

التعبير الموسيقى

للدكتور فؤاد زكريا

مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس

* يحلل الأسس العقلية والانفعالية للتعبير الموسيقى ..
* يبرهن على أن الاستماع الى الموسيقى فن قائم بذاته قابل للاكتساب والتطور ..
* يبين المستلزمات العقلية والوجدانية للتذوق الموسيقى ..
* يقارن بين خصائص التعبير فى كل من موسيقى الشرق وموسيقى الغرب ..
* يشخص عيوب الموسيقى المصرية ، ويكشف عن الآثار التى تخلفت فيها عن موجات الاستعمار ، والاضطهاد الاقطاعى ..
* يضع الأسس الكفيلة بتحرير الموسيقى الشرقية من ضيق الأفق ، وربطها بتيار الحياة المندفع نحو الحرية والعالمية .

الكتاب الثالث

سيكولوچية المرأة

للدكتور زكريا ابراهيم

مدرس بكلية الآداب بجامعة القاهرة

* يعالج قضية المرأة من زاوية سيكولوچية ..
* يبدد الأوهام والأخطاء الشائعة بصدد الفروق المزعومة بين الرجل والمرأة ، ويعالج معالجة علمية العلاقة بين نصفى المجتمع ..
* يتحدث عن سمات الأنوثة لدى الرجال ، وسمات الرجولة لدى النساء ..
* يتتبع التطور النفسى الذى تمر به المرأة من الطفولة حتى النضج ..
* يعالج مشاكل الأسرة ويضع التوصيات الكفيلة بتحقيق التوافق والوئام النفسى بين الوالدين ..

الثقافة السيكولوچية

تلعب المعرفة السيكولوچية فى الحضارة المعاصرة دورا بالغ الخطورة ، فهى أساس ضرورى لتفهم مشكلاتنا الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية فضلا عن النفسية. وتحاول هذه المجموعة من الدراسات النفسية المصرية أن تبين للمواطنين أحسن وسائل الافادة من نتائج البحوث السيكولوچية فى حل مشكلاتنا الفردية والعامة ، كما تسعى الى تحقيق التفاعل الثقافى بين المختصين فى العلوم النفسية وبين جمهرة المثقفين .

الـكابوس

هذا هو الكتاب الرابع من مجموعة الثقافة السيكولوچية. وهو دراسة علمية جريئة لجانب من أهم جوانب الاعتقادات الشعبية المصرية ، فى منشأ الأحلام المزعجة والكابوس . تناول المؤلف النظريات السيكولوچية التى تعرضت لتفسير الكابوس ، كما كشف لنا عن الدلالات البيئية والحضارية للصور والرموز التى ترد فى الأحلام المزعجة والكوابيس . وبين لنا الصلة بين نماذج الكابوس ومختلف حالات الاضطراب والقلق النفسى .

وقد عنى المؤلف بتطبيق مختلف طرق التحليل النفسى فى تفسير خمسين كابوسا جمعها من مختلف البيئات المصرية . وختم المؤلف كتابه بفصل ممتع فى علاج الكابوس .

صدر من الثقافة السيكولوچية

		ص
خبراء النفوس	تأليف الدكتور عبد المنعم المليجى	٢٠
التعبير الموسيقى	« الدكتور فؤاد زكريا	١٢
سيكولوچية المرأة	« الدكتور زكريا ابراهيم	١٢

دار مصر للطباعة
٣٢ (١) شارع كامل صدقى "الفجالة"

١٥ قرشا